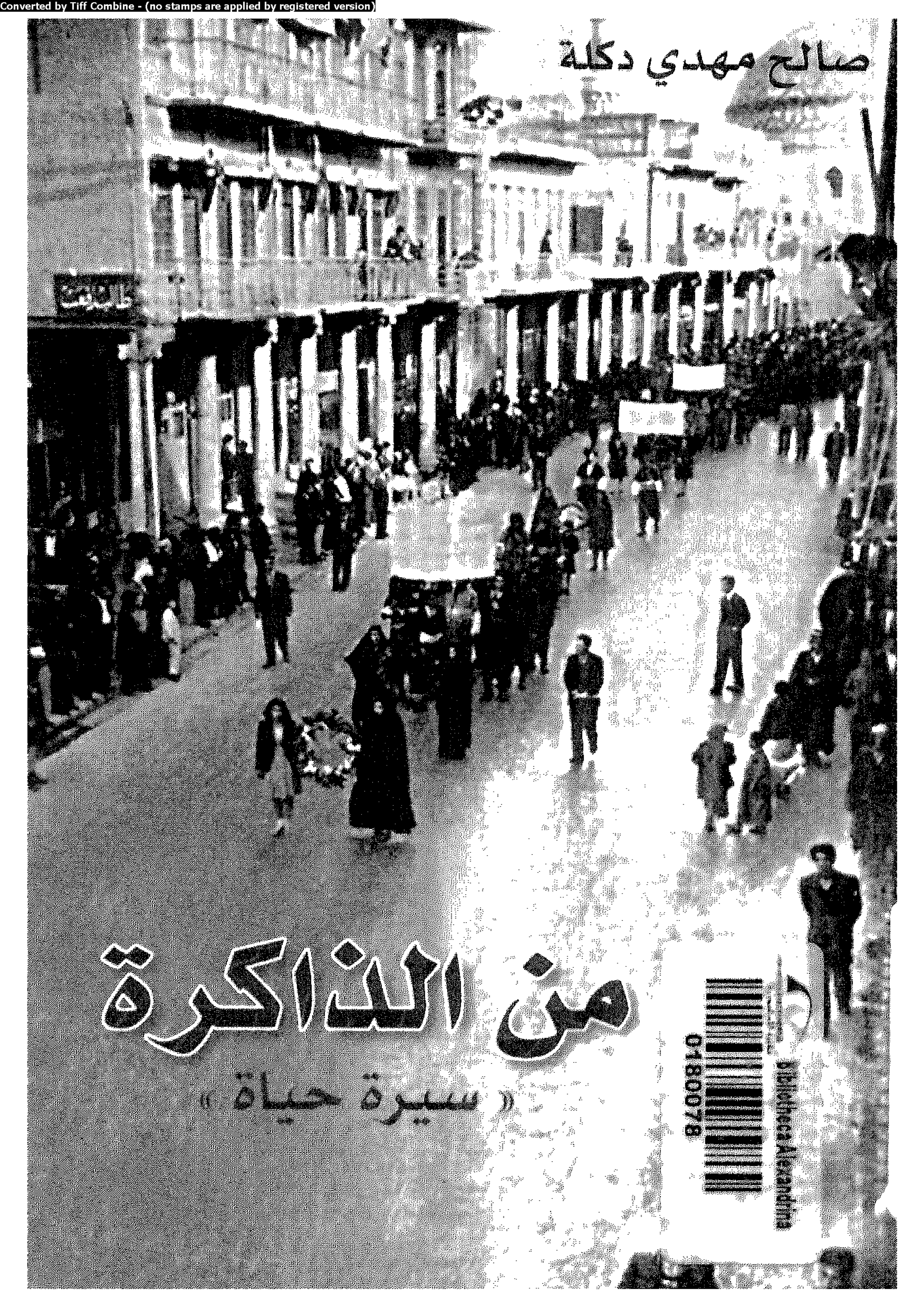


صالح مهدي دكلة

# من الذاكرة

« سيرة حياة »



# من الذاكرة



صالح مهدي دكلة

# من الذاكرة

## (سيرة حياة)

تقديم :
نزيهة الدليمي

اسـم المـؤلـف : صالح مهدي دكله
عنوان الكتـاب : من الذاكرة (سيرة حياة)
الطبـعـة الأولى : ٢٠٠٠


**يطلب من**

**دار المدى للثقافة والنشر**

سوريا - دمشق صندوق بريد : ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦
تلفون : ٢٧٧٦٨٦٤ - ٢٣٢٢٢٧٥ - ٢٣٢٢٢٧٦ - فاكس : ٢٣٢٢٢٨٩
بيروت - لبنان صندوق بريد : ٣١٨١ - ١١ فاكس : ٤٢٦٢٥٢ - ٩٦١١

**Al Mada** : Publishing Company F.K.A.
Nicosia - Cyprus , P.O.Box . : 7025
Damascus - Syria , P.O.Box . : 8272 or 7366 . Tel: 7776864 , Fax: 7773992
P.O. Box : 11 - 3181 , Beirut - Lebanon, Fax : 9611- 426252

# الاهداء

اليك يامن غادرناك مرغمين. يا وطن. بجبالك الكردستانية ونخيلك الجنوبية ونهريك السخيين وارضك الطيبة.

اليك يا شعبنا العظيم المغلوب اليوم والمنتصر غداً يُهدى هذا الكتاب "من الذاكرة" الذي سطره صالح مهدي دكلة "ابو سعد"

من عمق عشقه للوطن قال" إن لم امت في العراق فأحرقوني" أجدني أصبت في الاهداء (الى الوطن والشعب العظيمين).

ام سعد



# المقدمة



"من الذاكرة" ، هي سيرة حياة فقيد الحركة الوطنية العراقية المرحوم صالح مهدي دكلة ، بدأ كتابتها في ٢٤ آذار ١٩٩٨ وهو يصارع المرض ، حتى وافته المنية في ٢٨ تموز ١٩٩٨ .

واذا بقيت في ذاكرة الانسان طوال حياته تلك المنعطفات التي اتخذ قراره فيها تجاه محيطه الاجتماعي ، فقد توقف ابو سعد عند اهم المنعطفات في حياته السياسية مقدما للقارئ من خلال ذلك تجربته الحياتية الملموسة في الكفاح الوطني بكل ما عرف به هذا المناضل من تواضع ومصداقية .

لقد كان المنعطف الاول في حياة صالح دكلة هو خيار طريق الكفاح ضد الظلم الاجتماعي والسياسي الذي أحسه في محيطه في العمارة منذ صباه . ولعبت خلفيته العائلية دوراً كبيراً ليس في تكوين شخصيته فحسب بل وفي اختياره الطريق الذي سيسلكه في الحياة .

كتب عن والده يقول : "كان والدي من التجار الذين يقيمون وزنا للحلال والحرام ويلتزم في تعامله مع الاخرين بالصدق وباحترام كلمة البيع والشراء" .

وكتب عن والدته يقول : "تعلمتُ من والدتي كره الظلم والاستبداد . فقد كانت تحدثني وانا صغير كيف ان الشيخ مهاوي ، وهو من اقطاعيي آل ازيرج ، كان قد حبس والدها وقيده بالحبال والقى به في النهر في عز الشتاء القارس البرد . . . .وذلك لدين للاقطاعي بذمة والدها شذار . . . .فانقذت

والدها بان اقتحمت على الشيخ مهاوي مضيفه . . .واقسمت انها لن تغادر المضيف إلا جثة هامدة او ابوها معها . . .فأُحرج الشيخ وأمر بفك اسر الوالد . ." وفي المظاهرات التي كنتُ اشارك فيها ايام وثبة كانون في مدينة العمارة ، كانت المرأة الوحيدة التي تحمل بيدها عصا وتطوف معنا في شوارع المدينة والناس يعرفونها بانها أم صالح ويشهدون بشجاعتها ، لا سيما عندما تردد هوستها المعروفة "يا هاوي الموت امشي ويّانه" .

اما المنعطف الثاني في حياته ، فقد كان الانتماء الى الحزب الشيوعي العراقي عام ١٩٥٠ في اعقاب اعدام قادة الحزب الخالدين فهد وحازم وصارم عام ١٩٤٩ ، فما الذي جذبه الى هذا الحزب الوطني الغيور ؟

كتب الرفيق صالح دكلة عن بدايات توجهه السياسي يقول : "ان بداية تأثرنا بالميول السياسية جاءت مصادفة . . . فعندما كنتُ في الصف الثالث متوسط حدثت وثبة كانون ، وكنا جميعا ضد حكومة نوري السعيد وصالح جبر ومعاهدة بورتسموث وضد الانجليز بصورة عامة" .

واشتركت شلة الاصدقاء التي كان ينتمي اليها ، وهم من ابناء الميسورين والتجار ، في الفعاليات السياسية بشعارات قريبة من حزب الاستقلال متأثرين بأفكار بعض المحامين القوميين .

وجد الشاب صالح دكلة ان نشاط حزب الاستقلال كان موسميا في حين : " أبدى بعض الشيوعيين في ثانوية العمارة اهتماما خاصا بالتعامل الايجابي معي ، وحظيت بود كبير من الطلاب وكان هذا الود عائداً إلى كوني من لاعبي كرة القدم ... . وكان يظهر اثناء انتخابات اتحاد الطلبة . . .إذ أحصل على اصوات تؤهلني دون غيري من الاستقلاليين لعضوية الاتحاد في حين ان بقية الاعضاء كانوا من الشيوعيين" . وكان لتصرف ممثل حزب الاستقلال في العمارة وتطوير علاقته مع نوري السعيد لغرض حصوله

على ارض زراعية ، اثر كبير في ان يفقد صالح دكلة ثقته في حزب الاستقلال ويبتعد عنه ، متوجها الى قراءة الادبيات الشيوعية التي كان يزوده بها الشيخ حسين الساعدي وهو رجل دين وداعية للحزب الشيوعي . واذ تزامن انتقاله الى مواقع الفكر الماركسي مع الضربة الشديدة التي تعرض لها الحزب الشيوعي في عامي ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ ، واعتقال المئات من الشيوعيين "حتى كادت مدينة العمارة تخلو من الشيوعيين المنظمين والواعين" ، فقد قرر صالح دكلة الانتماء الى الحزب الشيوعي العراقي عام ١٩٥٠ .

وهكذا قاده خياره الاول ، خيار طريق الكفاح ضد الظلم الاجتماعي والسياسي ، الى خياره الثاني ، وهو خيار اكثر الاحزاب الوطنية ثورة ضد الظلم الاجتماعي والسياسي ، خيار الحزب الشيوعي .

كانت باكورة عمل الرفيق صالح دكلة في الحزب الشيوعي العمل بين الفلاحين ضد جور الاقطاعيين . ففي منطقة "الخمس" في لواء العمارة ، وهي منطقة آل ازيرج أهل والدته ، تسلم المسؤولية الحزبية عندما تعين معلما فيها عام ١٩٥٢ . وعمل الشيوعيون وسط آلاف الفلاحين الذين كانوا يواجهون الاستغلال البشع من كبار الاقطاعيين في العمارة الذين كانوا يملكون اكثر من نصف مليون دونم من اراضيها . وفي العام نفسه تحرك فلاحو آل ازيرج في انتفاضتهم ضد الاقطاعيين وقمعت انتفاضتهم بنار الشرطة .

"في عام ١٩٥٢ ساهم الرفيق في توسيع مجال النشاط الحزبي بين الفلاحين وتعميق الوعي بينهم ، حيث امتد هذا النشاط الى مناطق الكحلاء ، وتكللت مساعيهم بعقد لقاء فلاحي واسع ضم العشرات من ممثلي الجمعيات الفلاحية السرية في الكحلاء ، كمقدمة لعقد مؤتمرات فلاحية للدفاع عن حقوق الفلاحين في توفير الارض والماء والبذار وتكثير المدارس

والمستوصفات في القرى ، وهذا ما نشرته "القاعدة" صحيفة الحزب الشيوعي العراقي السرية عام ١٩٥٤ ."١"

لقد ادى نشاطه هذا الى اعتقاله ونفيه الى ناحية شيخ سعد حيث هرب من هناك الى بغداد للاتصال بالحزب في العاصمة .

واضطلع في بغداد بمهمات متنوعة في الحزب الشيوعي ، خاصة في فترة الاعداد لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ . وانيطت به مسؤوليات هامة منذ ان انتخب الرفيق الشهيد سلام عادل سكرتيرا للجنة المركزية . فقد قام بدور متميز في لجنة بغداد لاحياء عمل الحزب بين العمال واعادة تنظيم اللجنة العمالية على اسس جديدة وبتفهم كامل لدور عمل الحزب الشيوعي بين اوساط العمال .

كما اشار الرفيق في مذكراته الى حضور الكونفرنس الثاني للحزب عام ١٩٥٦ ، وهو اهم فعالية للحزب الشيوعي قبل ثورة تموز ، حيث اتسم بتوحيد الشيوعيين العراقيين وباقراره التوجهات الجديدة في عمل الحزب . واتاح له عمله في قيادة منظمة بغداد للحزب الشيوعي التي كان لها دور بارز في الاعمال الجماهيرية الاحتجاجية ضد العدوان الثلاثي على مصر ، امكانية القيام بقيادة المظاهرات في بغداد ولمس عن حق "استعدادات الجماهير لخوض نضالات متعددة ضد النظام وسياساته ليس في بغداد فحسب بل وفي المدن الاخرى مثل النجف والحي والبصرة والسليمانية" .

في العام نفسه اوكلت قيادة لحزب الى صالح دكلة مسؤولية التنظيم العسكري ، وبقيادته مع الشهيدين فاضل البياتي وكاظم عبدالكريم ، تم توحيد تجمعات الضباط اليساريين في الجيش . فاتصل بالشهيد وصفي طاهر ليبلغه باعلان قيام "الاتحاد الوطني للضباط والجنود" حيث اعتبر وصفي طاهر نفسه جزءاً من هذا التنظيم مع مواصلة عمله في اللجنة العليا للضباط الاحرار .

اضافة لعمله مسؤولا للتنظيم العسكري ، قررت قيادة الحزب ان يتولى الرفيق صالح دكلة قيادة منظمة بغداد في عام ١٩٥٧ بعد ان القي القبض على مسؤولها الشهيد رحيم شريف .

لهذا ففي عشية ثورة تموز كان في متناول القائد الشيوعي صالح دكلة مفاتيح قيادة العمل الجماهيري في قطاعاته المختلفة في العاصمة الى جانب قيادة العمل في القوات المسلحة ، وهي مكامن قوة الحزب الشيوعي العراقي ، ليلعب دورا فعالا في ثورة تموز المجيدة . وكان ينفذ هذه المسؤوليات بكل تواضع وهدوء واتزان . فكان موضع ثقة رفاقه العاملين معه واعتزازهم بدوره .

اشار الرفيق صالح دكلة بتعاطف واضح الى السياسة التي أقرها اول اجتماع عقدته اللجنة المركزية بعد ثورة تموز . وتناول الاجتماع الذي عقد في ايلول ١٩٥٨ ضرورة ازالة التناقض بين قوى الثورة وتركيبة الحكومة الاولى ، واهمية الضغط الجماهيري على الحكومة من اجل الحقوق الديمقراطية ومن اجل ارساء الحكم على اسس ديمقراطية . اذ ان هذا الموقف "انما كان يعبر عن فهم عميق لأهمية السلطة ودورها في المجتمع" . "كما ان طموح الحزب الشيوعي في احتلال موقع متميز او في احتلال الموقع الاول في السلطة السياسية ، كان يستمد جذوره ومبرراته من واقع السيطرة الكاملة التي تمتع بها الحزب الشيوعي على الحركة الجماهيرية" .

وقد اشار الرفيق صالح في مذكراته الى حادث ذي مغزى في صيف عام ١٩٥٩ موضحا بشكل لا لبس فيه الفهم الجديد للاوضاع وتقييمها ، الذي ساد فيما بعد في اجتماع اللجنة المركزية في تموز عام ١٩٥٩ . كان للرفيق الشهيد سلام عادل قول مأثور مفاده ، انك إن لم تستعمل سلاحك في الوقت المناسب فانك لو ضغطت على الزناد ستجد بعد لأي انه "لن يثور" .

وهكذا وجد صالح دكلة الحزب لدى عودته من الدراسة الحزبية في ١ آب ١٩٦٢ .

فقد عرض في مذكراته بقدر من الملموسية والتفصيل ما آلت اليه اسلحة الحزب الجماهيرية والعسكرية . واهم ما جاء في هذا الصدد هو ما ذكره من انه "من بين ابرز المظاهر السلبية هو ان القاعدة الحزبية لم تكن مقتنعة بسياسة الحزب القائمة على مبدأ "تضامن - نضال - تضامن" ، هذا المبدأ الذي تجسد بسياسة الدفاع عن الحكم ضد المؤامرات الرجعية في وقت كانت السلطة تشن هجوما شرسا على الحركة الجماهيرية وتضيق الخناق على الحريات الفردية والعامة وتزداد اعداد الشيوعيين والديمقراطيين خلف قضبان السجون والمعتقلات على نحو زاد عدد المعتقلين في الحملات المطالبة بالسلم في كردستان الى اكثر من الف معتقل وسجين" . . . ."إن التزام سياسة الدفاع عن الحكم التي كانت تُنَفذ تحت شعار "الدفاع عن الجمهورية" واستمرارها في ظل تفاقم النشاط الرجعي والمؤامرات الهادفة للاطاحة بقيادة ثورة تموز ومكاسبها ، تحولت في واقع الامر الى سياسة انتظار سلبي لتلك اللحظة التي يحددها الخصم لبدء الهجوم" . . . ."وهذا ما حصل بالفعل في ٨ شباط حيث لم تستطع القيادة او اية قيادة اخرى مهما أوتيت من عبقرية ، تغيير مزاج الجماهير من حالة الترقب والدفاع الى حالة التصدي والهجوم في ساعات محدودة يمكن ان تُقارن بتلك الفترة التي بلغت بضع سنوات" .

والى مثل هذا الرأي توصل الشهيد سلام عادل . فقد اخبر الرفاق الذين كانوا معه في السيارة التي كانت تقلهم الى قصر النهاية : "ان ثورة الردة لم تبدأ في ٨ شباط ١٩٦٣ ، وانما بدأت منذ اجتماع اللجنة المركزية لحزبنا في تموز ١٩٥٩ ، عندما تراجعت عن السياسة التي اقرتها في ايلول ١٩٥٨" .

ويؤكد الرفيق صالح دكلة في مذكراته ما يلي : "لقد كشف تهافت تنظيماتنا العسكرية وانهيار روحها الهجومية القتالية ، فضلا عن تراخي همة كوادرنا وتنظيماتنا مدى خطأ السياسة التي كنا قد اتبعناها منذ اواخر ١٩٥٩ وحتى اواخر عام ١٩٦٢ . ولقد بدأت هذه السياسة المشؤومة بقرار اتخذه القادة اليمينيون بعد اجتماع تموز عام ١٩٥٩ الكامل للجنة المركزية بحل تنظيماتنا العسكرية بذريعة إعادة التحالف مع قاسم ! وان من اهم فرسان هذا القرار اعضاء المكتب السياسي كلهم باستثناء سلام عادل وجمال الحيدري ومحمد حسين ابو العيس . . . ."

ان المنعطف الكبير الذي حدث في نضال الرفيق صالح دكلة ، كان في عام ١٩٦٧ عندما عارض السياسة التي اقرها الكونفرنس الثالث للحزب الشيوعي العراقي . فقد قرر ان ينأى بنفسه عن قيادة الحزب ، وسلك طريقا آخر . وبطلب منه وموافقة الحزب التحق بعمل الاحزاب الشيوعية العربية في الساحة الفلسطينية ( منظمة الانصار ) حيث كُلف بمسؤولية التوجيه السياسي فيها . وهناك تعززت علاقته بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وأمينها العام الدكتور جورج حبش .

وخلال احداث ايلول الاسود في عام ١٩٧٠ في الاردن ، صدر قرار من الاحزاب الشيوعية العربية بحل منظمة الانصار ، فوقف صالح دكلة ضد هذا القرار وآثر ان يواصل نضاله على الساحة العربية وفي صفوف القوى الديمقراطية العربية .

وفي الساحة اليمنية عمل في تدريس الاقتصاد السياسي من ١٩٧٢ الى ١٩٧٤ ، وفي لبنان عمل مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، حيث اسس مدرسة الكادر الحزبية للدراسات السياسية خلال الفترة ١٩٧٤ - ١٩٧٨ .

لا شك في ان قراره بالانعطاف هذا كان يعبر عن مصداقية الرفيق في

التعامل مع نفسه ومع الاخرين . وفي الوقت الذي كانت لديه تحفظات جدية على سياسة الحزب في الفترة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٩ ، اكتفى بأن يسحب نفسه من المسؤولية القيادية ، ولم يكن في يوم من الايام معاديا للحزب او طاعنا في نضاله ، وهذه صفة اخلاقية رفيعة تدعو الى الاعتزاز بها .

وشعورا منه بالمسؤولية بعد ان وجه نظام صدام حسين ضربته للحزب الشيوعي العراقي والاحزاب الوطنية الاخرى وانبثاق اكثر من تنظيم ديمقراطي في المعارضة العراقية في الخارج ، بادر مع عدد من الديمقراطيين الى اصدار بيان في ١٠ آذار ١٩٨٣ يدعو الى توحيد صفوف الديمقراطيين في تنظيم ديمقراطي واحد ، معلنا عن انبثاق التجمع الديمقراطي العراقي واصدار جريدة باسم "الغد الديمقراطي" . وكان له دور رئيسي في الجهود التأسيسية لهذا الحزب من الناحيتين الفكرية والتنظيمية .

انعقد المؤتمر التأسيسي للتجمع الديمقراطي العراقي في ٥ ـ ٧ تشرين الاول ١٩٨٥ تحت شعار "وحدة التيار الديمقراطي طريقنا للمساهمة في اسقاط النظام الفاشي وانهاء الحرب وتحقيق السلام العادل واقامة النظام الديمقراطي في العراق والحكم الذاتي الحقيقي في كردستان" . وفتحت جريدة الحزب ، "الغد الديمقراطي" صفحاتها لكل الاراء والاجتهادات ، بما في ذلك للآراء المخالفة لوثائقه وخطه السياسي .

لقد اتسمت فترة تأسيس الحزب بتجميع العناصر والقوى الديمقراطية في الحزب . ثم اخذ الحزب شيئا فشيئا يرسخ نهجه السياسي والفكري المستقل من خلال عمله الدؤوب لتعزيز وحدة الديمقراطيين العراقيين من اجل بناء دولة الديمقراطية والقانون والعدالة الاجتماعية .

شارك صالح دكلة في أعمال المؤتمر الثاني للتجمع الديمقراطي العراقي حيث أعيد انتخابه أمينا عاما .

ولم يثنه مرضه عن الاشتراك في النشاطات المختلفة في هيئة تنسيق قوى المعارضة العراقية وفي لجنة تنسيق قوى التيار الديمقراطي الى اخر لحظة من حياته .

"من الذاكرة" هي سيرة حياة مناضل وطني شيوعي من العراق ، تعتز به الحركة الوطنية العراقية . فقد كرس حياته للنضال السياسي من اجل إعلاء شأن وطنه العراق ومن اجل نصرة وسعادة شعبه . وقدم تجربته تلك في احرج ايام مرضه ليخدم بذلك الاجيال القادمة من الوطنيين والديمقراطيين العراقيين .

**نزيهة الدليمي**

**٢٨ كانون الاول ١٩٩٨**

## تمهيد

كثير من الرفاق والأصدقاء من داخل التجمع الديمقراطي العراقي أو من خارجه ، كانوا يلحون علي بضرورة استثمار الوقت لأدون ذكرياتي وتجاربي في العمل السياسي في إطار التجمع وفي الإطار العام للحركة السياسية العراقية–القومية والشيوعية– للمرحلة السابقة ، التي بدأتُ بها أولى خطواتي في العمل الوطني والحزبي منذ ما يزيد على نصف قرن أي منذ عام ١٩٤٦ . في كل مرة أشرع فيها بالتفكير الجاد ، لبدء هذه المهمة الصعبة تواجهني "صعوبات وعوائق" منها ذاتية وأخرى موضوعية ، وجوابي لكل صديق أو رفيق عن تقاعسي وإرجائي لهذه المهمة أن هناك أسباب متعددة يأتي في المقدمة منها انشغالي بأعمال التجمع الديمقراطي العراقي والمساعدة في تحرير "الغد الديمقراطي" وهي تكاد تأخذ جل وقتي ، وجواب آخر هو تملصي ، فكتابة المذكرات اعلان عن شيء لا يفهم منه البعض إلا النية في التقاعد وهذه ليست نيتي ، فضلاً عن اني كنت أشعر بحالة صحية تساعدني على أن أبذل جهداً أهم في العمل الوطني من كتابة الذكريات .

ولكن السنة الأخيرة التي بدأتها بدخول المستشفى أكثر من مرة وإجراء أكثر من عملية جراحية وضعتني أمام هذه المهمة وجها لوجه ، مهمة كتابة الذكريات . فبدأتُ أكتب لحظة دخولي المستشفى يوم الثلاثاء ٣/٢٤ /

١٩٨٩ .

ومن الطبيعي أن ضيق الوقت والشعور ببعض القدرة على الكتابة جعلني لا أبدأ كما يبدأ آخرون من بداية نشاطهم السياسي . بل فضلت التماساً للتركيز على الأهم ثم المهم ، أن أبدأ من الفترة التي سهلت ومهدت الطريق لانقلاب شباط المشؤوم ، أي منذ صيف عام ١٩٦٣ وحتى حلول كارثة رمضان .

## الولادة والمنشأ

ولدتُ في ١٩ كانون الأول عام ١٩٣٠ في مدينة العمارة في جنوب العراق ، في أسرة ميسورة لأب كان يحترف التجارة وأم ريفية كان أبوها مزارعاً من عشيرة آل أزيرج المعروفة بتمردها على السلطات الحكومية في مختلف العهود . غير ان تاريخ ميلادي كما ورد في دفتر النفوس وما يعرف الآن بـ (الهوية الشخصية) يشير إلى ان يوم ولادتي هو الأول من تموز عام ١٩٣٠ ، كما هي حال الأكثرية الساحقة من العراقيين الذين لا يعرفون بالضبط يوم ولادتهم وإن عرف البعض منهم سنة الميلاد . ذلك ان الناس أيام زمان لم يكونوا يعرفون الاحتفال بعيد الميلاد .

ومن المفارقات التي كثيراً ما تصادفني عند مراجعة الدوائر البريطانية المهتمة بشؤون اللاجئين السياسيين ، أن يكتشف الموظف والدهشة تتبدى واضحة على محياه أن تاريخ ميلاد زوجتي هو الآخر في الأول من تموز ، وهو ما يتصوره الموظف من حسن الطالع . ولا أدري كم ستكون دهشته عظيمة حين يكتشف ان الغالبية الساحقة من العراقيين قد ولدوا في الأول من تموز ؟!

كنت المولود الأول من الذكور في الأسرة . إذ سبق أن أنجبت زوجة أبي الأولى عدداً من الإناث عاشت منهن بنتان فقط . أما أمي فلم تنجب غيري . وكان اسمي حاضراً حتى قبل أن أولد بفترة طويلة . فالعادة جرت

لدى العراقيين ان كل من يدعى (مهدي) وهذا هو اسم والدي ، يكنى بـ (أبو صالح) كما هي الحال مع محمد أبو جاسم ، علي أبو حسين ، وحسن أبو فلاح . . إلخ .

ومن حسن الطالع أن زوجة أبي الأولى (زهرة) التي أكن لها حباً لا يقل عن حب أمي (فهيمة) ، سرعان ما أنجبت لي أخاً هو حميد ، الذي يصغرني بعامين . ويبدو ان زوجة أبي كانت ترى في قدومي إلى الدنيا مقدم خير ، فكانت تحرص على راحتي وتقلق حين ينتابني عارض أو مرض قلقاً يفوق قلق أمي .

كان والدي من التجار الذين يقيمون وزناً للحلال والحرام ويلتزم في تعامله التجاري مع الآخرين بالصدق وباحترام كلمة البيع والشراء . فإذا باع بضاعة إلى أي كان ، لا يرجع عن كلمته وإن كلفه ذلك بعض الخسارة المادية . ولذلك كثيراً ما كان يعاني من المعاملات التجارية وتلاعباتها في الفترة الأخيرة من حياته في السوق ، بعد ان أخذت قيم المجتمع الرأسمالي في التجارة تسود السوق وتسبب له الكثير من عدم الرضا والخسائر .

لذا فقد تعرض إلى ضيق ذات اليد في أواخر أيامه ، الأمر الذي دفع أحد أصدقائه من تجار بغداد هو الحاج عبد المجيد علاوي ، احد كبار تجار الشورجة ، ان يفتح للوالد محلاً لبيع أجهزة الطهي المصنوعة من الألمنيوم لكي يديره تحت إشرافه المباشر .

أدخلني الوالد مبكراً في المدرسة الابتدائية بعد فترة قصيرة قضيتها في الروضة الوحيدة في مدينة العمارة ، أي في السادسة من العمر دون ان تكتمل مداركي العقلية . لذا قضيت عامين دراسيين في الصف الأول ولكنها كانت مفيدة لي في سرعة تمكني من مواد الدراسة ولاسيما القراءة والكتابة . إذ وجدتُ سهولة في تعلمها وشعرت بأني أتفوق فيها على أقراني في الصف الأول .

لم يكن حينذاك كثير من المدارس في مدينة العمارة . إذ كانت المدارس الابتدائية أربع مدارس فقط وهي الشرقية ، والكحلاء ، والفيصلية والسنية ، في حين كانت هناك مدرسة ثانوية واحدة تبدأ من الأول متوسط وتنتهي بالثاني ثانوي . غير ان فترة الصيف أي الإجازة الصيفية كانت طويلة نسبياً ، فكان على ذوينا ان يشغلونا بشيء مفيد خلالها . ولما لم تكن مدينة العمارة وغيرها من المدن العراقية تعرف النوادي الرياضية ووسائل الترفيه الأخرى ، فقد كان والدي يضعني في احد الكتاتيب (ملة) الذي يختص بتدريسنا القرآن الكريم وبعض مبادىء القراءة والكتابة .

والكتّاب الذي كنا نلتحق به هو مدرسة الشيخ مرزا الأنصاري . ولقد بقينا نذهب إلى مدرسته صيفاً حتى بعد ان ختمنا القرآن وصرنا في الصفوف الرابع والخامس الابتدائي لأن الأهل كانوا يخشون علينا من الذهاب للسباحة في النهر أيام الصيف الحارة ، فيستعينون بـ "الملا" لكي يبقينا بعيدين عن السباحة . ومع ذلك لم اعدم الحيلة لاستغلال وقت الظهيرة للذهاب إلى النهر ، رغم ان الملا كان شديداً إزاء من يسبح في النهر ويدمغه بختم خاص على ساقه كي يتأكد في اليوم الثاني من انه لم يذهب إلى السباحة وذلك بالكشف عن الختم . فإذا كان الختم قد تلاشى فعقوبته الفلقة .

كنا قبل استراحة الغداء التي نذهب فيها إلى الدار لتناول الغداء ، نصطف طابوراً كاشفين عن أرجلنا لتلقي الختم ، ثم نذهب إلى الدار . وبعد الغداء حين كان المفروض ان نعود ثانية إلى المسجد حيث يقع الكتاب لنواصل فترة ما بعد الظهر حتى العصر ، كنت أذهب مباشرة إلى النهر مع بعض الأصدقاء ونستمتع برياضة السباحة في نهر الكحلاء وتحت الجسر مباشرة . وقبل ان نعود إلى الدار ، نحاول جاهدين ان نضيع آثار السباحة كيلا يلاحظنا الأهل وكثيراً ما يكون اخذ حمام سريع في البيت خير وسيلة

لتجنب الشكوك التي تحوم حولي .

وعندما يجتمع الطابور الصباحي للتفتيش عن الدمغة ، أخرج دون ضغط من أحد ، لأصطف مع الذين يستحقون عقوبة الفلقة فأتلقى المقسوم من الخيزرانات وأعود إلى مقعدي . وهكذا يتكرر الأمر كل يوم . وفي وقت لاحق عندما كنت أخضع لجولة من الضرب بالفلقة في حياتي السياسية كنت أشعر ان فلقة الملا واعتيادي عليها قد خففت عليّ وطأة الفلقات في مؤسسات القمع الحكومية . .!

كانت الدار التي تسكنها العائلة من الدور الكبيرة ، اتسعت لكل الأعمام وزوجاتهم وأولادهم . وقد ورثها الأهل من جدي الحاج علي دكلة . فكانت لكل امرأة عم غرفة مستقلة لها إلا والدي الذي كان متزوجاً من اثنتين أمي (الصغيرة) وامرأة أبي زهرة (الكبيرة) ، فكانت لكل واحدة منهما غرفة مستقلة وغرفتان مستقلتان لكل من زوجتي العم الحاج عبد الهادي و العم عبد الحسن . أما العم الثالث فكان صغير السن عندما توفي والده فاحتضنه أبي وكان يعيش معنا أيضاً عمة الوالد وهي امرأة عجوز وخالته اللتان كانتا قد فقدتا زوجيهما وعاشتا في حضانة الوالد .

كان ملحقاً بالدار ١٢ دكانا مستأجرة لأشخاص مختلفين ، إضافة إلى مقهى كبير كان يؤجر كمحل لتقديم الشاي . أي ان الدار والبناية كانتا فضلاً عن مكان لسكن الأسرة ، مشروعاً استثمارياً يدر بعض المورد الذي يوزع على الورثة .

ولكن بعد ان اصبحت الإيجارات لا تساوي إلا مبلغاً تافهاً ولأن بعض الأعمام كالحاج عبد الهادي وعبد الحسن قد توسعت عائلاتهم ، فاستأجروا أو اشتروا دوراً خاصة بهم ، أصبح بيع العقار أمراً مطلوباً . وأذكر انه بيع إلى أحد أغنياء الريف في الأربعينات بمبلغ ٥٢٠٠ دينار تم توزيعه على الورثة

- أربعة أبناء وأربع بنات .

في هذه الظروف بدأت أوضاع الوالد التجارية تتردى تدريجياً ، فكنا نحاول ، أنا وأخي حميد ان نقدم له العون في المحل الذي يديره في أوقات فراغنا . كما بدأ المرض يشتد عليه إذ كان مصاباً بمرض الربو ومع ذلك كان يدخن كثيراً .

كانت أوضاعنا الاقتصادية هذه عائقاً عن مواصلة الدراسة حتى التخرج من الجامعة . لذلك قررنا ان نكمل الدراسة الثانوية ونحاول ان نجد عملاً أو ان نلتحق بإحدى دورات تدريب المعلمين . ولكن أخي حميد وهو من هواة الرياضة ، فضل بعد ان أنهى الدراسة المتوسطة وتخرج من الصف الثالث المتوسط ، أن يلتحق بدار المعلمين الابتدائية- فرع التربية البدنية .

أما أنا فعندما انهيت دراستي الثانوية ، اشتغلتُ سنة واحدة كمعلم متقدم في لواء الحلة كي أوفر مصروفات أخي حميد في دار المعلمين واحتفظ بباقي الراتب الذي كان حوالي ٢٠ ديناراً للعطلة الصيفية وكاحتياط لنفقات دورة تدريب المعلمين التي اعلن عن افتتاحها في العطلة الصيفية .

## نبذة عن الوالدة

أشرتُ من قبل إلى أن والدتي (فهيمة) امرأة ريفية تنتمي إلى عشيرة آل أزيرج ، كان والدي مهدي دكلة صديقاً لوالدها وبينهما بعض العلاقات التجارية . ولما كانت الوالدة على جانب من الجمال ، فقد تقدم لخطبتها من صديقه شذار قائلاً عسى أن تمتد ذريتي منها . فقد كانت زوجته الأولى تنجب البنات فقط وكان هو يريد صبياً .

كانت الوالدة ذات شخصية قوية إضافة إلى ذكاء فطري بارز . فما ان عاشت بين أهلي حتى تعلمت بسرعة لهجة المدن لكنها عندما كانت تقابل أحداً من أهلها فسرعان ما تعود إلى لهجتها الريفية . ثم تعلمت كيف تصلح

بعض الأشياء التي يصيبها العطل في الدار . فكانت تعرف كيف تصلح صمام الامان الكهربائي ( الفيوز ) لتعيد النور إلى الدار . كما أنها كانت تأبى ان يؤخذ أي جهاز إلى المصلح إلا بعد ان تعجز عن إعادته إلى وضعه الطبيعي . إلى جانب ذلك كانت علاقتها ودية مع ضرتها وزوجات أعمامي ويندر ان تنشأ مشاكل بينهن وإن نشأتْ فسرعان ما تحل .

تعلمتُ من والدتي كره الظلم والاستبداد . فقد كانت تحدثني وأنا صغير كيف ان الشيخ مهاوي من إقطاعيي آل أزيرج ، حبس والدها وقيده بالحبال وألقى به في النهر في عز الشتاء القارس البرد أي في "المربعانية" كما قالت وذلك بسبب دين كان للإقطاعي بذمة والدها شذار . وبعد ان فشلت كل الوساطات لثني الشيخ مهاوي عن قراره ، قررت ان تحاول هي فك أسر والدها وإلا فإنه سيموت . ذهبت وهي فتاة صبية فارعة الرأس ، غطتْ رأسها ووجهها بالطين واقتحمت على الشيخ مهاوي مضيفه وراحت تولول وتستنجد بشهامة الرجال الذين يبدو انهم تخلوا عن شهامتهم وأقسمت إنها لن تغادر المضيف إلا جثة هامدة أو بصحبة والدها . فساد الاضطراب من حضروا المضيف وأُحرج الشيخ أيما إحراج ، فأمر بفك أسر الوالد . فأخذته بعد ان أسرع بعض الحضور الى لفه بالبطانيات وهو يصطك برداً .

وذكرت لي حادثة أخرى حدثت وأنا صبي صغير ان بعض المتنفذين من العشيرة كانوا يريدون عنوة ان يوافق أهلها على زواج أختها (نعيمة) وكانت على جانب من الجمال ، برجل ليس كفوأً لها . ولما كانت أسرتها خالية من الرجال إذ كان أخوتها قُصَراً لا يستطيعون حماية أهلهم بعد ، خرجت امي وقد شدتْ حزاماً على وسطها يتدلى منه خنجر وحملت عصا غليظة وبدأت الهجوم على الرجال الذين أذهلتهم المفاجأة والضربات ، فراحوا يتفرقون وكان الناس المحيطون بالحادث يشجعونها ويؤازرونها . واضطرت عائلة الرجل إلى

الرحيل للإقامة في مكان آخر .

في المظاهرات التي كنت أشارك فيها أيام وثبة كانون في مدينة العمارة ، كانت والدتي هي المرأة الوحيدة التي تحمل بيدها عصا وتطوف معنا شوارع المدينة والناس يعرفونها بأنها (أم صالح) ويشهدون بشجاعتها لاسيما عندما تردد هوستها المعروفة : (يا هاوي الموت إمشي ويانه) .

عندما كنت معتقلاً في مركز شرطة الكرخ مع عدد من الشبان ، بينهم الشاعر الصديق مظفر النواب ولطيف الحاج وسالم عطوان وحمود الراوي وآخرون ، كانت الوالدة تأتي لزيارتنا في المعتقل وتجلب لنا بعض الأكل والفاكهة . فتجتمع النساء الزائرات وبينهن أمي وأم الشاعر مظفر النواب وأخريات . كانت مهمتها التي لم يكلفها بها أحد هي تشجيع الأمهات اللواتي يبكين أمام أبنائهن قائلة : (لماذا هذا البكاء . . إنهم ليسوا حرامية ولا قطاع طرق حتى يبكي الإنسان على المصير الذي سيواجهون ، إنهم أبطال يدافعون عن حقوق الفقراء والمظلومين وينبغي ان نرفع رؤوسنا فخراً بهم وبالتالي فإن السجن للرجال وهم رجال حقيقيون .)

ويبدو ان مواقف الوالدة وسلوكها أثرا في وجدان الشاعر مظفر النواب ، فنظم قصيدة مدح للوالدة أعطاني إياها الأخ والصديق هادي العلوي في دمشق ولكني ضيعتها مع الأسف الشديد مع كثرة الانتقالات ، عسى ان أحصل عليها لأنشرها مع هذه الذكريات وفاءً لأمهاتنا وتخليداً لذكراهن .

## شيء عن الأشقيائية

كانت عائلتي من ناحية الأب أناسا مستورين يحاولون باستمرار ان ينأوا بأنفسهم عن المشاكل والمعارك التي تحصل أحياناً بين العوائل في مجتمع مدني لم يتخلص بعد من بقايا العادات العشائرية ونزعات استعمال القوة

لإثبات الذات وإخضاع الآخرين . لذا لم تكن مدينة العمارة شذوذاً عن مدن أخرى فيها "شقاوات" .

كان هناك ثنائي من الأخوة- حمود ومحمد- لهما عشرة أخوة آخرين تحولوا بعد قتلهم زعيم مجموعة شقاوات أخرى وخروجهم من السجن ، إلى عائلة "أشقياء" يهابهم الناس ويخافون شرهم ، فلا يرفضون لهم طلباً أو يقفون بوجه رغبة من رغباتهم . والواقع إن الأخوين -حمود ومحمد- لم يتعرضا بسوء إلى أحد من عائلتي ، أعمامي وأولاد عمي ، لكن حدث يوماً ان جمعنا العائلة ، النساء والأطفال وبعض الكبار لنذهب في نزهة يوم الجمعة إلى أحد البساتين القريبة من المدينة . فاستأجرنا لنشاً ( زورق بخاري ) يقلنا إلى البستان . وبينما نحن نجتمع على رصيف الشاطئ بقصد ركوب اللنش ، إذ باثنين من إخوة حمود ومحمد واقفان يتفرجان علينا وهما يكبراني بالسن قليلاً وراحا يزعجان العائلة . فصرت أغلي من الغضب ولكني فكرت ان أتركهما الآن على ان أقتص منهما في وقت لاحق وذلك خشية تكدير العائلة ولتركها تواصل رحلتها دونما منغصات .

واتفق لي في إحدى الأمسيات وأنا مع صديق لي في سوق العمارة الكبير المسقف ، ان التقينا بأحد هذين الاثنين ومعه اثنان من أخوته وجهاً لوجه . وبدون مقدمات أخذت بخناق الشاب وذكرته كيف أساء الأدب على شاطئ النهر وبدأت بضربه في حين كان صديقي يحاول ان يحجز بيننا لأنه لا يريد ان يتورط في خصام مع هذه العائلة الشريرة . عندها تدخل إخوته وشاركوا في المعركة وأوسعوني ضرباً (بالعقل) -جمع عقال- ولكني لم أقصر معهم إذ كانت بنيتي الجسدية قوية بسبب التمارين الرياضية التي أمارسها يومياً . وصادف ان أخي كان ماراً في السوق فرأى المناوشة والعراك وسرعان ما اشترك فيه إلى جانبي . لم نكن ، لا أنا ولا أخي نحمل سلاحاً حاداً ، فقط

قبضاتنا ورؤوسنا ، ولم يكونوا هم ، على ما يبدو ، يحملون أسلحة جارحة ، لكن عُقلهم المفتولة بقوة أثرت فينا . وكانت العقل تترك اثارها على جسمي ووجهي .

واستمرت المعركة شديدة إلى حد لم أكن استطيع رفع يدي واستخدامها في الضرب . كما أن التعب أخذ مأخذه منهم فتركونا وتركناهم . ولم تمر هذه المعركة دون ان أسقط نتيجتها طريح الفراش بسبب الحرارة العالية التي انتابتني لعدد من الأيام .

وبعد هذه المعركة وحين كنا نصادف أحداً منهم كان يبادرنا بالسلام وذلك إقراراً منهم ، كما يبدو ، برجولتنا . انتشرت أخبار هذه المعركة بيننا وبين أولاد الشايب ، وهذه كنيتهم ، في المدينة ، فصار الناس ينظرون إلينا وكأننا فريق ناشئ من الأشقياء . غير أن كل تصرفاتنا كانت طيبة ، لا نقبل الاعتداء على الناس ، كما لا نقبل الاعتداء علينا .

## بدايات التوجه السياسي

بداية تأثرنا بالميول السياسية جاءت مصادفة . فشلة الأصدقاء ، التي نحتك بها ونقضي أوقات فراغنا هي من أبناء الميسورين والتجار في العمارة أو من الذين لديهم نوازع دينية . وعندما كنت في الصف الثالث متوسط ، اندلعت وثبة كانون وكنا جميعاً ضد حكومة نوري السعيد وصالح جبر ومعاهدة بورتسموث وضد الإنكليز بصورة عامة . واشتركنا في الفعاليات السياسية من اجتماعات ومظاهرات بشعارات قريبة من حزب الاستقلال ، حيث كنا نتأثر بأفكار بعض المحامين القوميين لاسيما المحامي جاسم العوادي الذي كان يتحزب إلى حزب الاستقلال ،ونأخذ بتوجيهاته في الكثير من الحالات التي كانت تواجهنا . وعندما رشح نفسه نائباً عن مدينة العمارة ،

ساندناه وقمنا بالدعاية له . وكنا نجمع حولنا بعض المؤيدين للحزب . وقد اختارني جاسم العوادي لأكون ممثلاً عنه في الدائرة الإنتخابية لمحلة السرية لمراقبة أي تجاوز أو تزييف يجري في العملية الانتخابية ، وكان ذلك في عام ١٩٤٨ .

كان طه الشيخ أحمد الذي سرحَ من الجيش قد رشح نفسه نائباً عن العمارة . وبسبب نشاط المرحوم الصديق عبدالامير الحاج نصيف ، وهو شيوعي كان يدعو الناخبين الى التصويت لصالح طه الشيخ أحمد ، اعتبرت ذلك نوعاً من الضغوط على الناخبين حتى لاينتخبوا المرشح الذي أمثله . فاستشطتُ غضباً ورفعت الطاولة وهويت بها على عبد الأمير في محاولة لإيقافه عن هذا النشاط . ولكنه كان هادئاً ولم يقابل استفزازي بمثله في حين ان المرشح طه الشيخ أحمد راح يهدئني وانتهت القضية بسلام . وقد تحولنا أنا وعبد الأمير بعد هذا الحادث إلى أصدقاء لاسيما بعد ان انتقلت إلى مواقع اليسار .

لم يكن نشاط حزب الاستقلال نشاطاً منظماً ومستمراً ، بل كان موسمياً ولم يكن لدينا في الحركة الطلابية إلا بضعة طلاب . وبسبب من نشاطنا السياسي المحدود وضعف وعينا مقارنة بنشاط الشيوعيين وحزب الشعب الذي كان يمثله في العمارة شخصية سياسية واجتماعية مرموقة هي المحامي عبد الرزاق زبير ، كنا أحياناً نتلقى توجيهات غير جدية بالدخول في منافسة غير ديمقراطية مع الشيوعيين واليساريين ، تحولتْ فيما بعد إلى مجرد نزعة للاعتداء على أنصارهم ومؤيديهم يدعمنا في ذلك بعض التجار ونلقى تشجيعاً غير مباشر من قبل الأجهزة الحكومية ، الأمر الذي كان يعزلنا عن جمهور الطلبة .

من جانب آخر ، أبدى بعض الشيوعيين في ثانوية العمارة اهتماماً خاصاً

بالتعامل الإيجابي معي كوني من لاعبي كرة القدم ، سواءً في فريق الثانوية أو في منتخب العمارة حيث كنت أحظى بود جمهور كبير من الطلاب . وكان هذا الود يظهر اثناء إنتخابات اتحاد الطلبة أو انتخابات مراقبي الصفوف إذ أحصل على أصوات تؤهلني وحدي دون غيري من الاستقلاليين لعضوية الاتحاد في حين ان بقية الأعضاء كانوا من الشيوعيين . وكانوا يتعاملون معي بثقة عالية ويسمحون ان احتل بعض المواقع داخل لجنة اتحاد الطلبة ، فكان ذلك يقربني منهم .

في إحدى المرات قرر الاتحاد القيام بإضراب طلابي من اجل بعض المطالب المتعلقة بالدراسة . وحين رأوا تجاوبي الشديد معهم في الإضراب ، اخذوا يطلعوني عن قرب اكثر على المشاكل التي يواجهها أحياناً اتحاد الطلبة .

مقابل هذه السياسة المرنة التي اتبعها الطلاب معي ، كان ممثل حزب الاستقلال المحامي جاسم العوادي يطور علاقاته بمجموعة نوري السعيد وخليل كنة حتى حصل على أرض زراعية منحتها له حكومة نوري السعيد ، فترك حزب الإستقلال . ووصل به الامر انه حصل على كرسي النيابة في كتلة نوري السعيد ، وكان عضواً في البرلمان الاخير عن جماعة نوري السعيد قبل سقوط النظام الملكي . كان تصرفه هذا مع آخرين من قادة الاستقلال بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير حيث فقدت ثقتي بهذا الحزب وابتعدت عنه نهائياً في حين كنت أُقبل بحماسة على قراءة بعض الأدبيات الشيوعية المنتقاة حينذاك مثل (فوق أعواد المشانق) وهو كتاب عن بطولة أحد قادة الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي أو (محاكمة ديمتروف) أمام الرايخ الالماني وكتب أخرى مشابهة كان يزودني بها الشيخ حسين الساعدي ، وهو رجل دين تحول إلى الشيوعية وصار داعية للحزب الشيوعي بعد ان تلقى هذه الأفكار في مصح

(بحنس) المختص بمعالجة المصابين بالسل الرئوي في جبل لبنان .

لقد تزامن انتقالي إلى مواقع الفكر الماركسي مع الضربة الشديدة التي تعرض لها الحزب في أعقاب خيانة مالك سيف وإعدام الرفاق فهد وحازم وصارم وسجن واعتقال مئات الشيوعيين في عامي ١٩٤٨-١٩٤٩ . وكادت بسبب ذلك ان تخلو مدينة العمارة من الشيوعيين المنظمين والواعين . لذا ربطتني علاقة صداقة مع الشهيد عزيز حميد الذي قتله البعثيون بالتعذيب عام ١٩٧٠ بحجة كونه ينتمي إلى الخط العسكري في تنظيم الحزب الشيوعي العراقي .

- ولكن بعد ان بدأ بعض قياديي الحزب الشيوعي يخرجون من السجن في نهاية محكومياتهم ويتوزعون على مدنهم ، صادف ان جاء إلى مدينة العمارة كل من عبد علوان الطائي وخضير عباس ، فراحا يعيدان تنظيم الحزب . اتصلتُ بهما وبقيت لفترة باعتباري "مؤيداً منظماً" ينظمنا أنا وكاسب كبيص الرفيق خضير عباس ونجتمع في بيت أبو ناظم (كاسب كبيص ) في دار على شاطئ نهر دجلة في حي الصابئة . وكان الرفيق (أبو ناظم) من أبرز الشيوعيين الصابئة كرس حياته لخدمة الحزب وحول داره إلى دار للحزب في حين كانت مهنته كمعلم واسطة للتبشير بأفكار الحزب والاشتراكية .

كل هذه الاجتماعات كانت تجري وليست لنا صفة حزبية سوى "مؤيدين منظمين" ولكن في أواسط عام ١٩٥٠ أحضر الرفيق خضير عباس ورقة سلمني إياها وطلب مني تعبئتها بعد ان قال : (هذه ورقة ترشيحك لعضوية الحزب ، عليك تعبئتها بكل صدق وصراحة ، إذ لا ينبغي ان نذكر شيئاً للحزب دون ان نكون صادقين في ذكره ) . استمهلت بإعادة ورقة الترشيح في اللقاء القادم لأدقق ماهو مكتوب فيها واستوعبه . فامهلني وعرفت منه ان فترة الترشيح تكون عادة ستة أشهر للطلاب والمثقفين وثلاثة أشهر للعمال .

عند ذلك يحصل المرشح على ورقة العضوية الكاملة في الحزب .

في بداية السنة الدراسية الجديدة التحقتُ بدورة تدريب المعلمين في البصرة وكنا حوالي ١٥ طالباً من العمارة وباقي طلاب الدورة من البصرة . ولتوفير نفقاتنا نحن الطلاب الاربعة : صبيح صالح الوادي ، محمد الزعاق ، حسن الخليلي وأنا ، كان علينا ان نستأجر داراً مع عائلة طالب آخر ضعيف الحال لتساعدنا على إعداد الطعام والغسيل لقاء إعفائه من المشاركة في الإيجار .

وقضينا الشطر الأكبر من أيام الدورة في هذه المجموعة الصغيرة حيث تعززت العلاقات فيما بيننا وكُنت أوزع عليهم النشرات السرية والجرائد التي أحصل عليها من الحزب . كما كنا نقوم ببعض الفعاليات مشاركين طلاب ثانوية البصرة في المناسبات النضالية والطلابية . وشاركنا في بعض المظاهرات . وكنا قد حضرنا احتفالات تأسيس حزب الجبهة الشعبية والفعاليات التي تعقد في المقر العام لحزب الجبهة الشعبية في البصرة .

كما كنا نحضر ، من باب الاطلاع ، الاجتماعات التي يعقدها حزب الاتحاد الدستوري (حزب نوري السعيد) . وأذكر أني حضرت الاحتفال الذي أقيم في فرع البصرة لحزب الأمة الاشتراكي الذي أسسه صالح جبر ، واستغربتُ عندما سمعته في خطاب القاه يسمي العِراق (بكسر العين) بـ "العُراق" (برفع العين) . وعندما أردت التأكد من سلامة لفظ العراق ، رجعتُ إلى المعجم ، فظهر لي ان الحالتين صحيحتان .

لم يتم ارتباطي الحزبي بشكل منظم إلا في أواخر السنة الدراسية ، وربما كان ذلك عائدا إلى ان منظمة البصرة لم تستلم اشعاراً من المركز إلا في وقت متأخر ، حيث اتصل بي أحد الرفاق البصريين وسلمني رزمة من النشريات وجريدة "القاعدة" وطلب مني السفر إلى مدينة العمارة لإيصالها إلى المنظمة

هناك إلى الرفيق الشهيد عزيز حميد . فركبتُ "الباص" الخشبي ووصلتُ مساءً إلى العمارة وذهبتُ مباشرة إلى دارنا ، فاستغرب الأهل زيارتي هذه لأن فترة الدراسة كانت قد أوشكت على النهاية . صحوت في اليوم التالي مبكراً وأخذت الرزمة وقصدتُ الدار التي يسكنها الرفيق عزيز فاستلمها مني .

وبعد ان انتهت دورة تدريب المعلمين في البصرة ، عدتُ مع الطلاب الآخرين إلى مدينتي وبدأنا نقدم أوراقنا من أجل التعيين في مدارس اللواء (محافظة العمارة) . ولما كان يصعب على المعلمين المتخرجين حديثاً ان يحصلوا على وظائف في مدارس تقع في مركز اللواء أو قريباً من المركز ، اخترتُ تعييني في مدرسة المثنى في منطقة آل أزيرج قرب أهل والدتي الذين يسكنون منطقة "الخمس" . وحينذاك كلفتني قيادة المنظمة الحزبية في العمارة باستلام المسؤولية الحزبية في منطقة "آل أزيرج" .

## انتفاضة آل أزيرج

صادف في تلك السنة ان تفاقم التوتر بين الفلاحين ومعهم بعض السراكيل ، من جهة والإقطاعيين من جهة أخرى . إذ كان الفلاحون يطالبون بزيادة حصتهم من المنتوج الوحيد الذي يزرع في تلك المنطقة ، وهو الرز ، على حساب حصة الإقطاعي . وكان من أبرز الإقطاعيين في ذلك الوقت "شواي الفهد" وأولاده ، ومطلك السلمان ومهاوي الفهد وأولاد مهاوي : فهد وظهد وأنكال . وكان عليّ في حينها ان أتابع هذه الحركة التمردية الكبيرة التي دامت ثلاثة أشهر تقريباً .

ومن ذكرياتي في هذا الشأن ان من أبرز نشطاء الفلاحين في تلك الفترة صاحب آل فزع وحمود آل فياض . كما جاء إلى المنطقة في تلك الفترة قادماً

من بغداد الفلاح فِعِلْ آل ضُمَدْ . وكان فِعِل من الذين تعرفوا على الرفيق فهد وحضر المؤتمر الوطني الأول للحزب . وكان ينشر الدعوة لنيل الفلاحين حقوقهم من الإقطاعيين في مضايف السراكيل .

وفِعِل ضمد هذا هو رئيس فخذ من افخاذ آل أزيرج الذي يعرف بالرشاشة . . . أذكر له حديثاً في اجتماع ضم العديد من الفلاحين والسراكيل في المدرسة ، كان يحرض فيه على الإقطاعيين فيقول : ( إن الشباب من الفلاحين هم العقول المعول عليها في ان يوحدوا صفوفهم ويأخذوا على عاتقهم تحرير أنفسهم والفلاحين الآخرين من ظلم الإقطاع ) . وأورد مثلاً أو قصة تدعم رأيه : في زمن ماضٍ كان ملاحو السفن الذين ينقلون الرز من المنطقة إلى مدينة العمارة ، يقطعون النهر جراً بالحبال ضد التيار ، وفي مكان ما على شاطئ النهر توجد قبة مدفون فيها أحد الأئمة . وكان على الفلاحين عند وصول هذه البقعة ان يتسلقوا القبة لتحويل الحبال من خلفها شادّين سفنهم ، وهي عملية شاقة تؤخر سير مجموعة السفن . غير ان أحد هؤلاء الملاحين الشباب ، وهو يجهد لتمرير الحبال ، وقف على القبة بعد ان أغرى غيره من الشباب بلف الحبال حولها ، واطلق "هوسة" راح يهتف فيها : (ما شفنة إمام اسمه منيِّش) ، ثم سحبوا القبة إلى النهر وإذا بها تتهاوى وينفتح الطريق أمام السفن سهلاً . وهكذا على الشباب ان يبادروا للخلاص من الإقطاعيين .

بعدها تفاقم الصراع بين الفلاحين والإقطاعيين وتدخلت السلطة بإرسال سريّة من الشرطة السيارة . وفي صبيحة أحد أيام تشرين الأول أو الثاني ، لعلع الرصاص في منطقة "أبو نعيجة" ومناطق أخرى ضد الفلاحين فقُتِل منهم سبعة بينهم امرأة واحدة . عندها أصاب الانكسار فئة السراكيل فراحوا يعقدون صفقات التسوية والتراضي مع الإقطاعيين في حين اعتقلت الحكومة

عدداً من الفلاحين . وبذلك تكون انتفاضة فلاحي آل أزيرج قد فشلت بسبب قيادتها من قبل السراكيل وميلهم الدائم للمساومة . .

ولمن يرغب في التعرف أكثر على اسباب انتفاضة آل أزيرج عام ١٩٥٢ واسباب فشلها ، فان هناك دراسة مختصرة كان الرفيق عبد علوان الطائي قد كتبها وأظنها نُشِرتْ في بعض أدبيات الحزب الشيوعي . في تلك الفترة وصلتني من قيادة الحزب في تشرين الثاني عام ١٩٥٢ ورقة العضوية في الحزب مذيلة بتوقيع "الرفيق باسم" وهو الاسم المستعار لبهاء الدين نوري ، وكان عمري آنذاك ٢١ سنة .

## الفترة بين عالم الوظيفة أواخر عام ١٩٥٤ والانغمار في العمل السياسي الحزبي في العاصمة

قبيل نقلي رسميا كمدير الى المدرسة المجبلية الابتدائية الواقعة شرقي مدينة العمارة في أعماق الهور المتاخم لهور الحويزة في إيران ، توليت مسؤولية منطقة الكحلاء للحزب الشيوعي العراقي وكنت حينها عضواً في اللجنة المحلية للواء العمارة . وهذه المنطقة الواسعة هي مكان سكن الفلاحين في الجزء التابع للإقطاعي الشيخ محمد العريبي الذي يليه عدد آخر أقل شأناً من الإقطاعيين وتحديداً الأراضي التي يتصرف بها الإقطاعي خريبط الفالح الصيهود وإخوته وابناؤه حتى الحدود العراقية-الإيرانية الى الغرب من المسطح المائي الكبير لهور الحويزة ، . وكان أكبر هؤلاء الإقطاعيين خريبط الفالح الصيهود النائب عن مدينة العمارة ، تتمركز قلعته وقصره في منطقة العدل جنوب غرب المنطقة التي يسكنها الشيخ محمد العريبي وهو أكبر شيوخ قبيلة البو محمد في الجزء الجنوبي من منطقة العمارة . أما الجزء الآخر من قبيلة البو محمد فيتزعمها مجيد الخليفة وشيوخ أقل منه شأناً يسكنون

المنطقة التي تمتد على ضفاف نهر المجر الكبير لتصل إلى مناطق قضاء قلعة صالح التابع للواء العمارة . والمنتوج الرئيسي للأراضي التي يقطنها البو محمد هو الرز ، وهناك بعض مزارع الحنطة والشعير القريبة من الأراضي المرتفعة . فضلاً عن ذلك كان بعض السكان في المنطقة يعتاشون على تربية المواشي ولاسيما الجاموس وعلى صيد الأسماك والطيور المائية كالخضيري ، والبوسكة ، ودجاج الماء والبراهين .

في الفترة التي توليت فيها إدارة المدرسة المجبلية التي كانت تسمى قبل ذلك مدرسة الاعيوج الابتدائية ، في حين كانت المدرسة القريبة من سكن الإقطاعي خريبط الفالح هي مدرسة العدل الابتدائية ، نُقل إلى مدرستنا معلم ظريف كان يكتب الشعر أحياناً وسأله أحدهم عن أحواله في هذه المدرسة الجديدة فانشد يقول :

ففي العدل المحبب ما استقمنا    فكيف وبالأعيوج نستقيم ؟

كان شيخ المنطقة التي تقع فيها المدرسة مجبل الفالح وصادف ان كان بيته في مدينة العمارة مجاوراً لبيت أحد أعمامي فربطتهما علاقات تجاور متينة تطورت إلى صداقة . وكان الرجل يرعاني ويعاملني كما يعامل العم ابن أخيه . ولقد شجعتني هذه العلاقة على نشر نشاطاتي الحزبية في المنطقة ، موفرة لي بعض الحماية وخاصة باغفال التقارير الأمنية التي تعرض بنشاطي . ومن المفارقات ان هذه الحماية كانت في الوقت نفسه وبالاً عليَ ، بعد ان ازدحم ملفي في أجهزة الأمن بالتقارير التي تطلب من الأجهزة الإدارية ومن مديرية معارف العمارة اتخاذ التدابير لوقف هذا النشاط . لذلك لم أكد انهي العطلة الصيفية وأعود لممارسة وظيفتي كمدير للمدرسة حتى تكشفت عمليات المضايقة عليَ وعلى المعلمين الذين يعملون معي . وعندما حل منتصف الشهر العاشر تلقيت كتاباً من مديرية المعارف يتضمن أمراً بنقلي

معلما إلى المدرسة الابتدائية في ناحية شيخ سعد ، وهي بلدة صغيرة كانت أبعد نواحي العمارة عن المدينة بل أقرب إلى مدينة الكوت منها الى مدينة العمارة .

ذهبت للالتحاق بعملي الجديد كمعلم في مدرسة الشيخ سعد وبعد أيام اضطررت لاستدعاء أمي لتعيش معي وتعينني على تدبير أمور معيشتي . فاستأجرت لهذا الغرض داراً صغيرة من غرفتين بإيجار قدره ديناران . بعد أيام من دوامي في المدرسة أولتني المدرسة مسؤولية الصف الثالث الابتدائي وتدريس مادة الحساب والرياضيات في صفي الخامس والسادس . وصادف ان أحد طلبة الصف الثالث الابتدائي كان فاضل خليل رشيد الحلاق ، الابن الأكبر للحلاق والأديب رشيد في مدينة العمارة . وكان صالونه منتدىً أدبياً لبعض المتأدبين والشعراء ومن بينهم أقارب لي ، فسألت التلميذ عن السبب الذي جاء به إلى الشيخ سعد ، فقال : ( جئتُ مع عمي الذي هو الآن مدير الناحية ) ، وكان الأخير صديقاً لعدد من أقربائي .

في بلدة شيخ سعد انقطعتُ تماماً عن رفاقي في منطقة العمارة بسبب البعد وسوء طرق المواصلات . ولم استطع الذهاب إليها إلا مرة واحدة قضيتُ فيها ثلاثة أيام في الطريق لكثرة الأمطار والأوحال وكانت المرة الأخيرة التي أرى فيها مسقط رأسي قبل ثورة تموز . ولم تكن حافلة بالأمطار والأوحال فقط بل وبالتعقيدات الكثيرة ايضا . فلقد كان مسؤول اللجنة المحلية في اللواء حينذاك كريم فرج ، وهو شخص غير جاد ومتسيب وقليل الاهتمام بمقتضيات الأمن . وقرَّب إليه شخصاً سيئاً يدعى أبا هارون وكان متقدما في السن ، لا أدري كيف وصل إلى الحزب . ومنذ عرفته عام ١٩٥٢ حين جاءني مراسلاً إلى منطقة آل أزيريج يحمل لي بعض الأدبيات والتوجيهات لم استسغ تصرفاته وادعاءاته بحيث طلبت أن لا يبعثوا إليَ مرة أخرى بهذا الشخص .

حتى والدتي التي كانت تسكن معي كوخ القصب ، قالت لي صباحاً : ( يا إبني منين هذا الرجل ؟ هذا عيونه يلصلصن مثل الحرامية ) . وكان من نتائج تقريب هذا الرجل إلى المسؤول الحزبي في العمارة كريم فرج وتكليفه بالمراسلة وبالاتصال مع بعض من يرد إلى المدينة ان اعتقل أحد أعضاء اللجنة المحلية الرفيق الراحل عباس جبار بغدادي في كمين للشرطة نظمه أبو هارون بالتعاون مع رجال الأمن . جاءني هذا المراسل وهو يحمل بعض الأدبيات الحزبية . وبسبب هواجسي وعدم ثقتي السابقة به كان موقفي منه حذراً ، ولكن ما زاد حذري منه ان شرطة الأمن السريين وهم يعرفونني تمام المعرفة ولهم مع والدي معاملات ومصالح ويهابونه ويحترمونه على ما يقدمه لهم من عطايا ، راحوا يتوافدون على الحي ويلتفتون بطريقة واضحة كما لو انهم يحذرونني من هذا الذي يسير بجانبي . فأكف عن السير ونتفق على موعد آخر ويبدو أنه يخبر عميله في جهاز الأمن بالموعد الجديد . وتتكرر العملية نفسها إذ يمر رجال الشرطة السرية بسرعة من على يميني وشمالي وأنا أسير معه حتى بلغ بهم الأمر الى تحذيري بحركات من وجوههم . عند ذلك قطعت صلتي بهذا الجاسوس الذي عرفت فيما بعد انه تطوع للتجسس لدى أجهزة الأمن في بغداد وجاء إلى العمارة . وكان آخر ضحاياه المغفل كريم فرج .

عدت إلى شيخ سعد ولا أمل لي في إعادة الصلة بالحزب في العمارة بعد ان كشفت على يدي الجاسوس المدسوس أبو هارون .

كانت تصلني بين فترة وأخرى إشارات من مدير ناحية شيخ سعد بضرورة اليقظة والحذر في نشاطي السياسي لأن تقارير أجهزة الأمن كانت قد سبقتني إلى شيخ سعد . إلى جانب ذلك كان كاتب مأمور مركز شرطة شيخ سعد أحد معارفي السابقين وكنا نلعب كرة القدم أيام الدراسة المتوسطة في فريقين متقابلين . كان عندما يصادفني في الشارع يسلم علي بحرارة . وفي

ليلة من ليالي الشتاء وكنت جالساً في الدار استمع للأخبار وخاصة إذاعة صوت العرب إذ بهذا الشرطي ويدعى رشيد ، يطرق عليَ باب البيت ليلاً وعلى عتبة الدار رأيته يحمل ملفاً كبيراً وقال لي في عجالة : ( افتح لي الباب لنجلس قليلاً في الديوانية ) . ففتحتُ له الباب وأدخلته . جلس والقلق باد عليه وقال لي : ( يا أبو مهدي دير بالك ، فهذا الملف فيه كل التقارير الصادرة عنك من الدوائر في بغداد . . تحذّر من نشاطك السياسي) . ورحتُ أقرأ بعض هذه التقارير وهو يقاطعني ويقول : ( انهم يعتزمون فصلك من التعليم وربما إلقاء القبض عليك ، فتيقظ ولا تقع بأيديهم لقمة سائغة ) . وبعد برهة خرج من الدار ولم أره قط . وبعد اسبوعين على هذه الحادثة ، جاءني في إحدى الأمسيات إلى الدار الطالب فاضل خليل وأخبرني بأن أمراً وصل إلى الإدارة في شيخ سعد بفصلي من التعليم . . وقال : (حاول ان لا تذهب غداً إلى المدرسة واعبر إلى الطرف الثاني من شيخ سعد وخذ أول سيارة تصادفك إلى بغداد دون أي تأخير . .) ذلك لأن جانب المدينة الرئيسي يقع في الغرب من مجرى نهر دجلة ولأن وسائط النقل إلى بغداد والبصرة والكوت تتحرك على الجانب الشرقي . فأوصيتُ والدتي ان تجمع بعض أغراض البيت وهي بسيطة جداً وتطلب من الجيران مساعدتها على الذهاب إلى مدينة العمارة .

في بغداد قصدتُ ابن عمٍ لي ونزلتُ عنده في الدار . عدا ذلك كانت مهمتي الرئيسية إعادة الصلة بالحزب فكتبت رسالة أوصلتها عن طريق الرفيق طاهر عبد الكريم وكان طالباً مفصولاً من كلية الهندسة ببغداد ويعمل في إحدى شركات المقاولة . بعد فترة ليست طويلة جاءني برسالة جوابية تتضمن موعداً للقاء أحد الرفاق على سدة ناظم باشا بالقرب من (طوب أبو خزامة) . فتوجه إليَ هذا الرفيق الذي لم تكن لي معرفة سابقة به ، وقد استدل عليَ

كما يبدو من العلامة التي كنت أحملها فأعطاني كلمة السر ورددت عليه بالجواب . بقينا نسير جنباً إلى جنب لبعض الوقت وهو يجر دراجته الهوائية بيديه . وتساءل فيما إذا كان لدي أي مانع من الذهاب معه واللقاء مع بعض الرفاق الآخرين . أردفني هذا الرفيق الذي كنى نفسه بـ (أبو حسن) ، وراءه على الدراجة الهوائية وقطعنا مسافات طويلة متوجهين الى شمال بغداد . وكان في أثناء ذلك يطرح علي العديد من الأسئلة ويستفسر عن المواقع التي شغلتها في عملي الحزبي ولكنني كنت متردداً في الإجابة عن استفساراته لعدم معرفتي إن كان في مستوى تنظيمي يتيح له الحصول على هذه المعلومات . ففهم ترددي وقال لي لنتحدث في أمور أخرى . وصلنا جسر الأعظمية وعبرناه لنصل مدينة الكاظمية . وخلال رحلة متعرجة بين أزقة الكاظمية وصلنا بيتاً صغيراً طرق صاحبي بابه ، ففتح لنا ودخلنا الدار ، وطلعنا السلم مباشرة إلى غرفة في الطابق الثاني وهي الغرفة الوحيدة في هذا الطابق . كما أن العائلة صاحبة الدار وهي عائلة كردية ،كانت تسكن في الغرفة الوحيدة في الطابق الأول . دخلت الغرفة الصغيرة التي يلاصق شباكها الدار المقابلة وكان فيها عدد من الرفاق ، أربعة أو خمسة ، لم أكن قد تعرفت على أي منهم في السابق .

خلال بضعة أيام من الأحاديث والمناقشات التي جرت بيننا ، اكتشفت ان الشخص الذي كان حديثه موضع اهتمام الجميع هو حميد عثمان السكرتير الأول للحزب ، خاصة وان حديثه يحمل لكنة كردية وكان قد هرب هو واثنان من رفاقه ، هادي هاشم الأعظمي وطعمة فرحان ، صيف عام ١٩٥٤ من سجن بعقوبة والتقوا بالحزب . وهكذا تعرفت على شخصية هادي هاشم الأعظمي الذي جاء بي إلى هذه الدار كما تعرفت على الرفيق عزيز الشيخ من خلال الأحاديث التي كانت تجري عن مهرجان الشبيبة والطلبة الذي كان

عزيز من الحاضرين فيه عام ١٩٥٣ في برلين . وكان الشخص الآخر الذي تأخرت معرفتي به هو حمدي ايوب ، وكان كما يبدو مراسلاً يأتي برسائل إلى قيادة الحزب ويوصل منها رسائل إلى المنظمات الحزبية . أما الشخص الآخر الذي اكتشفتُ من طريقة حديثه باللغة العربية أنه رفيق متقدم من الأكراد وعلى صلة وثيقة بحميد عثمان فلم أتعرف على حقيقة شخصيته إلا بعد فترة طويلة باسم (كاك فلاح) ، وأظنه كان مسؤولاً لفرع الحزب الشيوعي العراقي في كردستان . في تلك الظروف التي كانت تسود فيها نزعة عبادة القيادة ، كانت هذه الظاهرة واضحة المعالم من علاقة الرفاق بحميد عثمان .

في تلك الاثناء ومن خلال معايشتي لحميد عثمان لم يتكون لديَ انطباع أو قناعة بأن حميد عثمان يمتاز بأية ميزة يمكن ان تجعله أفضل من الآخرين عدا طريقته في الظهور بأنه يعرف أكثر من الآخرين ، تلك الطريقة المشوبة بعنجهية غير محببة . ولذلك عندما جاءت تنحيته من موقع المسؤول الأول في الحزب ايدتُ قرار تنحيته بحماسة ، في حين تلقاه غيري من كوادر الحزب وأعضائه الذين لم يروا حميد عثمان بل سمعوا المبالغات عنه ، ببعض التردد .

في صيف عام ١٩٥٥ ، وُجِهت ضربة إلى منظمة بغداد ، اعتقل نتيجةً لها عدد من الرفاق في مقدمتهم الرفيق كريم أحمد في حادثة القاطران وصُفيت تقريباً لجنة بغداد ووقع أغلب نشطائها بيد أجهزة الأمن مثل الرفيق عبد علوان الطائي الذي أصيب بطلق ناري في ساقه . على أثر هذه الضربة كُلف هادي هاشم بإعادة تشكيل محلية بغداد وكان هو مسؤولها الأول ودخلتُ أنا عضواً في هيئة قيادتها إلى جانب الرفيق محيي خضير ورفيقين آخرين أحدهما حمدي أيوب ولا أتذكر اسم الثاني . وأُنيطت بي مسؤولية

قطاعات بغداد حيث بُني التنظيم على أساس القطاعات ، أي مكان السكن مثل قطاع الكرخ ، قطاع الكرادة ، قطاع الكاظمية ، إضافة إلى منظمات أخرى بُنيت على أساس موقع العمل مثل العمال والطلاب ولجنة خاصة بالعمل الحزبي النسوي . ولم يمتد بنا الوقت لنعمل الكثير فقد القي القبض على هادي هاشم الأعظمي .

قبيل هذا الوقت كان حميد عثمان قد نحي من منصبه وانتخب الرفيق سلام عادل سكرتيراً للجنة المركزية وأُعيد تشكيل منظمة بغداد حيث كلف الرفيق محمد صالح العبلي بمسؤولية لجنة بغداد وصرتُ أنا عضواً فيها .

بعد حضوري عددا من اجتماعات لجنة بغداد أُلقي القبض عليَ مع ثلاثة رفاق كنتُ أُنظمهم في مقهى في منطقة الصدرية على جانب الرصافة بسبب ملاحقة أحد رجال الأمن للرفيق صاحب الحميري الذي كان وجهاً مكشوفاً لرجال الأمن . فبقينا ثلاثة أشهر رهن الاعتقال وأفرجت المحكمة عني بسبب تناقض وقعت فيه الشرطة فيما يتعلق بادعائها العثور على وثيقة حزبية في جيبي . ففي بداية القبض علينا نقلونا إلى مركز باب الشيخ وهناك فتشونا وعملوا محضر تفتيش ولم يسجل محضر التفتيش العثور على أي شيء لديَ . وبعدها أخذونا إلى دائرة التحقيقات الجنائية وكنت قد نسيت ان في أحد جيوبي وثيقة حزبية ، فاكتشفوها وراحوا يعملون محضراً للتفتيش . قلتُ لهم : ( هذه الوثيقة أنتم وضعتموها في جيبي ، إذ ان مركز التفتيش الأول في باب الشيخ لم يسجل أي شيء ) . وعندما أثرتُ هذا الموضوع أمام الحاكم ونبهتُ إليه ، غضب على ممثل التحقيقات الجنائية وانتهره وقرر اعتماداً على هذه النقطة الإفراج عني . فأعادوني إلى مديرية التحقيقات الجنائية وهناك تلقيتُ ثمن اعتراضي هذا (طن من المداعبات العنيفة) أفقدتني الإحساس بالوقت ، هل أنا في عز النهار أم في عز الليل ؟

في اليوم الثاني ربطوا يدي إلى يد شرطي وبعثوا بي إلى وزارة الدفاع على اعتبار اني مدعو للالتحاق بدورة ضباط الاحتياط العاشرة ومتخلف عنها . استلمني الانضباط العسكري وبعث معي جندياً يحرسني إلى محطة قطار غرب بغداد التي تقع قريباً من كلية الآداب ودار المعلمين العالية ليمضي بنا القطار حتى السعدية (قزلرباط) حيث يقع معسكر التدريب الذي كان آمره آنذاك حسين العمري وكان وقتذاك على صلة بالضباط الأحرار . فاستأذن الجندي المكلف بحراستي لدخولنا على آمر المعسكر سوية والقيد في معصمي وهيئتي العامة هيئة رثة . فأدى الجندي التحية وإذا بالآمر يصرخ فيه (لك إنته جايبه دنحطة بالسجن ؟ فك الكلبجة) . فأخذ حارسي يفك الكلبجة مرتبكاً وقال الآمر موجهاً الكلام إليَ (شوف إبني انت هنا ماكل ، شارب ، لابس ونعطيك ١٠ دنانير بالشهر ، وإذا ما يعجبك وتريد تفر ، ففر من هسة وباب المعسكر تسع جمل) . فقلتُ له : (لا سيدي ، يعجبني ، أريد أخلص الخدمة ) . فصاح الآمر على المرؤوسين موصياً بتوفير أدوات الحلاقة وفرشة اسنان لي . وما أن خرجتُ من عند الآمر الذي تولى مسؤولية محافظة الكوت بعد ثورة تموز مباشرة حتى كان بانتظاري الرفاق والأصدقاء قرب قاعات النوم ، ومنهم عبد الرزاق الصافي وثابت العاني وعدنان الأسود (السامرائي) وعشرات اخرون . وكانت الفترة التي قضيتها من أمتع الفترات في حياتي وتوليتُ مسؤولية المنظمة الحزبية في المعسكر .

في الأيام الأخيرة لدورة ضباط الاحتياط العاشرة لم يبق في المعسكر إلا بضعة رفاق التحقوا متأخرين أمثال الراحل ثابت حبيب العاني وطاهر عبد الكريم وعدنان السامرائي وعبد الرزاق الصافي وأنا . فصرنا نتخرج تباعاً منهين خدمتنا العسكرية . وكنت وعدنان السامرائي اخر المتخرجين . ومن المفارقات المضحكة ان ملاك معسكر التدريب كان يتفوق علينا بالعدة والعدد

ورغم ذلك فعندما تحين ساعة التدريب يرتفع العلم العراقي وينفخ الجندي كل صباح في بوقه ويصطحبنا العريف المدرب إلى جانب الضابط آمر الفصيل ويفتح المطعم . وحينما يحل يوم الجمعة من كل اسبوع ، كنا ننزل إلى بغداد في عطلة نهاية الإسبوع .

## بداية العلاقة مع زوجة المستقبل...!

في إحدى هذه العطل دعاني المرحوم ثابت حبيب العاني إلى داره يوم السبت أنا وعدنان لنحضر عيد ميلاد ولده الشهيد حسان . ويبدو انه دعا الرفيقة زكية شاكر ومعها زوجة المستقبل الرفيقة إنعام عبد الحميد العبايجي . وكانت وقتها من العضوات المتقدمات في منظمة الحزب النسائية . فتعرفت عليها حينما لمحتها وسألتها إن كان أخوها الرفيق الراحل توفيق العبايجي في الدار ، فأجابت أنه ليس موجوداً الآن . بعد ذلك اللقاء كنت استغل صداقتي ومسؤوليتي عن الرفيق الراحل حسين الكمر زوج أختها الكبرى الرفيقة ناهدة العبايجي عضو اللجنة النسائية ، فاصبحت أتردد على الدار .

وبسبب كوني من كوادر الحزب الشيوعي غير المعروفين كعنصر قيادي ، لم يكن الآخرون يعرفون شخصيتي وعائلتي ومن أية مدينة . بقيت شخصية شبه مجهولة في كثير من الأوساط الحزبية ، حيث ساعدني هذا الوضع على حرية التحرك . وحتى الرفيقة إنعام التي تعرفت علي ، لم تعرف اسمي الحقيقي إلا بعد انتصار ثورة تموز في حين كانت تعرفني قبلها باسم مستعار كنت أُكنى به وهو أبو داود .

كانت إنعام عبد الحميد العبايجي عضواً نشيطاً في الحركة النسائية العراقية سواءً منها الديمقراطية والمهنية أو الحركة النسوية الشيوعية . وكانت إهتماماتها قد بدأت عندما نشطت في الإضرابات والمظاهرات ضد حلف

بغداد وهي لا تزال طالبة في كلية التجارة والاقتصاد في بغداد . وبسبب نشاطها المعارض هذا أوقفت وفُصلت من الكلية مع عدد من طلاب التجارة والاقتصاد .

كما دخلت السجن مرات عديدة في مختلف المناسبات . ومن المفارقات ، أننا كنا بعد مجيء البعث إلى السلطة في أعقاب انقلاب ١٩٦٨ نجتمع في عدد من بيوت السياسيين الذين لا يؤيدون انقلاب البعث عام ١٩٦٨ أمثال علي صالح السعدي وعبد الستار الدوري وحمدي عبد المجيد ومن السوريين عبد الفتاح الزلط ومصطفى حمدون وأكرم الحوراني ، وعدد من الشيوعيين العراقيين منهم الرفيق نوري عبد الرزاق إضافة إلى شخص آخر جزائري كانوا يطلقون عليه اسم يوسف . ويبدو ان هدف هذه الاجتماعات كما تكون لديَّ انطباع فيما بعد ، ليس إيجاد صيغ معارضة للبعث بمقدار ما كانت تستهدف إقناع أوساط من تيارات مختلفة بضرورة التعاطي الإيجابي مع الحكم الجديد . المفارقة ان علي صالح السعدي ألح على ان يعقد اجتماعاً آخر في بيتي ليتعرف مرة أخرى على زوجتي التي كان معها في الدعوى التي أقيمت أمام القضاء العراقي بحق المشاركين في أعمال الاحتجاج على حلف بغداد . وعند مفاتحتي لها رفضت الفكرة .

ومع ان كل مستلزمات الزواج كانت متهيئة لنا في ذلك الحين ، إلا أن انشغالاتنا السياسية لم تتح لنا اغتنام الوقت للزواج قبل ١ أيار ١٩٥٩ . وبقينا تلك الفترة في مرحلة الخطوبة . لقد اعتبرتُ ارتباطي بزوجتي فرصة العمر لأني كنت بحاجة إلى زوجة لا تتوفر فيها مقاييس الجمال فحسب ، بل وشريكة لي في حياتي التي كرستها للعمل النضالي . وقد تحملتْ في هذا المجال ما لم تكن تتحمله أية امرأة غيرها . فالفترات التي عشتها بعيداً عنها لم تكن قصيرة سواءً في السفر أو المعتقلات أو الاختفاء ، بل إنها تحملت

وحدها الكثير من أعباء تنشئة الأطفال ورعايتهم وتربيتهم ولم تكن تشكو كسائر النساء من صعوبات الحياة المعاشية التي كنا نمر بها في بعض الأحيان بل كانت تبادر لحلها ببيع كل ما جمعته من هدايا منذ زواجنا حتى إنها باعت هدية الزواج الأولى التي قدمتها لها .

## مواصلة العمل في منظمة بغداد

بعد انتهاء الفترة القانونية لدورة ضباط الاحتياط العاشرة ، كان من المفترض ان نكلف بالخدمة في الجيش كضباط ، ولكن بسبب خشية النظام حينذاك من نشاطنا السياسي في القوات المسلحة ، تم تسريحنا صيف عام ١٩٥٦ .

ما ان وصلتُ إلى بغداد حتى ألحقني الحزب عضواً في لجنة بغداد القيادية التي كان قد تولى مسؤوليتها الشهيد الراحل عبد الرحيم شريف . وكان أعضاء اللجنة الآخرون الذين يعملون معنا : عزيز الشيخ ، محيي خضير ، حمزة سلمان وداود الصائغ . وكانت لجنة بغداد هذه قد بنيت تنظيمياً بموجب قرار تنظيمي اتخذ في الكونفرنس الحزبي الثاني الذي عقد ببغداد في عام ١٩٥٦ ويقضي هذا القرار بأن تتفرغ لجنة بغداد سياسياً لقيادة المنطقة .

أما الشؤون التنظيمية فكانت تناط ببعض الرفاق من ذوي الكفاءات العملية من القادرين على الحركة بسبب عدم انكشافهم للأجهزة القمعية . لذلك كنتُ مشرفاً على عدد من اللجان التابعة للجنة بغداد : اللجنة الطلابية ولجنة الأسواق والشركات التجارية واللجنة النسائية . أما اللجنة العمالية فكان مكلفاً للاتصال بها الرفيق محيي خضير ولكنها كانت تُزار باستمرار من قِبل الرفيق السكرتير الأول للجنة المركزية كمشرف عليها ورفاق آخرين من قيادة الحزب اهتماماً بتنظيم العمال في إطار منظمات الحزب الشيوعي .

استمر عملي في لجنة بغداد المتفرغة هذه حتى انتفاضة ١٩٥٦ التي نشبت في البلاد بسبب العدوان الثلاثي على مصر وكانت اجتماعات اللجنة كاملةً تنعقد كل اسبوعين ، في حين كنا نحن الثلاثة عبد الرحيم شريف ومحيي خضير وأنا نجتمع في أوقات أقرب للنظر فيما تبعثه اللجان المحلية : الطلاب والنساء ولجنة الشركات والبنوك والأسواق التجارية ولجنة مدينة الكاظمية .

كانت اللجنة العمالية تتكون من بعض الوجوه العمالية البارزة في الحركة النقابية ولكن بسبب شعورهم بكونهم قادة عماليين كانوا يخلقون باستمرار صعوبات أمام الرفيق محيي خضير ، فصار الشهيد سلام عادل يكثر من اللقاء بهم بلا جدوى نظرا لتقاعسهم عن تنفيذ المهام الحزبية . كانوا يتشبثون بمناقشة الوضع السياسي وتنتهي الاجتماعات دون ان يناقش الوضع السياسي او أية قضية تنظيمية أخرى . لذا أعلن الرفيق محيي خضير أنه لا يستطيع مواصلة العمل معهم ، فطلب ان يبعث الحزب بشخص آخر إليهم . فذهب إليهم الرفيق سلام عادل مرةً ومرتين دون فائدة ، وقال : (انني في كل مرة أذهب إليهم ، أشعر و كأني مربوط إلى شبة) . والشبة هي عمود يستعمل في سقف المضايف المصنوعة من القصب في أرياف جنوب العراق . فاقترح الرفيق سلام عادل عليَ أن أذهب إليهم ، لاسيما وأن وجهي غير معروف لهم . فقلتُ ( نعم ولكن بشرط ان تطلقوا يدي في التعامل معهم ) .

قبل أن أذهب إليهم ، أبلغهم الرفيق محيي خضير بأن الحزب سيبعث إليهم بمشرف جديد ذي خبرة في القضايا العمالية سواءً في العمل النقابي أوفي العمل الحزبي . فحاولوا أن يعرفوا من أكون فلم يعطهم جواباً واكتفى بقوله أنه من البصرة . وقبل ان أذهب للقاء بهم مع مشرفهم ، اطلعتُ منه على كل اوضاع التنظيم الحزبي العمالي ودونتُ كل ما كانوا يثيرونه من

اعتراضات أو انتقادات على سياسة الحزب .

عقد الاجتماع في دار الرفيق عبد القادرعياش المسؤول الأول عن اللجنة وهو من العمال المخضرمين في قيادة العمل النقابي العمالي . اذ كان رئيساً لنقابة عمال المطابع وحين تأسس اتحاد النقابات العمالية ، تراس ذلك الاتحاد . أما الآخرون ، فمنهم عامل يعمل في المطابع لا أتذكر اسمه ، وآخر كان في وقت ما رئيس نقابة عمال السجائر وهو عبد الله حيدر ، والرفيق الشهيد الياس حنا (أبو طلعت) والرفيق حكمت كوتاني .

بدأتُ الحديث معهم قائلا ( أني أفضل ان نتعرف اولا على بعضنا بعضاً وعلى الوضع التنظيمي في منظمات اللجنة العمالية . فهذا هو الاجتماع الأول ولدينا متسع من الوقت في اجتماعات أخرى لنتحدث عن سياسة الحزب ) . حاولوا التملص ، فلم أتزحزح عن موقفي ، وقلتُ لهم : (ما الذي تريدون أن تقولوه عن قيادة الحزب وأنا لأول مرة معكم للتعرف على أوضاعنا التنظيمية في هذا المجال الحيوي والهام من مجالات نشاط الحزب ) . فأُسقط في أيديهم ورحتُ أفتح الموضوع مباشرة دون مقدمات قائلاً لا بد انكم تعرفون الأهمية التي تحتلها اوضاع الحزب في المنظمات العمالية ذات الطابع البروليتاري وكيف أنها المحور الذي ينبغي ان يدور عليه ليس فقط نشاط المنظمات الحزبية في اللجنة العمالية ، بل ومنظمات الحزب كلها ولنبدأ بأوضاعنا بين عمال السكك .

فظهر ان لديهم خلية واحدة ليس لديهم معلومات عن أوضاعها الآن ، وان للحزب عدداً من المرشحين من عمال السكك موزعين على مواقع ثانوية هي أقرب إلى المواقع الوظيفية من كونها مواقع قيادية في الحركة العمالية . كانوا هم يتحدثون عن أوضاع الحزب ، وكنتُ أنا أسأل عن وضع معامل الشالجية . بدأ الرفاق ينكمشون على أنفسهم من هذه الأسئلة التي ليس لها

جواب عندهم . كان هذا فيما يتعلق بعمال السكك . وفعلتُ الشيء نفسه معهم حول ما لدينا من تنظيمات بين عمال النسيج وعمال السجاير ومصلحة نقل الركاب وعمال مصافي النفط ، فظهر ان وضع الحزب في هذه المواقع ليس بأحسن من وضعه لدى عمال السكك .

ثم أردفتُ قائلاً بانزعاج كبير ان هذا وضع مؤسف . ورحت أتساءل عن الفترة التي مرت على ممارستهم لقيادتهم العمل الحزبي بين العمال . وظهر ان أكثرهم عمل في هذه اللجنة مدة لا تقل عن سنة ، فطويتُ الأوراق التي أمامي ورحت أتساءل : ( إذن ، أين العمال الذين تنظمونهم في صفوف الحزب إذا كانت كل هذه المؤسسات على هذا الوضع ، أخشى ان تقولوا ان لدينا خلية بين العمال "البنجرجية" أو كذا عدداً من العمال في المؤسسات الخاصة) .

بدأوا يحاولون التراجع متذرعين بأنهم لم يكونوا يحظون باهتمام من قيادة الحزب ، فقلت لهم (انتم المسؤولون أولاً وأخيراً لأنكم نسيتم أو تجاهلتم ان مهمة الشيوعيين الرئيسية هي تقوية صلات الحزب بالجماهير من خلال كسب الجماهير وتنظيمها في صفوف الحزب ) . وقبل ان أنهي الاجتماع قلت أنا مستعد ان نبدأ الطريق معاً على أساس إعطاء الأولوية لأمورنا التنظيمية في ميدان التنظيم العمالي .

في الاجتماعات اللاحقة ، ظهر ان بعضاً منهم تأثر ايجابياً بنتائج هذا الدرس أمثال الشهيد الياس حنا (أبو طلعت) وحكمت كوتاني . أما الآخرون أمثال عبد القادر عياش وعبد الله حيدر وعامل المطابع ، فقد تشبثوا بمواقعهم الأمر الذي أضطرنا في قيادة بغداد الى ان نهيئ الظروف لتشكيل قيادة جديدة للجنة العمالية أدخلنا فيها كليبان صالح ، وهو عامل ميكانيك وشقيق الرفيق محمد صالح العبلي ، وبيتر يوسف . ومن جانب آخر ، اتخذت

قيادة بغداد قرارات بعقوبة كل من عبد القادر العياش وعبد الله حيدر وعامل المطبعة بتجميد عضويتهم في الحزب وبقاء صلاتهم فردية بسبب عرقلتهم تنفيذ سياسة الحزب وبلفت نظر لكل من الياس حنا وحكمت كوتاني . كما أدخلنا الرفيق حنا في عضوية اللجنة العمالية الجديدة .

وكانت النتائج التي وضعناها لتطوير عمل اللجنة العمالية الجديدة وبناء المنظمات خلال فترة ستة أشهر ، قد أظهرت نجاحاً كبيراً اضطر حتى أولئك الذين ساهموا في العرقلة ، إلى الإقرار بها . أما حكمت كوتاني ، فقد انتدبه الحزب إلى مهمة خارج بغداد .

## الكونفرنس الحزبي الثاني عام ١٩٥٦

عُقد الكونفرنس الحزبي الثاني في دار واقعة في تل محمد من بغداد وفي غرفة تقع قبل بداية سطح الدار فسيحة نسبياً ، وسط السلم المؤدي إلى السطح . وكانت المادة الرئيسية في مناقشة أعمال الكونفرنس تقرير سياسي أعده الرفاق سلام عادل وجمال الحيدري وعامر عبد الله ، حول التطورات السياسية على الصعيد العالمي وصعيد حركة التحرر العربية والعالمية التي تناولها المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفيتي ، لاسيما فيما يتعلق بإمكانية التحول السلمي نحو الاشتراكية .

وكان هذا الجزء من التقرير موضع اعتراضات واسعة في هذا الاجتماع وخاصة في أوساط القاعدة الحزبية . كما عالج التقرير لأول مرة الموقف من القضية القومية الكردية ، فتبنى التقرير شعار الحكم الذاتي لكردستان . وعلى الصعيد التنظيمي دعا إلى قيام أسس منفتحة بشأن إتاحة الفرصة أمام اللجان الحزبية للتمتع بصلاحياتها كاملةً .

انعقد الكونفرنس تتويجاً للجهود التي بذلتها قيادة الحزب لتوحيد

صفوف الشيوعيين العراقيين في منظمة موحدة . وكان ذلك بعد ان أعلنت منظمة وحدة النضال الشعبي عن حل نفسها والاندماج بالحزب الشيوعي . كما ان منظمة راية الشغيلة أعلنت حل نفسها والاندماج بالحزب الشيوعي العراقي .

إن تقديرات الكونفرنس حول الطريق السلمي للاشتراكية ، لم تبرر نفسها ، وسرعان ما تخلى الحزب عن هذه السياسة وانتهج سياسة أكثر تقديراً لواقع الظروف في العراق ، حيث ان الحكم يلجأ في قمعه لأية معارضة الى أكثر وسائل العنف وحشيةً .

ومن بين مفارقات الكونفرنس الثاني للحزب أن يحضره مثلاً الدكتور كمال فؤاد ، عضو المكتب السياسي للاتحاد الوطني الكردستاني عندما كان ممثلاً لمنظمة الحزب الشيوعي في كردستان ، في حين حضره اثنان من الشيوعيين المخضرمين ممن كانوا قد التحقوا بالفيلق الاممي في اسبانيا دفاعاً عن الثورة الإسبانية ضد الانقلاب الفاشي الذي قاده فرانكو . كما حضر الكونفرنس ممثلاً عن منظمة الحزب في تكريت آنذاك ، علي حسين عبد الرشيد ، ابن عم ماهر عبد الرشيد ، فضلاً عن شخصيات سياسية أخرى مثل صالح الحيدري من مؤسسي حزب البارتي الكردستاني وحميد حمدي (أبو رعد) من الشيوعيين الموصليين القدامى .

تميز عام ١٩٥٦ بوقوع أحداث سياسية كبيرة فيه . فلقد أدخل نوري السعيد متجاهلاً إرادة الشعب ، العراق في حلف بغداد ، الأمر الذي أدى إلى تصاعد الحركة الجماهيرية الاحتجاجية ضد النظام وضد الأحلاف العسكرية . واضطلعت منظمة بغداد بدور هام في هذه الأعمال الاحتجاجية وفي قيام سلسلة واسعة من الإضرابات والاعتصامات الطلابية في كليات بغداد ومدارسها . وبذلك تحولت قيادة بغداد في هذه الفترة إلى هيئة أركان لقيادة

التحركات الجماهيرية . فلا يفوت اسبوع إلا وتنطلق مظاهرة في الكرخ تعقبها مظاهرات أخرى في مناطق مختلفة من بغداد .

وازداد الوضع تفاقماً في خريف عام ١٩٥٦ على أثر العدوان الثلاثي على مصر فأحرجت حكومة نوري السعيد وأعطى العدوان قوة دفع جديدة للحركة الاحتجاجية ليس في بغداد فحسب بل وفي مدن أخرى لاسيما البصرة والنجف والسليمانية وغيرها . وكان دور قيادة منظمة بغداد بارزاً في هذه الاحتجاجات بحيث لم تزج المنظمة بقواعدها فحسب بل وزجت بكوادر معروفة من قياداتها أمثال الشهيد حمزة سلمان الذي قاد مظاهرة في جانب الكرخ . وفضلاً عن الدور الذي كنت أقوم به في التنسيق بين مختلف الاحتجاجات والتظاهرات في بغداد ، فقد كنت في مقدمة المظاهرة التي نظمها الحزب وقادها في منطقة باب المعظم حيث استشهد بين يدي برصاص رجال الأمن المناضل الشيوعي عواد الصفار . ومن النشطاء الذين أبلوا بلاءً حسناً في هذه المظاهرات الرفيق الراحل ثابت حبيب العاني والرفيق عبد الرزاق الصافي والرفيق الراحل حسين الكمر والعشرات من الكوادر النسائية .

كانت الحركات الجماهيرية الواسعة أيام العدوان الثلاثي على مصر بمثابة التمرين الأخير الذي سبق ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ . ومثلما كان الوضع الجماهيري يغلي وتتصاعد استعدادات الجماهير لخوض نضالات متعددة الأشكال ضد النظام وسياساته ، فإن الجيش كان هو الآخر يغلي بالحركات المناهضة للنظام . وبدأ الضباط ، صغارهم ومتوسطوهم وحتى الفئات العليا ، يتجمعون في تشكيلات صغيرة ومتوسطة وكبيرة . وهذا ما دفع بالحركة السياسة العراقية وأحزابها ولاسيما الحزب الشيوعي إلى بذل مزيد من الاهتمام لكسب وتنظيم منتسبي القوات المسلحة ، سواءً في الإطار الوطني العام أو في الإطار الحزبي .

في هذه الظروف التي تصاعدت فيها أهمية الجيش ، صدر قرار من قيادة الحزب بنقلي من عضوية منطقة بغداد إلى مسؤولية التنظيم العسكري . عند التحاقي بمهام مسؤوليتي الجديدة ، كان لدى الحزب عدد من الرفاق الضباط سواءً منهم الموجودون في الخدمة أو المسرحون وأغلبهم من ذوي الرتب الصغيرة - ملازم إلى نقيب - ولهم صلاتهم بعدد من الأنصار والمؤيدين . وكان عمل الحزب حينذاك في إطار الإتحاد الوطني للجنود والضباط . وهذه المنظمة كانت تصدر بشكل غير منتظم نشرة تدعوها (الاتحاد الوطني) . كانت النشرة وكذلك (الاتحاد) لا يتمتعان بشعبية واسعة بين أوساط الضباط ذوي الرتب المتوسطة والكبيرة لاسيما من غير الشيوعيين واليساريين . وكانت ترد الحزب بين فترة وأخرى ، ملاحظات بضرورة إيقاف النشرة لأنها تلفت نظر الأجهزة السرية للنظام التي بدأت تزيد اهتمامها في ملاحقة الحركات المعارضة في الجيش . وعند تدارس هذا الأمر وجدنا ان من الضروري إيقاف النشرة ، وكذلك التفكير بإيجاد صيغة جديدة لشكل التنظيم الذي يتناسب والمرحلة التي نعيش فيها .

اتفق الرأي فيما بين العاملين في هذا الميدان لاسيما الرفيق الشهيد فاضل البياتي ، والرائد كاظم عبد الكريم على مناقشة هذا الموضوع وتكوين اطار جديد من خلال إلحاق عددٍ من العسكريين اليساريين فيه أمثال العقيد إبراهيم الجبوري وفيما بعد الزعيم الركن اسماعيل علي وأخيراً المقدم وصفي طاهر الذي التقيته في داره في كمب الصليخ ، فوعد بتبني وتأييد هذا التشكيل واعتبر نفسه جزءاً منه على ان لا يؤثر ذلك على علاقاته مع مجموعة الضباط الأحرار .

عقدنا الاجتماع الأول في دار الشهيد فاضل البياتي وأعلنا مجددا قيام "الاتحاد الوطني للضباط والجنود" ووضعنا أهدافاً وطنية عامة وقسَماً يتلوه كل

من يوافق على أهداف الاتحاد وينضم إلى صفوفه .

## العودة إلى قيادة بغداد

في بداية عام ١٩٥٧ ، لا أتذكر بالضبط أي شهر لكنه على الأرجح كانون الثاني ، قام أحد رجال الأمن تعرف سابقاً على الرفيق عبد الرحيم شريف بالقاء القبض عليه حين كان خارجاً من الدار الحزبية مساءً ليذهب كعادته في آخر أيام الاسبوع إلى داره في الصرافية . فقررت قيادة الحزب أن أتولى مسؤولية قيادة منطقة بغداد . عندها أحدثنا بعض التغييرات في تشكيل لجنة بغداد ، فأصبحت على النحو التالي : الرفيق ثابت حبيب العاني مسؤول الطلبة وعضو لجنة بغداد ، والدكتورة نزيهة الدليمي مسؤولة اللجنة النسائية وعضو لجنة بغداد ، والرفيق محيي خضير عضو لجنة بغداد والمسؤول عن توزيع الأدبيات والمراسلة ، وبيتر يوسف مسؤول اللجنة الطلابية للمعاهد العالية وعضو لجنة بغداد . هكذا كان ملاك لجنة قيادة بغداد في عشية ثورة تموز .

## لجنة بغداد وثورة تموز

على الرغم من أن منظمة بغداد هي من أهم وأوسع منظمات الحزب بحكم موقعها وبحكم احتكاكها بالأحداث ، ولما كانت توليه قيادة الحزب من اهتمام خاص بها باعتبارها واجهة للحزب الشيوعي في عموم القطر ، فان المرء سوف يستغرب لو عرف ان كل منطقة بغداد قبيل ثورة تموز بما فيها من أعضاء ومرشحين لم تتجاوز ٣٠٠ عضو . وكان الطموح الذي نعمل من أجل تحقيقه قبل ثورة تموز لتطوير منظمة بغداد وتوسيع قاعدتها الحزبية هو الوصول الى ٥٠٠ عضو .

من هذا المنطلق وبناءً على هذا الواقع ، فإن منطقة بغداد التي كانت تبذل كل ما أوتيت من طاقات تنظيمية ومزايا قيادية اكتسبتها من سنوات العمل الطويل ، وجدت نفسها في صبيحة الرابع عشر من تموز مدفوعة بالزخم الجماهيري وضخامة المهمات التي انتصبت أمامها في ميدان تنظيم الحركة الجماهيرية العارمة التي أطلقتها ثورة تموز ، وتعبئتها وقيادتها .

في عشية الإعداد لثورة تموز ، كان الحزب قد أصدر بياناً ينبئ بأحداث هامة خلال بضعة أيام . وفي قيادة بغداد ، احتفظنا بهذه الوثيقة دون ان نوزعها تمهيداً لقيام الثورة . غير اننا أجرينا بعض الاتصالات بمنظماتنا الحزبية وعرضنا التوجهات والشعارات الرئيسية للحدث الذي يمكن ان يقع قريباً .

في ليلة الرابع عشر من تموز استعنا بالعديد من الرفاق والأصدقاء في تهيئة بضعة شعارات استعداداً لصبيحة الثورة ، ولكن الشيء الغريب والمدهش أنني عندما نزلت مع بعض رفاقنا إلى شوارع بغداد ، فوجئنا بغابة من الشعارات تنتشر في كل مكان . وهذا درس يتعلمه الإنسان من الثورة كونها تخلق الأعاجيب وان مبادرة الجماهير تفوق مبادرة وحكمة ووعي أي قيادة مهما كانت واعية ومدركة .

من شاهد تلك المظاهرات والمبادرات الجماهيرية التي حدثت في الأيام الأولى بعد انتصار ثورة تموز قد يستغرب انها من قيادة وتنظيم مثل هذه المنظمة ذات العضوية المحدودة إلا إذا وضع في حسابه ما يمكن ان تفجره الثورات من طاقات مبدعة .

في الأيام الأولى لثورة تموز وبعد ان أطلق سراح السجناء السياسيين وتجمع كادر الحزب ، أُعيد تشكيل لجنة بغداد على النحو التالي : التحق الرفيق عبد الرحيم شريف كعضو في لجنة بغداد والرفيق عبد الرزاق الصافي ، والرفيق كاظم جواد بعد ان خرج من السجن ، والشهيد الراحل طالب عبد

الجبار ، والرفيق آراخاجادور مسؤولاً للعمال ، والدكتور حسين الوردي ، وعبد القادر اسماعيل البستاني .

وفي أول اجتماع تعقده لجنة بغداد بهيئتها هذه وبحضور الرفيق سلام عادل ، اقترحتُ ان تناط مسؤولية لجنة بغداد بالرفيق عبد الرحيم شريف كونه كان قبل اعتقاله عام ١٩٥٨ مسؤولاً عنها وأعمل أنا عضواً فيها ، فلم يوافق على هذا الاقتراح وأعرب عن قناعته بأهليتي لهذا الموقع .

لقد واجهت ثورة تموز منذ أيامها الأولى تآمراً استعمارياً ومكائد للإطاحة بها وإفشالها . واستغل أعداء ثورة تموز الصراعات بين صفوف الحركة الوطنية العراقية لإضعاف مواقع الثورة .

منذ اليوم الأول لثورة تموز ، أدركت قيادة الحزب ان سلطة قاسم تتخذ موقفا يتجاهل دور الحركة الجماهيرية وموقع القوى اليسارية فيها . وظهر هذا واضحاً من تشكيلة الحكومة التي ألفها قاسم بعد ثورة تموز . فلقد كان لكل أحزاب جبهة الاتحاد الوطني ممثل في الحكومة ما عدا الحزب الشيوعي . اذ كان حسين جميل ممثلاً للوطني الديمقراطي ، وفؤاد الركابي ممثلاً لحزب البعث العربي الاشتراكي وصديق شنشل ممثلاً لحزب الاستقلال . وهذا ما أثار لدى قيادة الحزب موقفاً رافضاً لمثل هذا التمييز بين القوى التي شاركت في ثورة تموز وكان لها دور بارز فيها .

وفي أول اجتماع تعقده اللجنة المركزية للحزب بعد ثورة تموز ، أثير هذا الموضوع وكان محور الاجتماع كما طرحه حينذاك الرفيق سلام عادل ، تسوية التناقض بين قوى الثورة وشكل تمثيلها . ولقد حضر مع الرفيق سلام عادل إلى هذا الاجتماع الرفيق فؤاد نصار الأمين العام للحزب الشيوعي الأردني وكان ضيفاً لدينا في بغداد . وعندما بدأ الحديث لمناقشة هذا الموضوعة ، تدخل الرفيق فؤاد نصار بعد ان استأذن من الرفيق سلام عادل ،

محذراً من خطورة إثارة خلافات مع الحكم مؤكداً على ان مثل هذه الخلافات يمكن ان تزول مع مرور الوقت . واثار هذا لدى الرفيق الراحل زكي خيري ، إعتراضاً على ما طرحه سلام عادل معتبراً ذلك بداية لخوض صراع لا مبرر له مع حكومة قاسم ، الأمر الذي اضطر الرفيق سلام عادل الى ايقاف الاجتماع وعقده في وقت لاحق دون وجود فؤاد نصار .

قبيل الذكرى الأولى لثورة تموز ، بدأت حكومة قاسم في الهجوم على بعض مكاسبها الديمقراطية . فقبل ان تكمل الثورة عامها الأول بدأ هجوم غير معلن على الحركة الجماهيرية كغلق بعض النقابات والجمعيات الفلاحية وتزوير الانتخابات فضلاً عن تسريح عدد من ضباط الجيش وإجراء تنقلات تقلص من دور الحركة الديمقراطية . في هذه الأجواء بدأ قاسم يُضعف دور القوى الديمقراطية ويعزز القوى الرجعية والقومية في أجهزة الدولة وفي الجيش بشكل خاص .

بدأ خلاف واضح بين بعض القيادات في الحزب الشيوعي التي كانت تعتقد بأن سياسة الحزب الرسمية هي سياسة يسارية انعزالية ، وأن الأمر يتطلب تعديل هذه السياسة بإتجاه إعادة العلاقة مع سلطة قاسم . ومن بين أبرز ممثلي هذه السياسة عامر عبد الله ، وبهاء الدين نوري ، وهادي هاشم الأعظمي وزكي خيري . ولقد تفجر هذا الخلاف واضحاً في الاجتماع الكامل للجنة المركزية الذي عقد في تموز عام ١٩٥٩ .

## هل كان استلام السلطة السياسية أيام قاسم شعاراً دعائياً أم للتنفيذ؟

من بديهيات استراتيجية أي حزب شيوعي منذ البيان الشيوعي أيام ماركس تحديد الهدف الاستراتيجي الذي تعمل من أجل تحقيقه الطبقة العاملة

وسائر فئات الشغيلة . من هذا المنطلق يكتسب شعار استلام الحزب الشيوعي للسلطة السياسية احد المستلزمات الضرورية للحزب الثوري . ولكن حتى يتحقق شعار استلام السلطة السياسية ، فإن ذلك يتوقف على عددٍ من العوامل الذاتية والموضوعية وعلى توازن القوى السياسية سواء في بلد معين أو على صعيد المنطقة أو العالم والتي يمكن ان تحول هذا الهدف من مجرد شعار للدعاية والتحريض إلى شعار من أجل العمل المباشر .

يخيل إليّ أن سياسة الحزب الشيوعي العراقي منذ اللحظات الأولى لانتصار ثورة تموز كانت تتضمن مثل هذا الفهم . فعندما طرح الحزب ضرورة إزالة التناقض بين قاعدة الثورة وشكل الحكم الذي جاء بعد ثورة تموز ، إنما كان يعبر عن فهم عميق لأهمية السلطة السياسية ودورها في المجتمع . وكان طموح الحزب الشيوعي في احتلال موقع متميز أو في احتلال الموقع الأول في السلطة السياسية يستمد مبرراته من واقع السيطرة الكاملة التي تمتع بها على الحركة الجماهيرية . فنقابات العمال وحركتها كانت بقيادته . كما تمتع الحزب الشيوعي العراقي ، لاسيما في الأيام الأولى لثورة تموز بالموقع الأول في قيادة الحركة الفلاحية . وإذا كان الحديث يجري عن المنظمات الديمقراطية الطلابية والشبابية والنسائية ، فلقد كان دوره هو الدور الحاسم في قيادة هذه الحركات .

ولذلك إذا كان الحزب الشيوعي يطمح لاحتلال موقع في السلطة السياسية ، فلأنه يحتل هذا الموقع في الحركة الجماهيرية . ورغم ان شعار مشاركة الحزب في الحكم مطروح في الشارع العراقي دون دراسة فانه في الواقع كان يعبر عن حاجة واقعية لخلق التوازن الضروري بين قوى المجتمع العراقي .

وقبل ان تكمل ثورة تموز عامها الأول ، برز التناقض بين القاعدة

الاجتماعية للثورة وشكل الحكم على نحو سافر وذلك من خلال الهجوم الذي تعرضت له الحركة الديمقراطية في مختلف نواحي الحياة على أيدي أجهزة السلطة وبتشجيع من القوى الرجعية . وهذا ما ترك تأثيره على السياسة اليومية للحزب الشيوعي ، هذه السياسة التي تبدت في فترة الاحتفالات بالذكرى الأولى لثورة تموز ، أي صيف عام ١٩٥٩ .

في الأيام التي كنا فيها نعد لاحتفالات الذكرى الأولى لثورة تموز ، طرح الرفيق الراحل سلام عادل في أحد اجتماعات لجنة بغداد ، تكتيك التصدي للتجاوزات والانتهاكات التي باتت تتعرض لها الحركة الجماهيرية . وأطلق سلام عادل على هذا الموقف "تكتيك قتل الديك" . وملخص الفكرة التي يرمي إليها التكتيك يستوحي واقع الحياة العملية في المجتمع العراقي . فلقد أورد سلام عادل قصة رجل هو كبير أسرته ، علم بأن الجيران قتلوا ديك الأسرة . فجمع أولاده وقال عليكم بقتل ديك الجيران . فلم يحملوا رأي الرجل محمل الجد حتى جاؤوا مرة ثانية يقولون ان جيرانهم قتلوا الكلب . فقال لهم اذهبوا واقتلوا الديك . وهكذا كلما تجاوز الجيران كان يرد عليهم بضرورة قتل الديك ، بمعنى ان لا تترك العدو أو الخصم يتجاوز دون أن ينال العقاب الرادع من البداية .

في مثل هذه الأجواء التي سادت أيام الذكرى الأولى لثورة تموز ، أكد الحادث التالي التفكير بضرورة أخذ الحكم أيام قاسم . وملخص القصة : في إحدى الأمسيات الواقعة بين ٣ إلى ٧ حزيران ١٩٥٩ ، تلقيتُ تقريراً بوصفي مسؤول منطقة بغداد ، يفيد ان ثمة حركة انقلابية يعد لها بعض الضباط القوميين والقاسميين ومنهم أحمد صالح العبدي الحاكم العسكري العام أيام قاسم . وتهدف هذه العملية الانقلابية الى الإطاحة بعبد الكريم قاسم وتصفية الحزب الشيوعي .

فالتقطت سماعة الهاتف واتصلت بجريدة اتحاد الشعب ، حيث يعمل سلام عادل . فرد عليَ ، وطلبتُ أن أراه لأطلعه على ما توفر لديَ من معلومات . فأمهلني قليلاً وقال انه والرفيق الشهيد جمال الحيدري سيحضران بعد قليل إلى مكتب بغداد الذي لا يبعد كثيراً عن جريدة الحزب .

بعد قليل وصل الرفيقان ، فالتقيت بهما في مكتبي وبادر بالسؤال : ما الذي لديك ؟ عرضتُ عليهما التقرير . فكان جوابهما انها نفس المعلومات التي تلقتها قيادة الحزب من مصدر آخر فضلاً عن ابلاغها قبل فترة وجيزة من قبل الرفيق سعيد مطر ، أحد الضباط الشيوعيين العاملين في وزارة الدفاع ، بوجود أمر مصدره وزارة الدفاع ، يقضي باعتقال قيادة الحزب الشيوعي العراقي . فطرح سؤال ، ما الذي ينبغي عمله ؟ بادرتُ إلى الجواب قائلاً : لنتغد بهم قبل ان يتعشوا بنا .

تداولنا في الأمر وتوصلنا الى أن من الصعب ، بل ومن المستحيل ان نحصل على رأي موحد فيما يتعلق بعملية الاستيلاء على الحكم داخل قيادة الحزب . عندها تركز الحديث على الإمكانات التي يمتلكها الحزب في الجيش . فاقترح سلام عادل ان نستدعي الرفيق عطشان الأزيرجاوي وهو أحد منظمي الخطوط العسكرية ولا سيما في سلاح الدبابات . فجاء وعرض أمامنا ان تنفيذ مثل هذه المهمة أمر ممكن ومتيسر حتى بدون الاستعانة بتنظيماتنا العسكرية في الخطوط الأخرى .

فتقرر في تلك الليلة اخراج مظاهرات تسد جميع الطرقات من الباب الشرقي إلى باب المعظم تمنع خروج أي كان من وزارة الدفاع . وأغلق مكتب جريدة اتحاد الشعب وانتقل الرفيقان سلام عادل وجمال الحيدري إلى دار في منطقة باب الشيخ قريبة من مكتب بغداد . واتفق على ان التحرك سيتم بعد منتصف الليل بفتح الطريق نحو وزارة الدفاع لاعتقال عبد الكريم قاسم

والضباط المتآمرين . في تلك الأثناء عاشت بغداد تلك الليلة والجماهير تحتشد في الشوارع والأزقة وتردد هتافات بحياة الجمهورية العراقية . وحينما حاول البعض الخروج من وزارة الدفاع ، لم يتمكنوا من ذلك لأن الشوارع كانت مغلقة بالجماهير والمكتب الوحيد من مكاتب الحزب الذي بقي على صلة سواء بمنظمات الحزب أو بسلام عادل هو مكتب بغداد .

راح مرافقو عبد الكريم قاسم وكبار ضباط وزارة الدفاع يستفسرون ما الذي يجري في بغداد . ولم يحصلوا على أجوبة شافية لأن مكاتب اتحاد الشعب وهي المقر الرئيسي لقيادة الحزب أغلقت وصاروا يتصلون بأعضاء قيادة الحزب في بيوتهم . وكان هؤلاء القياديون يتصلون بدورهم باتحاد الشعب دون ان يحصلوا على رد . كما اتصلوا بداري سلام عادل وجمال الحيدري ، فلم يعثروا عليهما . فاتصلوا بمكتب بغداد يسألون عن هذه المظاهرات التي تملأ شوارع بغداد ، فأخبرتُهم بأنه قرار من الحزب . اجتمع قادة الحزب وتوجهوا إلى مكتب بغداد وهم الرفاق عامر عبد الله وكريم أحمد وزكي خيري وآخرون وأخذوا ينحون باللائمة عليّ كوني اتخذتُ قراراً واصدرتُ التوجيهات بالتظاهر في هذا الوقت من الليل دون مبرر . فأجبتهم انه قرار أبلغني به الرفيق سكرتير اللجنة المركزية . فذهبوا دون ان أدلهم على مكان سلام عادل وجمال الحيدري ، ولكنهم عرفوا المكان من بعض الرفاق الذين يقفون في الشارع .

ذهبوا إلى الدار حيث التقوا بسلام عادل . ويبدو ان مناقشات حادة جرت واضطر الرفيق سلام عادل للمجيء إلى مكتب بغداد وأشار بتفريق المظاهرة وإبلاغ الرفيق عطشان الإزيرجاوي بإرجاء التحرك . .!

## أيام في جمهورية الصين الشعبية

في أعقاب اجتماع اللجنة المركزية الكامل المنعقد في تموز عام ١٩٥٩ وبناءً على قرار من المكتب السياسي يفيد بضرورة إرسال عدد من أعضاء اللجنة المركزية إلى الاتحاد السوفيتي للدراسة الحزبية ، كنت التقي مع الرفيق سلام الناصري لأطلعه على أوضاع منظمة بغداد ولكي يتعرف على أعضاء المنظمة وأسلوب عملها وبرنامجها ذلك لأنه سيخلفني في قيادة منطقة بغداد .

أما الذين تقرر إيفادهم للدراسة فهم : هادي هاشم الأعظمي ، وجمال الحيدري ، عضوا المكتب السياسي ، وصالح دكلة عضو اللجنة المركزية ، وإنعام العبايجي ، عضواللجنة النسائية (زوجتي) ، وعزيز الحاج ، مرشح اللجنة المركزية ، وزوجته آمنه النهر ، وشريف الشيخ ، عضو اللجنة المركزية .

وصادف ان تلقت قيادة الحزب دعوة من قيادة الحزب الشيوعي الصيني لزيارة الصين بمناسبة احتفالات الذكرى العاشرة للثورة الصينية . ولذلك اختارت قيادة الحزب اعضاء الوفد وكانوا : هادي هاشم الأعظمي رئيساً للوفد ، وعضوية كل من جمال الحيدري ، ومحمد حسين أبو العيس ، وصالح دكلة ، وعامر عبد الله . ولكن الأخير لم يلتحق بالوفد اعتراضاً منه على تعيين الأعظمي رئيساً للوفد .

ولأن زوجتي لم تكن عضواً في الوفد ، أدخلناها وأنا كذلك في الوفد الصحفي العراقي من أجل الحصول على جوازات السفر . وفي يوم ٢٢ أيلول ١٩٥٩ استقل الوفد الصحفي ونحن ضمنه طائرة باكستانية إلى كراتشي وانزلتنا الشركة في فندق من فنادق الدرجة الأولى في قلب المدينة .

وقبل الانتقال الى بقية خطوات الرحلة ، أرى من الطريف ان أتطرق إلى

بعض انطباعاتي في باكستان أو بالأحرى في كراتشي .

عندما هبطت بنا الطائرة في مطار كراتشي وفتحت أبوابها للنزول ، إذ بنا نشعر بنفحة هواء ساخن تصفع وجوهنا ، في حين كان الطقس معتدلاً في مطار بغداد . فنزلنا وإذا بمراسلي وكالات الأنباء والصحافة الباكستانية قد أعدوا لنا مؤتمراً صحفياً . سأل الصحفيون الباكستانيون عن كل شيء ولم يتركوا زاوية من زوايا الوضع العراقي لم تتناولها أسئلتهم واستفساراتهم . وكان الجميع يركز في توجيه أسئلته عليّ كوني ممثلاً لجريدة اتحاد الشعب الناطقة باسم الحزب الشيوعي العراقي ، الأمر الذي شعر معه زملائي ببعض الضيق وهذا من حقهم لأنهم مسؤولون عن إظهار نشاط أحزابهم . وأذكر من هؤلاء الزملاء : عبد الله عباس (ممثل الوطني الديمقراطي) محمد حسن الصوري (ممثل جريدة الحضارة) ومفيد الجزائري .

بعد انتهاء المؤتمر الصحفي ، نقلتنا سيارة باص إلى الفندق ومن المفارقات انني في كل لحظة كنت أشعر بخوف من ان يصطدم الباص وجهاً لوجه بما يقابله من سيارات . اذ لم أكن أعرف أن طريق السير في الباكستان على يمين الشارع خاصة وان الوقت كان ليلاً ، بالإضافة إلى أن ركوب الطائرة كان لأول مرة في حياتي وزوجتي كذلك .

رغم ان الفندق الذي نزلنا فيه من فنادق الدرجه الأولى ، لكن غرف النوم لم تكن مكيفة واكتفى أصحاب الفندق بمروحة سقفية فيها . حاولنا ان ننام تلك الليلة بعد عناء السفر فلم تغمض لنا عين من شدة الحرارة والرطوبة . وفي الصباح بعد ان تناولنا فطورنا ، خرجنا إلى الشارع حيث وجدنا مجموعة من الحواة وقد اصطفوا ومزاميرهم في افواههم يعزفون لأفاعي "الكوبرا" وهي ترقص أو يبدو انها ترقص من خلال حركة أصابع الحاوي . بعد ذلك أخذنا المضيفون في جولة في الباص على مدينة كراتشي ، ورأينا

البحر . كانوا حريصين على ان نرى الدور الجماعية التي بنوها للمهاجرين الكشميريين الذين كانوا رغم المظاهر الخارجية في أسوأ أوضاع يمكن ان يعيشها الإنسان .

عدنا مساءً إلى مطار كراتشي حيث كانت تنتظرنا طائرة هولندية مريحة ومجهزة تجهيزاً جيداً إلى رانغون عاصمة بورما . ومن أبرز الانطباعات التي يخرج بها الإنسان ، الخضرة التي تلف كل شيء ولكن مع قدر كبير من الرطوبة . وكانت الدور والبنايات كلها مبنية من الخشب وذلك لكثرة الأمطار التي تنهمر على البلاد في كل فصول السنة الأربعة .

ومما يلفت النظر كثرة سائقي الدراجات الذين يسحبون وراءهم عربات صغيرة ينقلون فيها الناس من مكان إلى مكان آخر لقاء أجر بسيط . وبدافع حب الاستطلاع استأجرنا أنا وزوجتي عربة طافت بنا بعض شوارع المدينة في رحلة استغرقت أكثر من ساعة . وثمة عربات أخرى لا يسحبها راكب الدراجة وإنما يسحبها المواطن كما تسحب الخيل عربة الحنطور . في تلك الصور المؤلمة والغريبة ، يتجسد ما تعانيه البشرية من آلام وظلم في بعض مجتمعات العالم الثالث .

امتدت إقامتنا في رانغون ثلاثة أيام بانتظار قدوم الطائرة الصينية لتقلنا بدورها إلى العاصمة بكين . وحين جهزت الطائرة ، طرنا عليها ولم يكن فيها غير وفدنا العراقي ووفد سياسي وصحفي من اندونيسيا مدعو للمناسبة نفسها . ومما أثار استغرابنا ان أغلبية الوفد الاندونيسي كانوا يتكلمون العربية ، إذ لم أكن أعرف قبلها ان العرب من جنوب اليمن يحظون بنفوذ ديني وسياسي كبير في تلك البلاد . وكثير من ساستهم ورجال الدولة والمجتمع يحملون ألقاباً هي نفس ألقاب عوائل معروفة في حضرموت وفي عدن وغيرها من مدن اليمن الجنوبي . فعائلة العطاس هي في الأصل يمنية

جنوبية أو بالأحرى من حضرموت ، كما ان ألقاباً مثل "با خشبة" "باذيب" . . . وأخرى مشابهة تجد مثيلاتها في إندونيسيا .

في طريقنا إلى بكين توقفت الطائرة في إحدى المدن الصينية ، إن لم تخني الذاكرة ، تدعى "جنجون" . وقام المضيفون بتنظيم جولة لنا في المدينة ثم حضرنا حفلاً غنائيا اوبرالياً في أحد مسارح المدينة . وفي اليوم التالي أقلعت بنا الطائرة إلى مدينة أخرى وفعل المضيفون ما فعلوه في جنجون من جولة للاطلاع على هذه المدينة وعلى ثقافة سكانها . وفي اليوم الثالث ، أقلتنا الطائرة متجهة شرقاً حتى نزلت أرضاً في العاصمة الصينية بكين .

وكان وفد من اتحاد الصحافة الصينية في استقبالنا في المطار . اصطحبنا الوفد مباشرة إلى الفندق للإقامة فيه . وكعادة الصينيين في إكرام الضيف ، وزعوا على أعضاء الوفد مظروفات يحتوي كل منها على مئة ين صيني . ولذلك فقد توفرت لنا ، انا وزوجتي ، نقود بمئتي ين صيني .

أبلغت مرافقنا الصيني بأني أرغب في الاتصال مع وفد حزبنا الحزب الشيوعي العراقي ، كوني أحد أعضائه ، فاستمهلني وقال : "سأتصل وآتيك بالخبر" . وبعد ان تناولنا وجبة الغذاء ، تركنا الرفيق الصيني المرافق للوفد ، مستأذناً على ان يعود ، وأخبرني ان سيارة تنتظرني وزوجتي في باب الفندق لتقلني إلى حيث يقيم وفد الحزب الشيوعي العراقي . فذهبنا والتقيت بالرفاق .

كان المضيفون الصينيون قد أعدوا لي ولزوجتي جناحاً قريباً من أجنحة باقي أعضاء الوفد . توجهت بالحديث إلى بقية الرفاق مازحاً "هلة . .هلة . . . شنهو هالدلال . .!!" فقالوا : "إنت إشايف . . لو شايف الاستقبال الذي استقبلنا به في المطار !" إذ ان الرفاق الصينيين استقبلوا وفد الحزب استقبالاً رسمياً مع الموسيقى بحيث أدخلوا الارتباك في صفوف الوفد

الذي لم يألف مثل هذه المراسم .

وكان الشخص المرافق للوفد ويسكن بالقرب منا في نفس الفندق ، أحد أعضاء اللجنة المركزية للحزب هوالشيوعي الصيني الرفيق (وو) الذي يتقن الإنكليزية إضافة إلى مترجم صيني يتقن العربية رافق الوفد أيضاً .

إن الاهتمام الذي أبدته القيادة الصينية بوفد الحزب الشيوعي العراقي ، يرجع بالطبع إلى أهمية الحزب ودوره في ثورة ١٤ تموز وما يمكن ان يعول عليه في إجراء تغييرات في العراق والمنطقة لمصلحة الثورة العالمية فضلاً عن ان الرفاق الصينيين كانوا يستهدفون استمالة الحزب الشيوعي العراقي إلى سياستهم واستراتيجيتهم فيما يتعلق بالصراع بين الاشتراكية والامبريالية في وقت يبدو ان الخلافات السوفيتية- الصينية بدأت تحت السطح في قضايا كثيرة ولكنها لم تخرج إلى العلن إلا في وقت متأخر . وكان يهم القيادة الصينية ان يتبنى حزب كبير كالحزب الشيوعي العراقي مواقفهم وسياساتهم . وانطلاقاً من هذا الواقع تجاوزت القيادة الصينية بعض الاعتبارات المتعارف عليها ، فجعلت كلمة الحزب الشيوعي العراقي في حفل الافتتاح قبل كلمات الدول الاشتراكية . كما أعطي مقعد لممثل الحزب الشيوعي العراقي إلى جوار قادة الأحزاب الشيوعية من البلدان الاشتراكية .

ولقد خصص الرفاق الصينيون في زحمة الاحتفالات وقتاً ثمينا وكبيراً لعقد المحادثات بين الحزبين . إذ استمرت المحادثات بين الحزبين ثلاثة أيام متواصلة لا تقل عن ثلاث أو أربع ساعات يومياً ، وكان وفد الحزب الشيوعي الصيني على مستوى عالٍ من التمثيل يرأسه الرفيق (ليو تشاوتشي) رئيس الجمهورية ، فضلاً عن خمسة من أعضاء المكتب السياسي ، بينهم وزير الدفاع (شوتيه) الذي كان يلقب بـ (التنين الأحمر) .

من جانبنا قدمنا عرضاً وافيا لظروف عمل الحزب وإمكانياته ودوره

الريادي في تنظيم وقيادة الحركة الجماهيريةّ . وقد ملأهم العرض إعجاباً لكون الحزب الشيوعي العراقي استطاع خلال عام واحد ان يسيطر سيطرة تامة على الحركة النقابية والفلاحية والشبابية والطلابية والنسوية ويقودها دون منازع . كما عرضنا لهم ، بعد ان أبدوا اهتماماً بقدرات الحزب التنظيمية نشاطنا في الجيش ، حيث اشرنا الى بعض ركائزنا القوية في الجيش العراقي وفي مختلف صنوف الأسلحة .

وفي أحد الأيام حين بدأت المحادثات ، فاجأنا الرفيق (ليو تشاوتشي) بخبر محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم . فارتبكنا وصرنا نريد ان نسمع المزيد ، ولكن لي تشاوتشي اسرع وقال ان المحاولة لم تنجح ، إذ لم يتعرض عبدالكريم قاسم إلا لبعض الإصابات الطفيفة وهو يرقد الآن في المستشفى . وراح ليو تشاوتشي يسأل ، "ما الذي تعتقدونه ، هل ستؤثر هذه الحادثة إيجاباً على قاسم فيشدد على الرجعية والقوى اليمينية ؟ أم أنه سيخفف عنها خوفاً من محاولات أخرى ؟"

فتشاورنا فيما بيننا واتفقنا على ان تأثير الضربة سيكون إيجابياً لمصلحة القوى الديمقراطية . فالتفت ليو تشاوتشي إلى الرفاق يشاورهم في الأمر ، ومن ثم توجه إلينا بالحديث قائلاً : "ألا تعتقدون ان الخيار الثاني هو الأصح ؟" . فقلنا يمكن ان يكون كذلك . وبالفعل فقد انحرف قاسم أكثر فأكثر نحو الاعتماد على القوى اليمينية .

وفي ختام محادثاتنا مع الرفاق ، بدأ ليو تشاوتشي الحديث قائلاً : " إن حزبكم أيها الرفاق حزب عظيم وهو يحظى بتأييد واسع من الشعب ورصيد لا بد ان تحافظوا عليه وتستثمرونه لمصلحة التقدم بخطوات إلى أمام . . . ونصارحكم الرأي ان حزبكم يمتلك قاعدة جماهيرية لا تمتلكها الأحزاب الحاكمة في البلدان الاشتراكية . ويبدو لنا ان حزبكم يستند إلى تأييد شعبي

لا نستطيع الادعاء نحن في الصين كحزب حاكم امتلاك مثل هذه الجماهيرية . كما إن الرفاق السوفييت وهم يقودون أول دولة اشتراكية في العالم ، لا يستطيعون ادعاء مثل هذا الرصيد الشعبي . ولذلك فإن حزبكم هو حزب الثورة الاشتراكية والحزب الذي ينبغي ان يقود السلطة . ولكن لا نريد ان تأخذوا نصائحنا وآراءنا هذه كشيء مسلم به ، إذ أنكم أولاً وأخيراً تستطيعون ان تقرروا ما هو في صالحكم وما هو في غير صالحكم . ذلك ان كثيراً من نصائح الرفاق السوفييت أساءت إلينا" . وكلمة أخرى قالها ليو تشاوتشي : "حافظوا على رصيدكم فإن الرصيد يمكن ان يكبر وفي الوقت نفسه يمكن ان يتقلص ويزول" .

وبعد هذا اللقاء الختامي مع الرفاق الصينيين ، اجتمعنا وحرنا كيف نقيم الحديث . فهادي هاشم اليميني والمتردد لم يلتقط من حديث ليو تشاو تشي إلا عبارة "الرفاق السوفييت أساءوا إلينا" ، في حين اعتبر الرفيق محمد حسين أبو العيس كلام الصينيين دعوة للاستعداد والتهيؤ لتسلم السلطة . وبمجرد وصوله إلى بغداد عائداً من هذه الرحلة ، قدم مشروعاً متكاملاً يقترح فيه على قيادة الحزب توفير المستلزمات الضرورية للوثوب إلى الحكم .

وضع لنا الرفاق الصينيون برنامجاً للاطلاع على المعالم السياحية في الصين ، فخصصوا يوماً لزيارة المعابد المشهورة في العاصمة بكين . عندما دخلنا المعبد البوذي واجهتنا ساحة كبيرة حول المعبد يحيط بها سور ضخم بني من الطابوق الفرشي بسمك متر واحد . وعندما يقترب الزائر من بناء المعبد المرصوف مدخله بمربعات من الرخام ، يجد ثلاثة بلاطات تختلف بعض الشيء من حيث اللون عن باقي البلاطات الرخامية ، فإذا تقدم ووقف عليها وصفق بيديه صفقة واحدة سمع صدى الصفقة بشكل مضخم ، وإذا انتقل إلى البلاطة الثانية وصفق صفقة ثانية سمع صدى الصفقة يدوي مرتين .

وعند انتقاله إلى الثالثة ، وعمل الشيء نفسه جاء دوي صدى ثلاث صفقات . عندها فقط يستطيع المرء الدخول الى المعبد .

وإذا وقف شخص في نقطة بجوار الحائط ووقف آخر في نقطة أخرى من الحائط المقابل وهمس بشيء ، فإن صاحبه يسمع همسه مدوياً وبذلك يستطيعان ان يتهامسا ولكن صدى الهمسة صوت مدوٍ . ولقد جربنا أنا والرفيق محمد حسين أبو العيس هذه اللعبة . . .!

ومن عجائب الصين الأخرى التي لا تعد ولا تحصى ، اننا كنا على موعد لزيارة شنغهاي التي تقع في جنوب الصين على شاطىء بحر الصين وهي مدينة مهمة وكبيرة وتعتبر ثاني أكبر مدينة في الصين . فإذا بي أعاني من مغص شديد انتابني فجأةً فلم استطع النوم أو الحركة . فاتصلت زوجتي بإدارة الفندق وكان الوقت بعد منتصف الليل ، فجاءني طبيب وفحصني ليقول انه التهاب الزائدة الدودية ولكن ليس الحاد وسينقلني إلى المستشفى غداً لإجراء العملية ، بعد ان أعطاني مسكناً ، اخبرته ان عليّ ان أسافر صباح غد مع رفاقي إلى شنغهاي في رحلة عمل واتصالات ، فقال الطبيب : "تستطيع السفر مع أخذ بعض الأدوية ولكن عند وصولكم إلى شنغهاي ، ينبغي ان تنقل رأساً إلى المستشفى" . وبالفعل كانت تنتظرني في المطار سيارة إسعاف نقلتني فوراً إلى المستشفى في حين أقام رفاقي في (فيلا) أُعدتْ لضيافتنا ، فيها عدد من الأجنحة كان أحدها من نصيبنا أنا وزوجتي .

بعد إجراء بعض الفحوصات الروتينية كقياس درجة الحرارة وتحليل الدم وفحص الضغط ، قرر الطبيب إجراء العملية الجراحية لي . غير إني سألته ألا يمكن تأخير ذلك إلى ما بعد الانتهاء من عملنا في شنغهاي ، فقال الطبيب : " لا يمكن ولكن إذا رغبت في الإسراع بخروجك من المستشفى ، يمكن ان نعالجك بالإبرة الصينية " . وحين أردت ان أعرف ما هي ميزة هذه الطريقة

على العمل الجراحي ، قال : "أولاً لن يكون هناك فتح للبطن أو جراحة ويقتصر الأمر على وخز الإبرة في مكان ما في جسمك وهي عملية لا يرافقها فقدان أية قطرة من الدم وليس فيها ألم سوى ألم بسيط تحدثه وخزة الأبرة وستشفى في غضون ثلاثة أيام وتخرج من المستشفى تمارس أعمالك الطبيعية . وان هذه الطريقة تشفي المريض نهائياً ولا تعود عليه التهابات الزائدة الدودية ولكن هناك إحتمال عودتها بعد سنوات بنسبة ٥ في المائة . أما الـ ٩٥ في المائة فلن تعود عليك" . فوافقتُ على إجراء عملية بالإبرة الصينية .

وملخص العملية أني تمددتُ على السرير الذي أنام فيه عادة وجاء الدكتور يكشف عن ساقي و يتحسس بعض الأماكن على امتداد مقدمة الساق ويضغط بإصبعه ، فإذا أحسستُ بألم أخبره بذلك . أجرى هذا الاختبار على كلا الساقين وترك علامة بالقلم على مكانين أشعر بالألم عندما يضغط عليهما وهما بالقرب من عظم الساق الأمامي .

بعد ذلك يأتي الطبيب بالإبرة الصينية وهي عبارة عن رقيق من المعدن يشبه إلى حد بعيد السنارة التي تستعمل في حياكة بلوزات الصوف ولكن بها نهاية حلزونية تشبه البرغي وتنتهي برأس مدبب كرأس الإبرة . يعقم الطبيب المكان ويغرس الإبرة فيه والشيء الذي تشعره فقط هو عملية غرس الإبرة في الساقين . وتبقى الإبرة مغروسة ساعة واحدة يأتي الطبيب بعدها ليعمق الإبرة المغروزة بلف الإبرة قليلاً كل ربع ساعة إلى حد ساعة واحدة ، ثم تتكرر هذه العملية لثلاثة أيام . بعدها يتركك الأطباء لمغادرة المستشفى وممارسة مهماتك وحياتك العادية كأن شيئاً لم يحدث .

من الأمور التي تلفت النظر ان الطبيب كلما جاء ليعمق غرسة الأبرة ، تفاجأ بأن حركة غير طبيعية وأصواتاً تصدر من الأمعاء ترافق حركة تعميق

الغرس وهذا ما يؤكد وجود علاقة ما بين العصب الذي تعرض لغرس الأبرة وبين الجزء المصاب من الأمعاء .

وحين سألتُ الطبيب عن العلاقة بين وخز الإبرة في العصب في الساق والزائدة الدودية ، قال "يبدو من تجربة الناس ان مثل هذه العلاقة موجودة وان الإبرة تشل مؤقتاً عمل الجزء المصاب من المريض فيجف ويشفى المريض" .

بعدها التحقت برفاقي وشاركت في جزء من أعمالهم . وحينما نظم المضيفون زيارة لسور الصين العظيم ، لم أتخلف عن الذهاب والمشاركة معهم في صعود السور . .! .

## العودة من موسكو في الأول من آب ١٩٦٢
## وانقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ (١٤ رمضان) الأسود
## والعودة هروباً إلى موسكو

في الأول من آب عام ١٩٦٢ وبعد ان أنهينا دراستنا الحزبية في المدرسة الحزبية العليا في موسكو ، وصلنا ، زوجتي وأنا ، عائدين إلى الوطن من موسكو ومعنا مولودتنا البكر يسار وكان عمرها آنذاك عامين وبضعة أيام . ورغم ان وقت وصول الطائرة إلى مطار المثنى في بغداد كان في حوالي التاسعة مساء حيث تنكسر في العادة ، حدة الحرارة ليلاً في بغداد بتأثير الطقس القاري الذي عرفت به العاصمة العراقية حيث النهار شديد الحرارة صيفاً والليل يميل إلى الاعتدال ، لكن ما ان فتحت أبواب الطائرة استعداداً لنزول الركاب منها ، حتى شعرنا بلهيب ينبعث من مدرج المطار يخيل للمرء أنه موشك على ولوج فرن هائل . .!

ومرت ثقيلة تلك الدقائق التي كنا ننتظر فيها تقديم جوازات سفرنا إلى ضابط الجوازات بحيث خيل إلينا أن الوقت توقف عن الحركة وذلك خشية من أي إجراء أمني قد يعرقل أو يمنع سلامة الدخول إلى بغداد لاسيما بعد ثلاث سنوات على مغادرتنا الوطن . إذ ان حكومة عبد الكريم قاسم نفذت العديد من التدابير والإجراءات التي اضطرت الحزب الشيوعي العراقي الى ان يمارس

نشاطه السياسي سراً . فجريدة الحزب (اتحاد الشعب) الجريدة العلنية الناطقة باسمه صدرت أوامر السلطة بإيقافها وملاحقتها ، وكان الشيوعيون بمن فيهم قياديون يقبعون في سجون النظام . وبدلاً من ان يتمتع الحزب ، شأنه في ذلك شأن بقية الأحزاب الأخرى مثل الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال ، بحقه في النشاط السياسي المشروع ، منح النظام داود الصائغ صنيعة المخابرات العراقية حرية تنظيم "حزب شيوعي عراقي" في أسوأ عملية تلفيق مفضوحة وقف منها من كان يعرفون حينها بـ "الوطنيين الديمقراطيين" ، موقف المتفرج إن لم يكن المؤيد .

ما أن دمغت جوازاتنا بختم الدخول وعبرنا ضابط الجوازات خارجين من دائرته حتى تنفسنا الصعداء واستأجرنا أقرب سيارة تكسي لتنقلنا إلى دار الحاج أسعد حبيب العاني الشقيق الأصغر للرفيق الراحل ثابت حبيب العاني الذي حملنا إليه رسالة شخصية من أخيه . استقبلنا وعائلته بترحاب كبير . ومن شدة الحر والجو الخانق لم نستطع النوم رغم ان المضيفين أفردوا لنا غرفة فيها مبردة (أيركولر) . أما الصغيرة يسار ذات السنتين المولودة في طقس العاصمة السوفيتية البارد فلم تكن تكف عن طلب الماء وهي تتلوى من شدة طقس لم تألفه وراحت بشرتها البيضاء الطرية تتحول إلى اللون الأحمر القرمزي دون ان تتعرض لأشعة الشمس .

في اليوم الثاني على وصولنا بغداد وبناء على إلحاح زوجتي لزيارة أهلها والالتقاء بهم بعد سنوات ثلاث ، لم نحاول فيها الاتصال بهم أو مراسلتهم لاعتبارات أمنية ولعدم تأكدنا ما اذا كانوا قد انتقلوا إلى سكن جديد وجهل أرقام تلفوناتهم ، اتصلنا تلفونياً بوزارة الدفاع نستفسر عن ابن عم زوجتي الرائد ماجد محمود العبايجي . فاهتدينا الى وجوده في حوانيت الجيش وسرعان ما جاءنا ليحملنا بسيارته إلى داره .

وماجد محمود العبايجي الذي قتل في التعذيب عام ١٩٧٠ على أيدي مخابرات النظام البعثي والقي بجثته في مياه دجلة هو أيضاً زوج لأخت زوجتي أي عديلي . أقمنا لديهم بضعة أيام كان يزورنا خلالها الأقارب والأصدقاء . كما كانت الدار في كثير من الأمسيات ، ملتقى للضباط الشيوعيين المغضوب عليهم من قبل قاسم لاسيما منهم أولئك الذين جرى تسريحهم من الجيش أمثال النقيب الشهيد فاضل البياتي الذي كانت تربطني معه علاقة وثيقة بدأت قبل ثورة تموز حينما كنت أتولى مسؤولية التنظيم العسكري للحزب الشيوعي العراقي وكان هو في ذلك الوقت ضابطاً مسرحاً من الجيش بسبب نشاطه المعارض للنظام الملكي ، أوكلت إليه الحكومة بعد تسريحه من الخدمة ، من باب الترضية ، إدارة مخبز بغداد الميكانيكي الواقع في (تل محمد) وهو أول وأحدث معمل ميكانيكي للخبز يقام في العراق . كما زارني حينها في الدار عدد من الضباط الشيوعيين الذين أبعدوا عن مواقعهم في الوحدات العسكرية الفعالة ونقلوا كضباط تجنيد أو ألحقوا دونما عمل محدد بما كان يعرف (أمرة الإدارة في وزارة الدفاع) وكانت حصة ماجد نقله ليعمل ضابطاً في حوانيت الجيش . .!!

لا أريد الحديث مطولاً ، الآن ، عن الشهيد فاضل البياتي الذي أعدمه انقلابيو شباط عام ١٩٦٣ وهو أسير لديهم . إذ سيأتي الحديث عنه في مكان آخر أفردته لنشاط الحزب الشيوعي العراقي في الجيش قبيل ثورة تموز . . بل ان ما اريد التنويه به ان البياتي كان أحد أعضاء اللجنة العليا في (الاتحاد الوطني للضباط والجنود) وهي منظمة شكلت من خلال اتحاد منظمة الحزب الشيوعي المعروفة باسم (اتحاد الجنود والضباط الوطنيين) مع مجموعة من كبار ومتوسطي الرتب العسكرية الذين كانت لهم مجموعاتهم المعارضة للنظام الملكي أمثال المقدم وصفي طاهر والعقيد إبراهيم الجبوري اللذين

أدخلناهما عضوين في اللجنة العليا إلى جانب الأعضاء الشيوعيين .

قضينا الأيام الأولى التي امتدت حوالي اسبوعين ننتقل من دار إلى أخرى في ضيافة الأهل والأقارب . كما التقينا والدتي التي أسرعت لزيارتنا ورؤية حفيدتها يسار في بغداد من ريف العمارة حيث كانت تعتني بقطعة أرض صغيرة لا تتجاوز مساحتها خمسة دونمات تزرعها رزاً بمعونة أقربائها في منطقة (الخمس) التي تبعد حوالي ١٠٠ كم جنوب غرب مدينة العمارة على ضفاف المسطح المائي الكبير (الأهوار) الذي كان يمتد جنوباً حتى مدينة القرنة و(المدَينة) وشرقاً حتى تخوم محافظة الناصرية قرب قضاء سوق الشيوخ وناحية الجبايش .

انتقلنا بعد هذه الإجازة للإقامة في دار الرفيق جمال الحيدري عضو المكتب السياسي للحزب وعضو مكتب السكرتارية المتكون حينها من الرفيق سلام عادل الأمين العام للجنة المركزية إضافة إلى الرفيق جمال الحيدري وهادي هاشم الأعظمي الذي أنهى حياته السياسية بخيانة الحزب والشعب إثناء اعتقاله في الأيام الأولى التي أعقبت انقلاب شباط المشؤوم .

كان الغرض من إقامتي في دار الرفيق الحيدري ان أكون قريباً من قيادة الحزب وأطلع عن كثب على حركة الواقع السياسي وملابساته في ذلك الوقت لاسيما بعد غياب امتد ثلاث سنوات قضيتها في الدراسة النظرية بعيداً عن نبض الحياة في الوطن وبمعزل عن التغيرات التي حدثت في الواقع السياسي وفي اصطفاف القوى السياسية فضلاً عن التعرف المباشر على الأوضاع التنظيمية داخل الحزب وآلية إدارة الحزب لمنظماته التي حققت توسعاً ملحوظاً خلال سنوات دراستي وكذلك اسلوب العلاقة بين مختلف منظمات الحزب القاعدية والوسطية والهيئات القيادية سواء فيما بينها أو بينها وبين الهيئات القيادية العليا ولجان المناطق الحزبية بما في ذلك اللجنة المركزية والمكتب

السياسي ومكتب سكرتارية الحزب وما يرتبط بها من مؤسسات ولجان اختصاص .

ومن أجل هذا الغرض حضرت بعض اجتماعات سكرتارية اللجنة المركزية واجتماعات المكتب السياسي . ومن أبرز ما أذكره من موضوعات عدا السياسية والتنظيمية التي تدور مناقشتها في فترة آب-أيلول من عام ١٩٦٢ في المكتب السياسي ، موضوع ما كان يطلق عليه حينها "الكتلة المعادية للحزب" التي اتهم بالاشتراك فيها كل من أعضاء المكتب السياسي الرفيق زكي خيري والرفيق الشهيد محمد حسين أبو العيس الذي قتله انقلابيو شباط عام ١٩٦٣ وكانا يحضران اجتماعات المحاسبة تلك لأنهما موجودان في داخل العراق ولم تكن اتخذت بحقهما أية عقوبة بعد ، كذلك الرفيقان عامر عبد الله وبهاء الدين نوري اللذان كانا في موسكو للدراسة الحزبية .

وكان أعضاء المكتب السياسي آنذاك : جمال الحيدري ، وهادي هاشم ، ومحمد صالح العبلي ، وجورج تلو ، وعزيز محمد الذي كان حينها مسؤول إقليم كردستان ، وزكي خيري ومحمد حسين أبو العيس إضافة إلى كل من عامر عبد الله وبهاء الدين نوري . وكان الشهيد سلام عادل يرأس اجتماعات المكتب السياسي .

وللحقيقة لا بد من القول انني لم أكن وقتها مقتنعاً بوجود "كتلة معادية للحزب" وذلك للأسباب التالية :

١- باستثناء الطموح غير المشروع لدى كل من الرفاق الأربعة باحتلال الموقع الأول في قيادة الحزب فإن الرفاق الأربعة المتهمين بالتكتل لم تجمع بينهم قناعات سياسية أو فكرية واحدة أو مشتركة حسب قناعتي . فالرفيق عامر عبد الله كانت مواقفه السياسية والفكرية تميل على الأغلب إلى المهادنة وإلى

إيجاد لغة مشتركة مع السلطات سواءً أيام قاسم أو في عهد البعث وكذلك مع الأحزاب ذات الطابع البرجوازي . وهو ما كنا نطلق عليه في ذلك الوقت (النزعة اليمينية) ولكي لا أكون متجنياً على (أبو عبد الله) أذكر انني في مناقشة جرت معه في موسكو ، حول تضييعنا لفرصة أخذ السلطة رد بالحرف الواحد وهو يخطىء هذا الرأي وينفي إمكانية تحقيقه ، (لقد جاءت البرجوازية لكي تحكم وهذه هي مرحلتها) . وأنا أورد هذا الحديث لا من باب لوم الرفيق عامر عبدالله أو تخطئة رأيه ، فهذا ليس غرضي الآن ، بل لأقارن بينه وبين الشهيد محمد حسين أبوالعيس صاحبه في (الكتلة) الذي كنا في قيادة الحزب ، نعتبره من أكثر الرفاق يسارية . ويكفي للتدليل على نزوعه اليساري ذاك ان أذكر الواقعة التالية : ان الرفيق محمد حسين ابو العيس فور عودة الوفد الحزبي من زيارة الصين تقدم بمشروع الى قيادة الحزب لأخذ السلطة السياسية ، في حين لم يلتقط هادي هاشم المعروف بمزاجه السياسي اليميني المتردد غير الإشارة الانتقادية التي أبداها ليو شاوتشي لقيادة الحزب الشيوعي السوفيتي .

٢- لم تكن ثمة بين الرفاق الأربعة علاقات شخصية بعضهم إزاء البعض الآخر كما هوالحال بالنسبة إلى العلاقة المنسجمة بين سلام عادل وجمال الحيدري ومحمد العبلي مثلاً . . . ، بل كان بين بعضهم والبعض الآخر قدر ليس بالقليل من التنافر ، كما هو الامر بين عامر عبد الله وبهاء الدين نوري والرفيق الراحل زكي خيري وجد له انعكاسات واضحة في مذكرات الأخيرين التي نشرت مؤخراً .

٣-إذا أجزت لنفسي تصنيف الميول الفكرية والسياسية لكل من بهاء الدين نوري وزكي خيري ، فهي خليط غير متجانس بل ومتناقض أحياناً بين اليمين واليسار في حين ان السمة المميزة لسلام عادل وجمال الحيدري هي

الميل إلى اليسار الذي كان موضع انتقاد من قبل الثلاثة ، عامر عبد الله وبهاء الدين نوري وزكي خيري ، في الاجتماع الكامل الذي عقدته اللجنة المركزية في تموز / يوليو عام ١٩٥٩ وصدر عنه نقد ذاتي نشر في اتحاد الشعب من منطلق إدانة الأخطاء ذات الطابع اليساري الانعزالي لسياسة الحزب . وأذكر ان بهاء الدين نوري تقدم باقتراح لتنحية سلام عادل من موقعه كسكرتير أول للجنة المركزية واقترح بدلاً منه هادي هاشم الأعظمي الذي لم يكن مؤهلاً من الناحية السياسية بقناعة الجميع تقريباً . ولم يحصل في الاقتراع الذي جرى لهذا الغرض إلا على صوت واحد هو صوت بهاء الدين . وكنتُ من أول المتكلمين ضد الاقتراح ودافعت عن قيادة الرفيق سلام عادل ليس فقط لأنه يتميز بسمات سياسية وعملية لم أجدها لدى الآخرين بل ولأن الحزب تحت قيادته حقق الكثير من الإنجازات السياسية والتنظيمية بما فيها وحدة الحركة الشيوعية في البلاد وبات من أكثر الأحزاب الشيوعية جماهيرية في المنطقة وعلى الساحة الدولية أيضاً .

إن هادي الأعظمي وإن كان يتمتع ببعض السمات الشخصية الإيجابية كالدماثة وحسن المعشر إضافة لكفاءات عملية في ظروف العمل السري ، لكن قناعتي كانت بعدم أهليته السياسية والفكرية للموقع الأول في الحزب ، وترسخت فيما بعد من خلال معايشتي له أثناء سنوات الدراسة في موسكو . إذ كان كثير التغيب عن الدروس وقليل الاهتمام بالتحصيل العلمي ، مكرساً أكثر أوقاته يلهو في أمور ثانوية ليست لها علاقة بالمهمة التي أرسل من أجلها . كما لم يتعلم اللغة الروسية وكثيراً ما كان يضطرني ورفاقا عربا آخرين ان نعيد عليه بالعربية ما يلقى علينا من محاضرات .

قد يتسائل البعض تساؤلاً مشروعاً مفاده ، إذا كنتُ غير مقتنع بوجود ((كتلة معادية للحزب)) شأني شأن رفاق آخرين ، فلمَ لم أعبر عن رأيي هذا

في اجتماع اللجنة المركزية المكرس لمحاسبة الرفاق في (الكتلة) ؟ ؟ .

الجواب على ذلك يتطلب استحضار تلك الظروف التي كان يدور أثناءها ذلك الصراع الداخلي في الحزب وكذلك الآلية التي لجأ إليها مكتب السكرتارية ومن ثم المكتب السياسي في إدارتهما لذلك الصراع .

قبل أن تطرح قضية (الكتلة) على بساط البحث في الهيئات القيادية ، كان أعضاء السكرتارية يتحدثون بشكل عرضي عن هذا الموضوع مع من يلتقونه على انفراد من أعضاء اللجنة المركزية بهدف إثارة الانتباه حول هذا الموضوع . ذلك ان أي تكتل في حزب شيوعي معناه جريمة كبرى عقوبتها الطرد . فيأتي الجواب جاهزاً بأن التكتل ، أي تكتل هو جريمة . . ولأول مرة بدأ طرح موضوع (الكتلة) على نحو مباشر في محضر للسكرتارية في صيف عام ١٩٦٢ تم توزيعه على أعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية . ثم انتقلت مناقشة موضوع التكتل في اجتماعات عديدة عقدها المكتب السياسي وكنت حاضراً بعض هذه الاجتماعات . فاستمعت إلى مداخلات أعضاء المكتب السياسي بمن فيهم الرفيقان زكي خيري ومحمد حسين أبو العيس اللذان لم يدافعا عن نفسيهما بما يكفي من قوة . وطالبهما الاجتماع ، بعد ان صدر قرار بتجميد عضويتهما في المكتب السياسي بتقديم نقد مكتوب عما اقترفاه من أخطاء . فكتبا فيما بعد نقداً ذاتياً أقرا فيه بعض الانتقادات الموجهة إليهما وأنكرا انتقادات أخرى . ووزعت الانتقادات على أعضاء اللجنة المركزية للإطلاع . ثم طلب منهما الانفتاح أكثر على الحزب كرة أخرى وتعميق الانتقاد الذاتي فما كان منهما إلا ان قدما نقداً ذاتياً آخر أكثر "عمقاً" كما يبدو بفعل الخوف من الطرد من الحزب بعد هذا العمر الطويل الذي قضياه في النضال من أجل أهداف الحزب ، متحملين بصبر وشجاعة عهود السجن والحرمان ، نسبا فيه إلى نفسيهما صفات ونواقص لا أدري

مدى قناعتهما بها .

ومع كل هذا لم تكن قناعتي قد تغيرت حول "الكتلة" حتى حضرت اجتماع اللجنة المركزية الذي انعقد ، إن لم تخني الذاكرة ، في أيلول في دار الشهيد جورج تلو في تل محمد . وجرت محاسبة الرفيقين ، زكي خيري ومحمد حسين أبو العيس ، باستدعائهما كل على انفراد ليقدما حساباً أمام اجتماع اللجنة المركزية . وكان وضعهما مؤسياً حقاً وهما يكيلان لنفسيهما كل تلك الأخطاء والمثالب .

إنه لموقف صعب حقاً لرجلين كانا سيقفان بكل تحد وشجاعة أمام أعدائهما دونما خوف أو تردد ، كما تحقق بالفعل للشهيد محمد حسين أبو العيس حين كان يتحدى أعداءه الفاشيين وهو ينزف دماً في معتقل (قصر النهاية) . . غير ان الحرص على شرف الانتماء كان أقوى . . .

في اجتماع اللجنة المركزية هذا كان يجلس إلى جواري الرفيق الشهيد عبد الرحيم شريف ، التفت يهمس في اذني قائلاً : (لم أكن قبل ان يدلي الرفيقان محمد وزكي باعترافاتهما ، أصدق هذا الموضوع) . كما أن الرفيق عمر علي الشيخ (أبو فاروق) هو الآخر أدلى بمداخلة غير مفهومة تنم في تقديري عن عدم القناعة .

بعد كل هذا الذي حدث وبعد تلك الاعترافات ، لم يكن من المعقول ان يكون الآخرون اكثر ملكية من الملك نفسه لكي يعبروا عن رأي بعدم وجود "تكتل" أقر به الرفاق أنفسهم أصحاب الشأن .

ومع ان ذلك (التكتل) لم يكن يحمل كل صفة العمل المنظم من قبل الرفاق المتهمين به من حيث الاستمرارية والتبشير بالرأي ومحاولة خلق المؤيدين ، فإنه لم يخل من نوايا التفافية غير مشروعة على قيادة الرفيق سلام عادل من خلال وضع العقبات المصطنعة أمام قيادته للحزب بحجج واهية

لا تستند إلى مبررات حقيقية ، كالقول ان الرفيق سلام عادل لا يمتلك تلك القابلية للكتابة الأمر الذي يضطره لتقديم تقاريره في اجتماعات اللجنة المركزية شفاهاً ، أو اتهامه بسبب ذلك بالإهمال والتقصير . وهذا الموقف لعب دوراً معرقلاً حال دون إسراع قيادة الرفيق سلام عادل في إجراء تعديل في سياسة الحزب باتجاه تقوية خط السياسة المعارضة للحكم والتخلي عن سياسة الدفاع عن حكومة قاسم .

ولغرض استكمال تعرفي على الأوضاع داخل الحزب وما يجري في هيئاته القيادية ، حضرتُ عدداً من اجتماعات مكتب منظمة بغداد واجتماعاً كاملاً لقيادة منطقة بغداد التي كنت أتولى مسؤوليتها قبل سفري إلى الخارج لغرض الدراسة في أيلول عام ١٩٥٩ بعد ان انتقلنا للإقامة في دار هادي هاشم الواقعة في الكاظمية تسهيلاً لتنظيم لقاءاتي مع مختلف المنظمات الحزبية في بغداد . وكان هادي يتولى الإشراف على قيادة بغداد ، في حين كان الرفيق الشهيد محمد العبلي يتولى المسؤولية المباشرة لقيادة (لجنة منطقة بغداد) وكان أعضاء مكتب بغداد على ما أذكر ، زكية شاكر ، والدكتور حسين الوردي ، وكامل كرم ومهدي الرضي (الشقيق الأصغر للرفيق سلام عادل) وباسم مشتاق وغيرهم لا تحضرني أسماؤهم .

من خلال زياراتي للمنظمات الحزبية والهيئات القيادية المختلفة الوسطية وبصفة خاصة الهيئات القيادية القاعدية ، أي ما كان يعرف حينها باللجان الفرعية والمتفرعة بوجه خاص لفت نظري بشكل حاد عدد من المظاهر الغريبة التي لم ألحظها بهذه القوة طيلة عملي الحزبي في منظمة بغداد وهي أكبر وأهم المنظمات الحزبية في البلاد حيث تمارس تأثيرها المباشر ليس فقط على وضع الحزب العام . . بل وعلى الوضع السياسي في البلاد كلها كونها تقف بمناضليها وجماهيرها وجهاً لوجه أمام السلطة المركزية في بغداد ومن هذه المظاهر :

١-اتساع ظاهرة تحول الكادر الحزبي إلى الاحتراف ليس فقط في الهيئات القيادية العليا كاللجنة المركزية ولجان المناطق ، بل وحتى بعض اللجان الفرعية وهي ظاهرة لها مساوئها وجوانبها السلبية التي تفوق كثيراً ما يمكن ان ينجم عنها من جوانب إيجابية . فهي تحمل الحزب أعباء الإنفاق على الرفاق المحترفين الذين يمكن ان يكونوا في حالة عدم الاحتراف (التطوع) عاملاً في التخفيف من أعباء الحزب المالية ، فضلاً عن أنها تعزل مجموعة من أوعى الرفاق عن الاتصال المباشر مع محيطهم الطبيعي في العمل سواءً في الجامعات أو المؤسسات ، والشركات ، ومواقع العمل الأخرى كالمعامل والمصانع وساحات الإنتاج الأمر الذي يخلق نوعاً من القطيعة بين الحزب ونبض الحياة الواقعية في الشارع . كما لا أستبعد ان الإدمان على الاحتراف يخلق حالةً من الاتكالية المادية التي يمكن تسميتها بالنسبة للبعض نوعاً من الارتزاق الذي يدفع بصاحبه إلى خمود روح المبادرة السياسية ويخلق الميل نحو مسايرة ما يطرحه الحزب من سياسات دونما كثير من التمحيص والتدقيق . أقول هذا وأتذكر حالة الكادر الحزبي قبل ثورة تموز وحتى في السنة الأولى بعد الثورة حين كان من النادر أن يلجأ الرفاق وكذلك قيادة الحزب إلى الأخذ بتوظيف الكادر المتفرغ .

فقبل ثورة تموز لم يكن يحترف العمل الحزبي إلا أولئك الرفاق ، وهم قلة من اللجنة المركزية ، الذين تقع عليهم مسؤولية قيادة العمل التنظيمي والسياسي المباشر للحزب أو أولئك المكشوفون للسلطات القمعية والمطاردون منها . فمن بين أعضاء اللجنة المركزية في العهد الملكي وقبل ثورة تموز الذين لم يكونوا يحترفون العمل الحزبي ، الرفاق عزيز الشيخ الذي كان يعمل موظفاً في أحد المختبرات العلمية ، والدكتورة نزيهة الدليمي التي كانت تعمل في عيادتها في جانب الكرخ وثابت العاني الذي كان يعمل مساحاً في

مكتب للمساحة في الباب الشرقي ، والشهيد حمزة سلمان الذي كان يعمل محامياً . وكنت أنا موظفاً في شركة الاسمنت العراقية ، فضلاً عن أكثرية أعضاء لجنة بغداد واللجان المتفرعة عنها . وكان مجموع أعضاء اللجنة المركزية قبل ثورة تموز على النحو التالي :

١-أعضاء اللجنة المركزية الموجودون في بغداد وهم : سلام عادل ، جمال الحيدرري ، عامر عبد الله ، شريف الشيخ ، عزيز الشيخ ، صالح دكلة ، ثابت حبيب العاني ، نزيهة الدليمي ،حمزة سلمان الجبوري ، وناصر عبود . أي عشرة رفاق منهم خمسة يحترفون العمل الحزبي وخمسة غير محترفين .

٢-في السجن ، ثلاثة قياديين وهم : عبد الرحيم شريف وهادي هاشم وكريم أحمد .

٣-خارج العراق كان الرفيقان محمد صالح العبلي في موسكو للدراسة الحزبية وجورج تلو في دمشق يتولى علاقة الحزب مع الأحزاب العربية الشقيقة ومع الحركة الشيوعية العالمية .

أما الرفاق الآخرون الذين الحقوا بعضوية اللجنة المركزية بعد انتصار ثورة تموز فهم :

بهاء الدين نوري ، زكي خيري ، عزيز محمد ، محمد حسين أبو العيس ، وسلام الناصري .

ومن بين أبرز المظاهر السلبية ان القاعدة الحزبية في غالبيتها لم تكن مقتنعة بسياسة الحزب القائمة على مبدأ (تضامن-نضال-تضامن) ، هذا المبدأ الذي تجسد بسياسة الدفاع عن الحكم ضد المؤامرات الرجعية في وقت كانت السلطة تشن هجوماً شرساً على الحركة الجماهيرية وتضيق الخناق على الحريات الفردية والعامة وتزداد أعداد الشيوعيين والديمقراطيين خلف قضبان

السجون والمعتقلات حتى ان عدد المعتقلين في الحملات المطالبة بالسلم في كردستان زاد على الف معتقل وسجين .

كل هذه الأوضاع كانت تجري في وقت تتهاون فيه السلطات الحكومية وأجهزة القمع إزاء النشاط التآمري للحركة القومية ولاسيما نشاطات حزب البعث الذي جمع من حوله تحت شعار : يا أعداء الشيوعية اتحدوا ، (جبهة قومية)مناهضة للديمقراطية وللحكم ، تتكون من كل القوى المناهضة للثورة بما في ذلك بقايا الإقطاع ورجال العهد الملكي وكل الفئات المتضررة من الثورة .

وهذا ما كنت أتحسسه مما يطرح في المنظمات القاعدية وحتى اللجان المتفرعة في بغداد حيث سئمت تلك المنظمات من عدم انقطاع التوجيهات الحزبية الصادرة إليها بضرورة التزام أقصى درجات الحذر واليقظة إزاء الأخبار المتكررة عن احتمالات قيام حركات تآمرية انقلابية تستهدف الحكم كانت تتوالى في بيانات الحزب منذ صيف عام ١٩٦٢ وحتى انقلاب شباط المشؤوم . ولقد وصل الأمر جراء تكرار هذه الحالة ، ان تراخت يقظة المنظمات القاعدية والجماهير الملتفة حول الحزب بحيث نفذ المتآمرون في صبيحة يوم الجمعة ٨ شباط ١٩٦٣ إنقلابهم بينما واجه الحزب حالة من الارتباك لم يستطع تجاوزها ، وبالتالي فقد الحزب السيطرة ليس فقط على الشارع . . . بل وعلى المنظمات الحزبية .

إن التزام سياسة الدفاع عن الحكم التي كانت تنفذ تحت شعار (الدفاع عن الجمهورية) واستمرارها في ظل تفاقم النشاط الرجعي والمؤامرات الهادفة للإطاحة بقيادة ثورة تموز ومكاسبها ، تحولت في واقع الأمر إلى سياسة انتظار سلبي لتلك اللحظة التي يحددها الخصم لبدء الهجوم . وكما تفيد الاستراتيجية العسكرية ، فإن سياسة الدفاع الدائم غير المقترنة بمحاولات التعرض والهجوم ضد العدو لا تؤدي في النتيجة إلا إلى هزيمة مؤكدة . وهذا ما حصل بالفعل

في ٨ شباط حيث لم تستطع القيادة أو أية قيادة أخرى مهما أوتيت من عبقرية تغيير مزاج الجماهير من حالة الترقب والدفاع إلى حالة التصدي والهجوم في ساعات محدودة لا يمكن ان تقارن بتلك الفترة التي بلغت بضع سنوات وهي تبشر بسياسة الدفاع عن الجمهورية .

وبالرغم من الصعوبات الجمة التي تعرض لها الحزب وما أحدثته النشاطات التكتلية من عرقلة لمسيرة الحزب ، فلقد استطاع الحزب ان يحتفظ بوحدته ولم يكن ذلك معزولاً عن كفاحه الدائم ضد الميول الاستسلامية والبلبلة وضد كل إخلال بوحدة القيادة والحزب . ولم تعد راية مكافحة الشيوعية إلا راية لزمر الرجعية المفضوحة التي فقدت عنجهيتها واستمرت تجتر بقايا شعاراتها ومفاهيمها .

منذ بداية هجوم السلطة ، فُرض التراجع على الحزب . وكانت مقاييس التكتيك الصائب في ظروف التراجع هي الدفاع عن مواقع الحزب ، الواحد تلو الأخر ، وعرقلة الهجوم المعادي وعزل القوى اليمينية عن قوى الوسط خلال المعارك الدفاعية في اطار خطة التراجع ذاتها وذلك تبعاً لاستعداد الجماهير للانخراط في معارك موضعية جديدة لاسترجاع مواقعها السابقة وتمتين الوحدة على أساس سياسة جبهة ديمقراطية وطنية واسعة تربط كل تلك النضالات بجهود الحزب العام من أجل صيانة الاستقلال الوطني وإرسائه على قواعد ديمقراطية .

إن اتجاه الحزب لتطبيق هذا التكتيك إصطدم منذ البداية بمعارضة لا مبدئية عششتْ في القيادة وبؤرها كالمكتب السياسي نفسه . فتحت شعار معالجة أخطاء الحزب فُرِضت البلبلة والإرباك في القيادة وحيل بين القيادة وبين دراسة الموقف بروية لرسم خطة سليمة للتراجع .

وحتى قبل الاجتماع الكامل للجنة المركزية عام ١٩٥٩ أي منذ الأيام

الأولى للتراجع حالت المعارضة داخل الحزب دون تفسير ظواهر الوضع السياسي على أساس طبقي علمي واستغلت أخطاء الحزب لإثارة صراع لا مبدئي وشخصي في قيادة الحزب وأُديرت دفة هذا الصراع بصورة تكتلية مناهضة للضبط والوحدة ولخدمة الأغراض اللامبدئية لهذا الصراع .

وبرعب جرى تهويل لأخطاء الحزب وبذلت محاولات مستمرة لتزكية البرجوازية وسلطتها كما بذلت محاولات لإظهار قيادة الحزب بمظهر جبهتين متصارعتين رغم المسؤولية الجماعية التي يتحملها المكتب السياسي بالنسبة لأخطاء الحزب بشكل عام .

ليس من الصحيح القول ان قيادة الحزب لم تنتبه إلى خطورة الأوضاع السياسية التي كانت تمر بها البلاد عشية الانقلاب . إذ ان شعوراً بذلك كان يجري التعبير عنه في مناسبة أو أخرى . ويبدو لي ان انشغال قيادة الحزب بموضوعة "التكتل" صيف وخريف ذلك العام لعب دوراً في تأخير إحداث استدارة حادة في سياسة الحزب إزاء حكومة قاسم ومنهجها . وما أن أوشكت القيادة على تصحيح سياسة الحزب أواخر عام ١٩٦٢ وأوائل ١٩٦٣ حتى كانت الفرصة قد أفلتت من قبضتها ووجه الانقلابيون الفاشيون بتخطيط ودعم من المخابرات الأجنبية ضربتهم القاصمة بالحكم وبالحزب أيضاً .

**ملخص محضر اجتماع اللجنة المركزية في الخارج تموز ١٩٦٢ .**

وفيما يلي مداخلة (سعيد) وهو الاسم الحزبي لكاتب هذه السطور :

قبل مجيء الرفاق الجدد إلى م (موسكو) ومن ضمنهم الرفيق محمد (عامر عبد الله) ، كان الانسجام والجو الرفاقي المبدئي يسودان علاقات جميع الرفاق ، ولم نعرف قبل هذا الوقت أي شكل من أشكال التذمر . . . وما ان حل الرفاق الآخرون ومن بينهم الرفيق محمد (عامر عبد الله) حتى

تغير الجو وأخذت تسوده شوائب برأيي ان مصدرها كان تذمر الرفيق محمد المستمر من الوضع في الحزب وبشكل خاص من قيادة الحزب وزعمه بوجود جو لا مبدئي بالنسبة له وبالنسبة لرفاق آخرين . ولقد شكا الرفيق محمد من قضية اتجاه الرفيق عمار (سلام عادل) الى عزله عن نشاط واجتماعات الرفاق أعضاء (م .س .) الموجودين في موسكو بالرغم من أنه عضو أصيل في (م .س .) وكان يصور الأمر وكأن هناك تواطؤ ضده من قبل الرفاق .

وعلى أساس ذلك تكونت لديّ فكرة سيئة عن الوضع في قيادة الحزب واستنتجتُ استناداً إلى هذه المظاهر ان هناك جبهتين في القيادة وأن ذلك يشكل خطراً على الحزب ، الأمر الذي دعاني لمفاتحة الرفيق حسن (هادي هاشم الأعظمي) وكان حينذاك مسؤولاً عنا في هذا الأمر . وأبديت قلقي بوجود مثل هذا الوضع بين الرفاق القياديين . فأخبرني بوجود جو لا مبدئي ينبغي ان يوضع له حد هنا في اجتماع يضم جميع الرفاق (ل .م .) . فاستحسنتُ االفكرة ، وقد عقد الاجتماع الذي قدم فيه الرفيق جبار (حسين سلطان) ومن ثم حسن (هادي هاشم الأعظمي) نقدهما إلى الرفيق محمد (عامر عبد الله) . وعلى أساس هذا النقد الذي تضمن حقائق تكشف عن لبرالية صارخة واستهانة من جانب الرفيق محمد بضوابط الحزب وقرارات اللجنة المركزية ، لم يستطع الرفيق محمد دحضها رغم محاولاته .

اقتنعتُ على ضوء مجمل القضايا التي طُرِحت لمحاسبته بأنه قد وضع نفسه فوق الحزب وفق قراراته وكشف عن ذهنية غريبة عن حزبنا وانه تحاشى الاعتراف بالكثير من نواقصه وأخطائه وحاول أن يوجه سير محاسبته وجهة أخرى بإثارته بعض المسائل ضد الرفيق عمار ، كما هو واضح في المحضر .

إن هذا الاجتماع الذي حضره الرفاق أعضاء (ل .م .) في م(موسكو) والذي جرت فيه محاسبة محمد وانتقاده قد أعطاني صورةً أخرى لم تكن لدي

عن الرفيق محمد ونبهني إلى سلوكه غير المبدئي . ولقد ظننتُ أن هذه المحاسبة والنقد المبدئيين للرفيق ، سيلعبان دوراً إيجابياً في تنبيهه إلى أخطائه ونواقصه ، غير ان ذلك كما يظهر لم يحدث لمواصلته هذا الاتجاه . فلقد جاءني صباحاً بعد الاجتماع مباشرة وسألني عن رأيي في هذه المحاسبة . فأجبته انني أعتقد بأنها مفيدة وهي أسلوب صحيح ومبدئي في حياة الحزب . .

## تولي مسؤولية قيادة المنطقة الجنوبية

أواخر أيلول(سبتمبر) أخذت القطار الذاهب إلى البصرة للالتحاق بمسؤوليتي الحزبية الجديدة كسكرتير للجنة المنطقة الجنوبية . والمنطقة الجنوبية بموجب التقسيمات المتبعة للمنظمات الحزبية هي واحدة من أربع لجان منطقية تتبع مباشرة قيادة الحزب المركزية . وهذه اللجان المنطقية هي :

١-لجنة منطقة بغداد التي تتبعها المنظمات الحزبية في الأقضية والنواحي التابعة لبغداد .

٢- المنطقة الجنوبية وتتبعها اللجان المحلية في كل من ألوية : البصرة والعمارة والناصرية حيث كانت البصرة مقراً لمكتب المنطقة ومقراً لاجتماعات لجنة المنطقة حيث يدخل في عضوية اللجنة كل من سكرتاريي محلية البصرة والعمارة والناصرية ، إضافة إلى أعضاء مكتب المنطقة المتكون من أربعة رفاق .

٣-لجنة منطقة الفرات الأوسط .

٤-لجنة إقليم كردستان بمثابة لجنة منطقية أيضاً ويقودها عادة أحد أعضاء المكتب السياسي وكان الرفيق عزيز محمد هو مسؤول الفرع الكردي .

لا بد من الإشارة بشيء من الاختصار إلى الأهمية التي كانت تمثلها المنطقة الجنوبية وبصفة خاصة البصرة كونها الميناء الوحيد الذي يطل من خلاله العراق على منطقة الخليج وكونها منطقة تحشد عمالي كبير يضم عمال الموانئ العراقية وشركات النفط إضافة إلى وجود تحشد كبير من عمال السكك الحديد إلى جانب الحساسية التي تمتلكها البصرة كونها منطقة حدودية مع إيران ، لا يفصل بين الأراضي العراقية فيها والأراضي الإيرانية غير شط العرب ومناطق تقارب عديدة مع إيران .

كما إن البصرة منطقة تحشد عسكري كبير للقوات المسلحة العراقية ، إذ يحتوي لواء البصرة على مطار الشعيبة العسكري إلى جانب كونها موقع تحشد القوات البحرية العراقية وقيادتها .

كانت باكورة نشاطاتي في المنطقة التعرف على أوضاع اللجان المحلية وكوادرها ، فاجتمعت باللجنة المحلية للواء البصرة التي كان يقودها جاسم المطير . والتقيت ببعض اللجان الفرعية كالعمال والطلاب والمثقفين إلى جانب اللقاء بلجنة الأطراف التي تضم المنظمات الفلاحية .

بعدها قمت بزيارة إلى مدينة الناصرية وفعلت الشيء نفسه . وفكرتُ أخيراً بزيارة اللجنة المحلية للعمارة وهي مسقط رأسي وفيها الكثير من أهلي ومعارفي واصدقائي ، الامر الذي كانت قيادة الحزب قد أوصت بعدم الاستعجال في التوجه اليها . وبعد ان اتخذت الاحتياطات الضرورية لتجنب انكشاف رحلتي ، قدتُ ليلاً سيارتي ومعي زوجتي وابنتي يسار ، ونزلت في دار أخت لي تسكن في طرف المدينة ومنها كنت أتحرك ليلاً بمساعدة الرفاق . وكان مسؤول محلية العمارة حينها الرفيق الراحل صاحب الحميري الذي تم اعتقالي معه في عام ١٩٥٥ عندما كنت أقوم بتنظيمه في اطار إحدى الخلايا الحزبية في منطقة قطاع الكرخ في بغداد . ومن المفاجآت الغريبة ان

أجد الفلاح صويحب (تصغير صاحب) وهو ابن خالي من عشيرة آل أزيرج ، وقد أصبح عضواً في محلية العمارة .

وصويحب هذا هو غير (صويحب) الذي خلده الشاعر مظفر النواب في قصيدة من الشعر الشعبي لقيت انتشاراً واسعاً . وهو (صاحب ملا خصاف) من منطقة الكحلاء ومن عشائر البو محمد وكنت قد نظمته في عام ١٩٥٥ عندما كنت مديراً لمدرسة ابتدائية في منطقة (الاعيوج) التي كان الإقطاعي مجبل الفالح يتصرف فيها بأراضٍ واسعة تمتد إلى حدود الحويزة في إيران . وقد قتل صويحب بيد أكبر أبناء الإقطاعي المعروف خريبط الفالح الملقب بـ (أبو ريشة) بعد انتصار ثورة تموز .

أما صويحب الذي التقيته في زيارتي لمحلية العمارة فهو صاحب لازم الفزع ، وكان من الكوادر الفلاحية النشيطة في اللواء وقد لعب دوراً كبيراً في عملية توزيع أراضي إقطاعيي آل أزيرج بطريقة عرفت حينها ((الطريقة الثورية)) أي دون انتظار صدور قانون الإصلاح الزراعي . وبواسطة الجمعيات الفلاحية التي شكلها الفلاحون مباشرة وبمبادرتهم . وانتخب صويحب رئيساً لتلك الجمعيات عام ١٩٥٨ بعد انتصار ثورة تموز . ولا أدري الآن ما حل به بعد كل هذه السنوات والتغييرات التي حدثت في البلاد .

من المهمات التي اضطلعت بها إضافة إلى قيادة لجنة المنطقة الجنوبية ومكتبها والإشراف على المنظمات في عموم المنطقة كلفتني قيادة الحزب (السكرتارية) بمسؤولية التوجيه السياسي لمسؤول التنظيم العسكري باعتبار ان التنظيم العسكري في المنطقة الجنوبية كما في عموم البلاد منفصل من الناحية التنظيمية عن التنظيمات الحزبية المدنية ومستقل عنها وذلك تجنباً له من أية ضربة أو اختراق يحدث في المنظمات المدنية . غير ان مواكبة هذا التنظيم للتطورات والأحداث السياسية وموقف الحزب منها إنما تتم من خلال

لقاءات دورية منتظمة ينظمها سكرتير المنطقة لمسؤول التنظيم العسكري أو كلما دعت الضرورة لعرض أو شرح سياسة الحزب من المستجدات السياسية . كما تقتضي الحاجة عدم التدخل في الأمور التنظيمية والتحركات العسكرية في هذا القطاع . إذ ان هذا من صلاحية المكتب العسكري الذي يستمد توجيهاته من سكرتارية اللجنة المركزية .

وباعتبار البصرة هي المنطقة الحدودية الملاصقة لإيران وهي المعبر الرئيسي من العراق إليها وبالعكس ، فقد كان نشاط الحزب الشيوعي الإيراني (تودة) ينطلق من البصرة إلى داخل إيران من حيث تسريب الكوادر واستلام التقارير والرسائل وبالعكس أيضاً . فقد خصص الحزب الشيوعي العراقي مركزاً في البصرة للرفاق الإيرانيين لكي يمارسوا بمساعدة منا ، هذه المهمات . ولهذا الغرض استأجر الحزب داراً لإقامة وعمل رفاق القيادة الإيرانية . كما أفرزنا عُددا من الرفاق العراقيين من ذوي الخبرة في الانتقال عبر البصرة وعبادان يعملون كمراسلين واشترى الحزب لنشا (زورق بخاري) يستخدم لهذا الغرض . وحفاظاً على سرية هذه العمليات وأمنها انقطع الرفاق العراقيون عن التنظيمات الحزبية وطلب منهم التظاهر بترك العمل الحزبي . وزيادة في توفير مستلزمات أمن هذا الجهاز ، فقد أنيطت مسؤوليته المباشرة بسكرتير المنطقة لاسيما وان قادة حزب تودة كثيرا ما كانوا يزورون المنطقة ، بمن فيهم الأمين العام حينذاك الرفيق رضا رادمنش الذي كان يأتي إلى البصرة ويقيم لبضعة أشهر من أجل الإشراف على عمل المنظمات الحزبية .

وكانت مسؤولية السكرتير الإشراف المباشر على فرع الحزب الشيوعي العراقي في البصرة-حزب داود الصايغ وذلك من خلال معتمد الحزب آنذاك في البصرة الرفيق أنور طه الذي كان ينقل أولاً بأول كل نشاطات داود الصائغ وحزبه . كما كنا نستثمر علاقات حزب داود الصائغ بالأجهزة القمعية .

وقد حصلنا بالفعل على معلومات قيمة جنبت بعض رفاقنا ومنظماتنا الوقوع في أيدي أجهزة الحكومة .

لقد كان الوضع الفكري للتنظيمات الحزبية في عموم المنطقة لا يختلف عنه في منظمات العاصمة بغداد وهو وضع أقرب إلى الشلل منه إلى الحركة الفاعلة . فالمبادرات ولاسيما السياسية ضعيفة وحالة الترقب والانتظار لما قد يفعله أعداء ثورة تموز من البعثيين والقوميين خاصة في الجيش كانت حالة انتظار سلبي .

كنت أسمع وأنا في بغداد ان للحزب خطة طوارئ يتم تنفيذها حالما يحدث أي تحرك من قبل القوى الرجعية . ولم يتسن لي بالطبع ان أتوثق شخصياً من وجود تلك الخطة أو مدى فعاليتها إلا بعد ان استلمت مهماتي كمسؤول لمنظمات المنطقة الجنوبية . فاكتشفت بعد تساؤلات متكررة من مسؤولي اللجان المحلية في البصرة والعمارة والناصرية ومن اعضاء في مكتب المنطقة ، عدم وجود أية خطة طوارئ حقيقية في المحافظات الجنوبية بما في ذلك محافظة البصرة التي تحتل أهمية استراتيجية كبيرة كونها ميناء العراق وبوابته إلى الخارج فضلاً عن أهميتها الاقتصادية . وكان التفسير الذي يتردد لإقناع من يسأل عن خطة الطوارئ المزعومة ، بأن بغداد هي مركز الحكم وان أي تحرك لابد ان يحدث بالضرورة فيها ، ولذلك فإن خطة الطوارئ هي في بغداد . أما دور البصرة فستضطلع به التنظيمات العسكرية التي لها خطتها الخاصة للطوارئ وترتيباتها فيما يتعلق بالتنسيق مع قيادة الحزب المركزية في المركز في حالات إعلان الإنذار ودرجاته . إذ كانت هناك ، كما نقل إلي ، ثلاثة أنواع من الإنذار هي : إنذار "ا" وإنذار "ب" وأقصى حالات التأهب والاستعداد التي تقتضي بقاء التنظيمات الحزبية جنوداً وضباط صف وضباطاً في مواقعهم العسكرية حتى في العطل الرسمية هي حالة إنذار "ج" .

منذ كانون الأول ١٩٦٢ ازداد النشاط التآمري لحزب البعث وقد مهد الانقلابيون لمخططاتهم بإعلان إضراب الطلاب القوميين في مدارس بغداد في ٢٤ كانون الأول حيث انتشر الإضراب إلى بعض كليات الجامعة أيضاً وذلك لتحويل انتباه الحكومة عن الجيش والتستر على نيات البعث الانقلابية . (أنظر الملحق رقم ٤) .

ومن المؤسف ان أقول عن الإضراب الطلابي هذا بعد ان انتشر إلى مدارس البصرة ، ان منظماتنا الحزبية ومؤيدينا في صفوف الطلبة ، كانوا في حيرة من أمرهم لا يعرفون كيف يتصرفون لاسيما وان الإضراب انطلق احتجاجاً على ضرب الطلاب من قبل الانضباط العسكري الذي كان الطلاب الشيوعيون والديمقراطيون قد عانوا الكثير على يديه .

وفي الوقت الذي كانت أجهزة قاسم تواصل حملتها ضد الشيوعيين والديمقراطيين وتتجاهل نداءات الحزب الشيوعي الموجهة إلى الحكومة لإجراء تطهير واسع في صفوف الجيش وإطلاق سراح الموقوفين والمعتقلين والسجناء السياسيين وإعادة العمل بحرية عمل الحزب الشيوعي ، فقد واصل الحزب الشيوعي دعواته ((للجماهير الشعبية)) التحلي باليقظة والاستعداد للرد على تهديدات القوى الرجعية ومخططاتها التآمرية . .

في الثامن من شباط ١٩٦٣ والمصادف يوم الجمعة ١٤ رمضان ، كنت صباح ذلك اليوم وبعد تناولي إفطار الصباح أقرأ الصحف الصادرة يوم الخميس وقد أدرت مفتاح جهاز الراديو لأستمع إلى الأخبار ، فلم يكن ثمة شيء غير عادي في إذاعة بغداد بعد ان بدأت تذيع بعض الأغاني ، فما كان مني إلا ان اغلقت مفتاح الجهاز لأتفرغ لقراءة الصحف اليومية . فاستغرقت في قراءتي ساعة أو ساعتين ، وإذا بجرس باب الدار يدق وبالرفيق حسن مبارك (أبو مولود) وكان أحد أعضاء لجنة المنطقة يدخل عاجلاً ويتساءل ما

إذا سمعت أخبار الانقلاب ، فأجبته . . أي انقلاب ، وأدرت مفتاح جهاز الراديو فإذا بأصوات الانقلابيين تصرخ والنشيد الذي كنا نسمعه صبيحة ثورة تموز "الله أكبر فوق كيد المعتدي" يتصاعد إلى عنان السماء . . فلم أضع الوقت وأنا أرتدي ملابسي استعداداً للخروج . فكرت ما الذي ينبغي عمله أولاً وقبل كل شيء . قدتُ سيارتي وطلبت من الرفيق أبو مولود الإسراع في تحشيد كل منظماتنا وجماهيرنا لتتظاهر على الفور منددة بالانقلابيين الفاشيين والتصدي لقواتهم ومؤيديهم . وتوجهت على الفور إلى مطبعة الحزب وحررت بياناً بلغة نارية يدعو الجماهير للتصدي بكل الوسائل للانقلابيين الفاشيين عملاء الإمبريالية والمخابرات الأجنبية وسحق انقلابهم "والدفاع عن الجمهورية" وكلفتُ عامل المطبعة وأكدت عليه بعد ان يطبع البيان أن يأخذه إلى المنظمات لتوزيعه باسرع وأوسع شكل .

ولعلمي بأهمية ان يقوم التنظيم العسكري بالتحرك المضاد ، توجهت على الفور إلى الدار التي يسكنها مسؤول التنظيم العسكري الرفيق ((عبد الله علك)) ، فإذا به جالس ينتظر بدون أية حركة . فهززته من كتفه وقلت له : ما الذي تنتظره يا رفيق ، تنتظر ان يأتي الانقلابيون لأخذك من الدار ؟ فكان جوابه ماالذي يمكن ان أعمله والمفروض ان يأتي إلي بعض العسكريين إلى الدار لننسق عملنا معهم . فصرخت به : اذهب انت إليهم ، إلى دورهم . وانهضته وأجلسته بجانبي في المقعد الأول للسيارة وانطلقت به إلى دور الضباط . وفيما عدا واحد من ضباط القوة النهرية الذي كان يحث الآخرين على المقاومة وهو ضابط من أبناء الموصل يدعى صلاح ، فقد تخاذل البقية ولم يحركوا ساكناً . ومن المؤسف والغريب ان ((عبد الله علك)) انتظر ساكناً بدون أية حركة ، حتى دخل عليه قطعان ((الحرس القومي)) وأخذوه معتقلاً . ولم أسمع بعدها ما الذي جرى له ، غير ان الضابط الشجاع وقد

صدرت أوامر الانقلابيين بحبسه في سجن نقرة السلمان الصحراوي ، استطاع الإفلات في الصحراء من حراسه لكنه مع الأسف راح ضحية للذئاب المفترسة . .!

لقد كشف تهافت تنظيماتنا العسكرية وانهيار روحها الهجومية القتالية ، فضلاً عن تراخي همة كوادرنا وتنظيماتنا مدى خطأ السياسة التي اتبعناها منذ أواخر عام ١٩٥٩ وحتى أواخر عام ١٩٦٢ . ولقد بدأت هذه السياسة المشؤومة بقرار اتخذه القادة اليمينيون بعد اجتماع تموز عام ١٩٥٩ الكامل للجنة المركزية بحل تنظيماتنا العسكرية بذريعة إعادة التحالف مع قاسم . .! وإن من أهم فرسان هذا القرار أعضاء المكتب السياسي كلهم باستثناء سلام عادل وجمال الحيدري ومحمد حسين أبو العيس . أما المبادرون لهذا القرار فهم هادي هاشم الأعظمي ، وبهاء الدين نوري فضلاً عن الرفيق عزيز محمد .

اقتصر الاحتجاج في مدينة البصرة على الانقلاب ببعض التظاهرات المتفرقة في عدد من أحياء البصرة لاسيما حي الجمهورية الشعبي . وكان التحشد الأكبر أمام متصرفية أو مقر محافظة البصرة الواقع في العشار . إذ احتشد بضعة مئات من المواطنين لكنهم لا يعرفون ما الذي يجب عمله . وما ان ظهرت مجموعات من الانضباط العسكري تطلق النار فوق رؤوس المتظاهرين العزل ، حتى تفرق الناس . ساعتها أيقنت ان الانقلابيين وطدوا أقدامهم وبدأ الناس يشعرون بمرارة الهزيمة . فقررت الالتفات إلى سلامة منظماتنا الحزبية وإلى ضرورة اتخاذ كل الاحتياطات للانتقال إلى أقصى درجات العمل السري .

وشعوراً مني بالمسؤولية عن الضيوف من حزب تودة وسلامتهم ، توجهت إليهم وهم في حيرة مما حدث وأجبت على تساؤلاتهم بما يتناسب

والوضع الجديد . وبعد ان بدأتْ تردنا انباء اعتقالات لبعض رفاقنا واصدقائنا ، قلت لهم بصراحة ان وضعنا صعب ودقيق وقد لا نستطيع الاستمرار في توفير الحماية لهم . لذا اقترحت عليهم ترك البصرة ، إلى خارج العراق حتى ينجلي الموقف ، فأخذوا بنصيحتي وسافر البعض منهم إلى أوربا وأدخلوا رفيقين إلى إيران عن طريق التسهيلات التي كنا نتمتع بها . وأذكر ان أحدهما وهو من النشطاء يدعى عباس ، قد ذهب إلى الداخل هو وعائلته .

وقدر لي ان القاه في طهران في طريق توجهي إلى الاتحاد السوفيتي ومن ثم التقيته في البصرة مع عدد من قادة تودة بينهم رضا رادمنش عندما توليت مسؤولية قيادة المنطقة الجنوبية مرة ثانية عام ١٩٦٧ .

بدأت الضربات تتوالى على منظماتنا واعتقل واستشهد تحت التعذيب عدد من الرفاق بينهم الشهيد عباس جبار الحداد عضو لجنة المنطقة الجنوبية الذي ما زال اعتقاله بالنسبة لي لغزاً لم استطع حله . كما اعتقل مسؤول اللجنة المحلية في البصرة جاسم المطير وعدد من أعضاء منظمة البصرة .

في هذه الاثناء اقترح علي الرفيق محمد حسن المبارك عضو مكتب المنطقة الذي كان يتمتع بشجاعة نادرة ورباطة جأش ان أنتقل من داري إلى دار كنا قد استأجرناها قبل الانقلاب باسبوعين وأسكنا فيها مسؤولاً عن المطبعة غير مسؤولها القديم الذي كنا ننوي إعفاءه من هذه المهمة . والمسؤول الجديد هو كريم فرج بعد ان قطعنا صلته بمحلية البصرة . وكانت حجة الرفيق محمد حسن المبارك أن داري يعرفها الرفيق عبد الحسين خليفة العضو الآخر في مكتب المنطقة وهو غائب في زيارة إلى منظمة العمارة فاقتنعت برأي مبارك وانتقلت أنا وعائلتي إلى تلك الدار . ونقلت بسيارتي المطبعة إليها . ولصعوبة أوضاعنا وعدم وجود حاجة آنية لإصدار مطبوعات جديدة ، فقد اقترح الرفيق محمد حسن المبارك ان نخفي المطبعة فحفر لها

تحت السلم الذي يصل الطابق الأرضي بالسطح بحيث لم يترك أي معلم لها وبحيث عندما كبست الدار وتم اعتقالنا في ١٩ / ٣ / ١٩٦٣ لم يستطع قطعان الحرس القومي ان يعثروا لها على أثر رغم اعتراف مسؤول المطبعة السابق بأنني أنا الذي نقلت المطبعة بسيارتي . ولكني كنت انكر معرفتي بذلك حتى فوجئت وأنا في غرفة التعذيب بهرج ومرج عندما دخل الحرس وهم يحملون المطبعة ويلقون بها أمامي . وتفسير الأمر هو ان الحرس القومي قد اعتقلوا بالصدفة رفيقاً وضبطت معه كمية من البيان الذي كنت قد حررته ووزع في بداية الانقلاب فاعترف بأن الذي اوصل له البيان هو كريم فرج وحين أخضعوه لجولة من التعذيب ، أقرّ بالأمر ودلّهم على مكان إخفاء المطبعة .

وفي الحال جاءني ضابط الحرس القومي الجلاد احمد أبو الجبن وقد منحه الانقلابيون رتبة ملازم واصطحبني إلى القاعة الرئيسية لنادي الاقتصاديين الذي حولوه إلى مقر رئيسي للحرس القومي . وأمام العشرات من المعتقلين صار يوجه إلى وجهي اللكمات ويزعق انه هو ((يقصدني)) الذي كتب وطبع هذا النداء "الخياني الحقير" . وكان يتصور انه بالتستر على المطبعة يستطيع خداعنا ولكن يقظة الثوريين من الحراس سرعان ما كشفت بوسائلها الذكية جهاز الخيانة . .!

أعادوني إلى غرفة التعذيب ورموني على الأرض بحراسة صبي يحمل رشاشة سترلنك . عرفت ، مع الأسف ، فيما بعد انه فلسطيني من المفترض انه يتعاطف مع كل المضطهدين امثال شعبه ولكن ما العمل وهو مضلل صار يتسلى بشتمي حيث جاوز حدود الأدب واللياقة فبدأ يكيل لي ولعائلتي أقذع الشتائم ، فما كان مني إلا ان أرد عليه بمثلها وبأقذع منها . هنا لم يتمالك الصبي و"الحارس القومي" اعصابه فراح يطلق علي الرصاص من رشاشته

وأصابني في مناطق مختلفة من جسمي وأصاب الحائط الذي أتكأت عليه أيضاً والذي انطلقت منه شظايا أصابت وجهي واستقرت في أسناني . أما الإصابات البليغة فواحدة في صدري وأخرى استقرت في مفصل ركبتي فضلاً عن شظية كبيرة استقرت في صدغي الأيسر بالقرب من الأذن اليسرى .

ذكرت لي زوجتي التي كانت قد اعتقلت معي هي وطفلتنا يسار إضافة إلى والدتي التي جلبت لنا بعض المال من أهل زوجتي ، انها عندما سمعت إطلاق النار سألت "حارساً" يقف بالقرب من باب غرفتي فيما إذا كان هدف الإطلاق زوجها فرد عليها بالإيجاب فما كان منها إلا ان قالت ، هذا أفضل دعه يموت ويخلص من التعذيب ، وذلك قناعة منها انهم لن يستطيعوا بالتعذيب ان يحصلوا على شيء .

نقلوني إلى المستشفى الجمهوري تحت الحراسة فجاءني أحد الأطباء ويبدو انه تأثر لحالتي فقال هؤلاء جاءوا بك ليستعينوا بنا على ابقائك حياً . . ان الإصابات التي في جسمك ليست خطيرة سوى الرصاصة المستقرة في الركبة سأحاول إخراجها لأن بقاءها قد يسبب لك مضاعفات تؤدي إلى بترها . فقلت اعمل ما تراه ضرورياً وعلى الفور أخذوني إلى غرفة العمليات واستخرجت الرصاصة .

أعادوني في اليوم الثاني إلى المعتقل ولما يئسوا مني وكنت قد أضربت عن تناول الطعام ، أمرهم أبو طالب عبد المطلب نائب القائد العام للحرس القومي وكانوا قد منحوه رتبة نقيب بأن يجبروني على تناول الغذاء بالقوة أو بزرقي ابراً مغذية .

وأبو طالب هذا هو الابن البكر للسيد عبد المطلب الهاشمي الذي كان مديراً لثانوية العمارة عام ١٩٤٨ عام الوثبة وكان من العناصر المحافظة القريبة من الحكم الملكي وكان صديقاً لوالدي . حدث ان جمع الطلاب

اليساريون عريضة يطالبون فيها بإقصائه من الإدارة ونقله إلى مكان آخر ، وكنت حينها أتعاطف مع حزب الإستقلال ، فما كان مني إلا ان اختطفتُ ورقة العريضة من أحد الطلاب اليساريين ومزقتها والطالب هو محمد محمود طه وقد تحول فيما بعد إلى أقرب أصدقائي .

حدث حينها ان أبا طالب وصباح المدني وهو برتبة ملازم في الحرس القومي مرا على دار السيد عبد المطلب الهاشمي ليتناولا طعام الغذاء في طريقهما إلى البصرة فأخبر أبو طالب أباه انهما متوجهان إلى البصرة للتحقيق مع المعتقلين الشيوعيين الذين يرأسهم صالح بن مهدي دكلة . فما كان من السيد عبد المطلب وكان مريضاً ، إلا ان قال لهما آمل ان لا تلحقا الأذى بصالح لأن له فضلاً علي ، وكان يقصد بذلك حادثة العريضة . وهذا ما نقله إلي صباح المدني متسائلاً ما هو الفضل الذي أسديته إلى السيد عبد المطلب الهاشمي .

لب الحديث هنا يتعلق بالكيفية التي عاملني بها هذا الأبو طالب الذي لم يكن يعرف معنى العرفان بالجميل إذا افترضنا جدلاً ان ذلك كان جميلاً أسديته إلى أبيه . فإني في الحقيقة نادم على مناصرتي لمثل هؤلاء الناس ، وفوق محاولته لإطعامي عنوة وفك إضرابي عن الطعام فقد سمحت له نذالته بأن يستعين علي بحراسه يرمون بي أرضاً ويدوس هو بحذائه القذر على وجهي . وكل ذلك عينة من قادة ٨ شباط ومدى العار الذي سيلاحقهم إلى آخر أيامهم . .!

في اليوم التالي نقلت بحراسة مفرزة من الحرس القومي بالقطار إلى بغداد وقد شبك معي في نفس الكلبجة شاب عرفت انه ابن عبد الستار القيسي طبيب الأسنان الشيوعي وابن أخ المحامي الشيوعي عبد الوهاب القيسي الذي كان في سنوات الحكم الملكي أحد نشطاء لجنة الدفاع عن

حقوق السجناء والمعتقلين السياسيين التي لعبت دوراً بارزاً في الدفاع عن المعتقلين والسجناء السياسيين .

ومن محطة سكك حديد الكرخ نقلونا بسيارة جيب عسكرية إلى مقر القيادة العامة للحرس القومي في شارع طه في الأعظمية ، فأدخلوني رأساً على قائد الحرس القومي النقيب الطيار منذر الونداوي وقالوا له هذا صالح دكلة مسؤول الجنوب . فتقدم إلي لاماً قبضته اليمنى وهو يقول : ألم تسمع بالاسطول الإمريكي السادس كيف تحرك يستهدف ثورتنا المجيدة ؟ فأجبته والله لا علم لي بذلك سوى ان ثورتكم قيدت معصمي بهذا القيد ، ربما ان هذا الأسطول هو لحماية هذه الثورة . . فكان رده سريعاً بأن وجه لكمة إلى وجهي وصاح بحراسه : ألقوا به في المرافق .

وانتظرت هناك بضع ساعات قبل ان يأتي إلي ملازم الحرس القومي صباح المدني ينقلني في سيارة إلى قصر الرحاب الذي عرف وقتها بـ ((قصر النهاية)) كناية عن أن الداخل إليه إما أن يخرج منه وهو جثة هامدة أو يخرج وقد اعترف بكل الأسرار الحزبية التي يعرفها عن عمل الحزب الشيوعي . وراح صباح المدني ينصحني في محاولة للتظاهر بالتعاطف معي بأني سألقى عذاباً شديداً لا يستحق هذا العناد لاسيما وان أكثرية الأسرار أصبحت بيد لجنة التحقيق الخاصة . ففي "القصر" العديد من أعضاء اللجنة المركزية ادلوا باعترافات كاملة أمثال شريف الشيخ وعبد القادر اسماعيل فضلاً عن كوادر حزبية أمثال عصام القاضي وحمدي أيوب وعدنان جلميران الذين ظهروا على شاشة تلفزيون بغداد يدلون باعترافاتهم حد الإساءة إلى أسرهم . .!

والانكى من ذلك ان الخائن هادي هاشم الأعظمي عضو السكرتارية والمكتب السياسي هو الذي دل عصابات الحرس القومي على مكان القائد

الشهيد سلام عادل وعلى عدد من الدور الحزبية كدار جورج تلو الذي قتله الحرس القومي في الدار واتهم الرفيق الشهيد عبد الرحيم الشريف بقتله ، وكذلك دار الرفيق محمد حسين أبو العيس وعدد من الدور الآخرى . وكان هادي بعد انهياره قد طلب من قيادة البعث ان يبقوا أمره سراً . .

ما إن تم إدخالي إلى "القصر" وهو أشبه بمجزرة لذبح الغنم منه بقصر كانت تسكنه العائلة المالكة والأمير عبد الإله ، حتى دفعوني الى إحدى غرف التعذيب وعلقوني بحبل يتدلى من سقف الغرفة من إحدى رجلي وبدأوا ينهالون علي بالضرب . وسرعان ما فقدت الوعي لفرط ما تعرضت له في البصرة من تعذيب ولسوء حالتي الصحية بعد إطلاق النار علي . . فتحت عيني لأجد حولي رفاقي القدماء يقفون وهم يتناوبون الحديث . . أذكر منهم المرحوم عبد القادر اسماعيل ، عصام القاضي ، شريف الشيخ ، حمدي أيوب ، عدنان جلميران ، علي حسين الرشيد ، ابن عم قائد الفيلق ماهر الرشيد ، سلطان ملا علي وباسم مشتاق والكل يحثني على التعقل لأن الثورة ليست إلا ثورة وطنية ونحن الذين أخطأنا تقدير الموقف . فلم التفت إلى أي منهم سوى عبد القادر اسماعيل البستاني الرجل الأشيب موجها إليه الكلام : هل أنت مقتنع بمايقال يا أبو أحمد ، وهي الكنية التي كنا قد اعتدنا ان نخاطبه بها ، فإذا به يتلعثم وتغرورق عيناه بالدموع . . !

### "الخطيئة"..؟!

في نيسان عام ١٩٦٣ جرت مباحثات الوحدة بين كل من النظام السوري حيث تحقق في سوريا انقلاب مماثل لانقلاب شباط وجاء البعثيون السوريون إلى الحكم في ٨ آذار ، وبين الحكم البعثي في العراق ، إلى جانب جمهورية مصر العربية بقيادة الزعيم عبد الناصر . وقد تعثرت تلك المحادثات

بسبب عدم جدية البعثيين العراقيين خاصة واغراقهم ، بصرف النظر عن الإدعاءات بالوحدة العربية ، في النزعة الإقليمية والانفصالية . . وحدث ان اعد البعثيون مذكرة تطالب بالإسراع في عقد الوحدة العربية بين الأقطار الثلاثة وطلب من المعتقلين الشيوعيين التوقيع على المذكرة المزمع تقديمها إلى حكومات الأقطار الثلاثة ، مصر والعراق وسورية . فعرضت علي بعد ان وقعها جميع المعتقلين ، فمانعت في التوقيع ، رغم إني من حيث المبدأ أؤيد الوحدة بين تلك الأقطار العربية منذ ان بدأت التأثر ببعض الأفكار القومية أيام تحزبي لحزب الاستقلال في الفترة ١٩٤٧- ١٩٤٨ ولازلت أؤيد فكرة قيام وحدة عربية ، لأن وحدة اقطار عربية تجمع فيها مميزات مشتركة وحدود وعلاقات افضل من أن يبقى كل قطر يدور في فلكه الإقليمي القطري الضيق . والوحدة بالتالي هي من اسباب القوة وليس الضعف لاسيما إذا أقيمت على أسس ديمقراطية واخذت بنظر الاعتبار الخصائص المميزة لكل قطر عربي بنظر الاعتبار .

وفي ظل الضغوط التي مارسها علي بعض الشيوعيين الذين أثق بهم وبدوافعهم الموضوعية النزيهة للتوقيع على المذكرة أمثال الرفيق والصديق الراحل كمال عمر نظمي ، أعدت النظر بالفكرة وذلك انطلاقاً من صعوبة الوضع الذي تمر به الحركة الشيوعية واستفحال سياسة القمع الدموية التي تمارسها عصابات البعث ضد الحركة الشيوعية خاصة وضد الحركة الديمقراطية والوطنية عامة . ورأيت حينها ، وهذا اجتهاد مني ، ان دخول الانقلابيين العراقيين في وحدة سياسية قد يودي إلى إضعاف قبضتهم القمعية على الحركة الوطنية العراقية وقد يحصل انفراج يمكن ان تستغله الحركة في العراق لإيجاد مخرج من الوضع الذي تعانيه لاسيما وان النظامين البعثي في سورية ونظام عبد الناصر قد وجها العديد من الانتقادات إلى سياسة القمع التي يتبعها نظام

البعث في العراق . لهذه الأسباب لم أر حرجاً في التوقيع على المذكرة التي لم تنشر في الأساس ، لأن البعثيين حالوا بتصرفاتهم الصبيانية دون استمرار المحادثات . وبدأت حملة إعلامية جديدة قادها البعثيون العراقيون ومعهم السوريون ضد عبد الناصر وسياسة الجمهورية العربية المتحدة .

ولكن هذه الحادثة وإن لم تؤثر على وضعي في الحزب الشيوعي العراقي وواصلت التمتع بعضويتي كاملة في اللجنة المركزية ، إلا إنها أثرت علي نفسياً لاسيما بسبب موقف بعض الرفاق الذين يصطادون في المياه العكرة .

ففي اجتماع عقد في موسكو في حزيران ١٩٦٤ ونحن نناقش العديد من الأمور ، فاجأني عزيز الحاج الذي انهار في أول لقاء مع مخابرات البعث عام ١٩٦٩ ودون ان يلحقه أي أذى أو حتى يتعرض إلى ضربة كف ، وراح يتحدث من محطة تلفزيون بغداد وهو المسؤول الأول في القيادة المركزية ، عن صحوة الضمير التي هدته لخيانة أفكاره وتاريخه ـ عزيز الحاج هذا فاجأني في ذلك الاجتماع بأن أراد معرفة رأيي في الوحدة العربية ، فأجبته بأني من مؤيديها ليس الآن بل من زمن بعيد لأسباب ذكرتها في ما سبق من سطور . .

ومع انه لم يجر معي أي حديث أو محاسبة حول هذه الحادثة منذ وصولي إلى موسكو في أيلول عام ١٩٦٣ وحتى أواخر عام ١٩٦٤ وهو عام عودتي ثانية إلى العراق ، لكن عند وصولي إلى بغداد بداية عام ١٩٦٥ التقيت الرفيق عمر علي الشيخ وفي اثناء الحديث فاجأني بالموضوع نفسه . فاستغربت كيف ان بعض الرفاق لا يقيمون وزناً لكل ما تعرضت له ولكل مواقفي ، بل يتشبثون بموقف واحد كان لي فيه اجتهاد خاص ولا أعتبره خطأ أو ضعفاً مني . . !

فمن مجموع ١٢ رفيقاً وقعوا بيد العدو من أعضاء اللجنة المركزية ،

استشهد بشرف كل من : سلام عادل ، جمال الحيدري ، محمد صالح العبلي ، محمد حسين أبو العيس ، جورج تلو ، عبد الرحيم شريف ، حمزة سلمان ، ونافع يونس .

وترك الحزب بسبب خيانته أو مواقفه المتخاذلة أو الضعيفة كل من هادي هاشم وشريف الشيخ . أما عزيز الشيخ وعبد القادر اسماعيل فقد ابتعدا بسبب ضعف موقفهما .

أنا الوحيد الذي نجوت وحررت نفسي من الاعتقال في حين اختفى في قرى الوسط كل من زكي خيري وباقر ابراهيم وفي كردستان عزيز محمد وعمر علي الشيخ .

والبقية الباقية في الخارج . .

## عملية الهروب من الاعتقال

بداية شهر أيار ١٩٦٣ ، سمعنا خبراً من بعض المعتقلين الذين يمتون بصلة قربى إلى بعض مسؤولي الحرس القومي ، يفيد ان إدارة القصر ستعمل على تفريغه من المعتقلين ، لافتضاح أمره كمركز لتعذيب وقتل الشيوعيين .

وفي ليلة من الاسبوع الأول من أيار ، أنزلوا كل المعتقلين إلى باحة القصر ، إلا ثلاثة هم نافع يونس ومحمد الجلبي وكاتب هذه السطور . وكان نافع ومحمد في حالة صحية متردية بسبب شدة التعذيب الذي لاقياه بحيث لا يقويان دون مساعدة أحد على الذهاب لقضاء الحاجة . وكان يساعدهما في ذلك معتقل شاب من أهالي شيخ سعد ، وهي ناحية من النواحي التابعة لقضاء علي الغربي التابع إلى محافظة العمارة . وكنت قد تعرفت عليه عام ١٩٥٥ في شيخ سعد ، ويدعى عبد الأمير ، فضلاً عن ان بعض المعتقلين ممن كان يتعاون مع اللجنة التحقيقية الخاصة ، أمثال عصام القاضي وعدنان جلميران لم يتم

نقلهم إلى النادي الأولمبي .

في هذه القضية-قضية نقلي مع معتقلين آخرين إلى النادي الأولمبي في الأعظمية الواقع في ساحة عنتر ، ادعى المرحوم هاني الفكيكي ان نقلي كان بتدخل منه . وهذا ليس صحيحاً على الإطلاق وأخبرته به بعد أن بعث إلي بنسخة من كتابه ((أوكار الهزيمة)) مع السيد عبد الستار الدوري وتتصدره كلمة إهداء هذا نصها : (عزيزي الأستاذ صالح . . لو افترضنا جدلاً أنك قد بدأت حياتك السياسية كشيوعي وبدأتها أنا كقومي فمن الذي كان يتعين عليه ان يكتب ((أوكار الهزيمة)) ؟ مع المحبة والتقدير .

حقيقة الأمر ان الرفيق الراحل عزيز الشيخ كان يعرف الغرض من النقل إلى النادي الأولمبي وإن الإبقاء علينا نحن الثلاثة نافع والدكتور الجلبي وأنا ، ربما كان لتصفيتنا جسدياً . فأكد علي بضرورة النزول إلى الباحة أسوة بالمعتقلين الآخرين ، وعندما شرعوا ينادون على الأسماء لم يرد اسمي مع هؤلاء وبينهم عزيز الشيخ ، بل وقفت في مكاني لم أتحرك حتى جرني عنوة الرفيق عزيز الشيخ وأركبني في سيارة الجيب التي أقلتنا وعددا آخر من المعتقلين . وإذا بنا نصل إلى البوابة الرئيسية للنادي الأولمبي التي تفضي إلى ساحة عنتر ، فأنزلونا وبدأوا في تعداد الأسماء ، فلم يكن اسمي معهم . وقال آمر المعتقل بأنه لا يتسلمني لأن اسمي ليس موجوداً في قائمة المنقولين . فذهبت بي السيارة إلى المقر الرئيسي لقيادة الحرس القومي ، وهو قريب ، وأخبروا المسؤول هناك بقصتي وكون اسمي لم يكن مع بقية المنقولين . فأحتج المسؤول في مقر القيادة العامة للحرس بأنه لا يستطيع أن يعمل معي شيئاً لاسيما وان المقر لا يتوفر فيه حراس يقومون بحراستي واقترح عليهم ان يعيدوني إلى معتقل النادي الأولمبي إلى أن يجدوا حلاً لقضيتي . فأعادوني ولم يسأل عني أحد بعد ذلك . فبقيت هناك إلى حين

هروبي من معتقل النادي .

وملخص قصة الهروب أني منذ اليوم الأول لاعتقالي ، اخترت طريقين لا ثالث لهما منذ لحظة اعتقالي في البصرة . وهذان الطريقان هما إما الموت بشرف والحفاظ على كل الأسرار التي أئتمنني الحزب عليها وكان التطبيق العملي لهذا السلوك هو في تعاملي مع الجلادين بتحدٍ يدفعهم لتنفيذ رغبتي في الموت ، أو الإضراب عن الطعام . أما الخيار الثاني فهو تصميمي على الهروب بأي ثمن . لذا كنت منذ اليوم الأول أدرس كل الثغرات التي يمكن أن أنفذ منها إلى الحرية وأفتش عن كل الوسائل التي تساعدني في تحقيق رغبتي في الهروب . وبعد جهد جهيد توفرت تلك الفرصة أو الإمكانية بكلام أدق .

كنا نحن المعتقلين الشيوعيين استقرت بنا الحال في قاعة التدريبات الرياضية في الطابق الأول من النادي من خلال سلم يبدأ في الطرف الأيمن من الباحة الأمامية لمدخل النادي وينتهي إلى الطابق الأول حيث كان الوقت صيفاً شديد الحرارة . وكان معي في هذه القاعة عدد لا يزيد على ٢٠ معتقلاً منهم عزيز الشيخ وشريف الشيخ وعبد القادر اسماعيل ، وباسم مشتاق ، وعلي حسين الرشيد ، وحمدي أيوب ، وفخري بطرس وشقيقه الأصغر ، وكمال عمر نظمي ، وابن عمتي المحامي حافظ رضا ، ومهدي الرضي الأخ الأصغر للرفيق الخالد سلام عادل ، وعبد الحسين خليفة و آخرون لا تحضرني أسماؤهم .

واكتشفت ، عندما كانوا يأخذوننا إلى المرافق ، أنه بعد ان ننزل السلم ونلف إلى الجهة اليمنى يقع هناك عدد من المراحيض وعدد من الحمامات المجهزة بالدوش . وكانت دورات المياه قد أغلقت شبابيكها التي تقع في الجهة العليا على الجدار الجانبي بالشبك الذي يصعب تجاوزه والخروج منه . ومن

حسن الحظ ان لفت نظري الشباك الهوائي لأحد الحمامات الذي كان يغلق ويفتح لعدم تثبيته بالمسامير . فألقيت نظرة من خلاله فوجدته يطل على الحديقة الجانبية للنادي وعلى علو مناسب يمكن إذا قفزت منه بعد أن أتدلى بكامل جسمي ، أن لا أتعرض إلى كسر أو مكروه . فسددت الشباك . وعدت والأمل يملأني بإمكانية النجاة .

فكرت تلك الليلة في توفير كل مستلزمات الهروب ولاسيما في المكان الذي سألجأ إليه بعد تحرري . فطلبت من إبن عمتي أن يوصل خبراً إلى زوجتي لكي تسعى لترتيب مقابلة معي مستعينة بأقارب لها من مسؤولي الحرس بواسطة والدته ، وهو فايق توفيق المختار مسؤول قطاع الكرخ للحرس القومي . فأخذوني من النادي الأولمبي للقاء زوجتي في مقر القيادة العامة للحرس القومي الواقع في شارع طه غير البعيد عن النادي الأولمبي . وكان عدد من أقربائي وأقرباء زوجتي قد حضروا المواجهة . فانتهزت فرصة إنصرافهم للحديث مع بعضهم البعض ، لأنبه زوجتي وأقول لها : تمالكي نفسك ولا تخافي ، فسأخبرك قراري وبادرتها بالقول لا تخافي قررتُ الهروب من المعتقل وما أريد التأكد منه هو فقط إن كان خال أمي مطشر المبادر وهو فراش في إحدى الوزارات لا يزال يسكن نفس داره في مدينة الثورة ، فترسلين إلي في المواجهة القادمة التي آمل ان تكون قريبة بعشرة برتقالات . فأجابتني سيقتلونك ، قلت لها ولكن هناك فرصة في النجاة وكوني قوية ولا تجعلي الخوف يظهر عليك .

وسبب اختياري لدار مطشر كونها غير معروفة لدى الحرس القومي ومجهولة حتى بالنسبة إلى أهلي وأقاربي الذين يستحيل اللجوء عندهم دون ان يتعرضوا للمداهمة من قبل رجال الحرس .

في المدة المتبقية للهروب كنت أعد نفسي للحظة الحاسمة ولم أُسِر بنيتي

هذه إلا إلى الرفيق الراحل كمال عمر نظمي والرفيق مهدي الرضي شقيق الشهيد سلام عادل اللذين قدما لي مساعدة بسيطة ولكنها لا تقدر بثمن .

يوم التاسع من حزيران وصلتني الهدية-البرتقالات العشرة . وكان موسم الحمضيات قد انتهى ، فحصلت عليها زوجتي من باعة العصير بأضعاف ثمنها العادي . فاتخذت قراري على الفور بالتحرر من جحيم النادي الأولمبي في يوم ١٠ حزيران .

وفي اليوم نفسه الذي وصلت فيه البرتقالات ، أي التاسع من حزيران ، زارني النقيب المرحوم سعدون غيدان الذي كان عضواً في الهيئة التحقيقية الخاصة ووقف يتحدث معي في جانب منعزل من القاعة وبيده بضع ورقات . وقال لي : ((شوف هذه الأوراق الثلاثة أو الأربعة هي "الإفادة" التي كتبتها وليس فيها أي شيء ذو قيمة لأعضاء الهيئة التحقيقية . . خذها واكتب غيرها وأنقذ نفسك من موت محتم ، فكل الأسرار التي يطلب منك كتابتها في الإفادة معروفة ومكشوفة ، وأخذ يعدد علي أسماء أعضاء اللجنة المركزية ويقول حتى هذه الأسماء المعروفة لم ترد في إفادتك وخلت حتى من أعضاء لجنة المنطقة الجنوبية ، فكيف تريد من الهيئة أن تقتنع بهذه الإفادة ؟)) . وكانت لهجة الرجل متعاطفة معي وهو يبلغني ان قرار إعدامي سينفذ غداً . ففكرت بسرعة وارتأيت أن أتظاهر بالاستجابة لنصائحه .

وكان هدفي من تطمينه بموقفي الجديد هو ان أحول دون أي إجراء يمكن ان يتخذ بشأني كالنقل من معتقل النادي الأولمبي فتذهب جهودي وترتيباتي ادراج الرياح وتضيع فرصتي في النجاة . وترك لدي أوراق الإفادة وغادر .

كنت حريصاً ان يطلع على أوراق الإفادة عدد من الرفاق والأصدقاء لكي لا يبقى مجال لأي تقول عن حقيقة موقفي في التحقيق . لذا تركتُ تلك الوريقات في فراشي في المعتقل ولم آخذها معي لكي لا يتصور البعض ان لدي

ما أخفيه من إفادتي .

وبمجرد مغادرته جاءني شريف الشيخ الذي يعرف من قريبه الدكتور أسامة طبيب الهيئة التحقيقية الخاصة ، بأنهم سيأتون صباح غد لنقلي وإعدامي ، كما أعلمني فيما بعد عزيز الشيخ ، الذي جاء ليسألني ما الذي أراده مني سعدون غيدان . فحدثته بحقيقة الأمر وأنهم عازمون على تصفيتي فيما إذا أصررت على موقفي السابق . سألني وماالذي ستعمله أنت ؟ قلت له : يبدو ان موقفي هذا لا فائدة منه وسأستجيب لطلبهم خاصة بعد ان لم يعد هناك سر لا يعلمونه . فانفرجت أساريره وراح يؤكد فكرتي وذهب لينشر الخبر بين المعتقلين بما سوف أقدم عليه . وكان هذا غرضي إذ أن من المهم ان اضعف من يقظة البعض ممن كانوا يراقبونني في المعتقل .

أبلغت قراري الرفيقين كمال عمر نظمي ومهدي الرضي وطلبت منهما ان يلهيا بقية المعتقلين ويطولا من سهرتهم بلعبة الدومينو التي كنا نصنعها من عجين الصمون وهو لب الخبز العراقي الذي تنتجه الأفران ، ففعلا ذلك . كما جمع لي مهدي الرضي بعض النقود الفكة لتجنب أي إشكالات في دفع أجور السيارة التي تقلني بعد اجتيازي أسوار النادي الأولمبي الخارجية .

في كل يوم يجلس أحد الحراس عند باب القاعة التي ننام فيها وقد عرفت من متابعتي له أنه يغفو في ساعات الصباح الأولى متكئاً على بندقيته الروسية (كلاشنيكوف) واستيقظت مبكراً والكل نيام ، فتسللتُ من وراء الحارس حافياً ونزلت السلم في يمين القاعة في حوالي الرابعة صباحاً ، وانتظرت في منتصف السلم حيث لا يراني الحارس الثاني الذي يتخطى جيئة وذهاباً من باحة النادي الداخلية في الأمام وإلى مكان قريب يمكن أن يراني منه أو أراه عند نهاية السلم . فانتظرت ذهابه إلى الباحة حيث تفصل احدنا عن الآخر زاوية يصبح خلفها بحيث لا نرى بعضنا . في هذه اللحظة أسرعت

في إكمال النزول من منتصف السلم ودخلت عاجلاً المرافق في يمين السلم فلم يشعر الحارس بدخولي لاسيما وان يوم ١٠ حزيران ، صادف اليوم الأول من انطلاق الحملة الجديدة للحرب ضد الشعب الكردي وقد زاد الهرج والمرج في مدخل النادي الأولمبي .

انتظرت ثوانٍ لكي أعرف رد الفعل على دخولي الحمام . وبادرت بخلع دشداشة كنت أرتديها واستبدلتها بقميص وبنطلون وفتحت شباك الحمام الذي يطل على الحديقة الجانبية ، التي كانت في مستوى منخفض عن مستوى الشباك وتتخللها سواقٍ مزروعة من نباتات الزينة (الياس) . وكانت ثمة طاولات منتشرة في الحديقة للعبة كرة المنضدة ، يفترشها عدد من الحراس القوميين في سبات عميق كما بدا لي . فخشيت أني إذا رميت بنفسي من هذا الارتفاع ، أن أحدث صوتاً يثير انتباه البعض منهم نحوي أو أن أصاب بكسر في إحدى رجلي . ولتجنب ذلك ، أمسكت بالشباك بكلتا يدي وانزلت بجسمي بمحاذاة الجدار من الخارج وقفزت إلى الأرض المعشوشبة بكثافة وانتظرت أي رد فعل يمكن ان يأتي من الحراس النائمين . وبعد ان تيقنت بعدم وجود رد فعل ، بدأت أزحف نحو الباب الحديدي الجانبي الذي كان الوحيد الذي لم يغلق بالأسلاك الشائكة وذلك لتسهيل دخول السيارات التي تحمل المؤن إلى النادي والمعتقلين الجدد . فأصبحت على مقربة منه مختبئاً بين النباتات الكثيفة وألقيتُ نظرة على الحراس ، وتوثقتُ ان لا حركة تصدر منهم ، فتسلقت البوابة إلى الشارع بسرعة وسهولة حيث صرت في الشارع وأخذت أمشي قاطعاً الشارع بهدوء إلى مجموعة كثيفة من النخيل . فدخلتها لكي أنحرف منها بسرعة قاصداً الشارع العام الذي بدأت فيه أوائل سيارات الأجرة الحاملة عمال البناء وباصات مصلحة نقل الركاب الحمراء تظهر بقلة في الشارع متجهة إلى بغداد عند ساحة الميدان . توقفت انتظر سيارة

أجرة أو باص لنقل الركاب بضعة دقائق وأفكر كيف سيكون الأمر لو أن مفرزة للأمن أو الحرس استوقفت السيارة التي تقلنا للتأكد من الوثائق التي نحملها ، فلم تكن معي في حينها أية وثيقة . . في هذه الاثناء ظهرت سيارة أجرة تقل بعض عمال البناء . . أشرت لها بالتوقف . . فوقفت وإذا بها بحاجة إلى راكب في المقعد الأمامي . فتحت الباب ودخلت مسرعاً . . انطلقت السيارة وإذا بجسر الصرافية وهو يعبر ضفتي الشارع يتبدى لي واضحاً وحين التفت إلى ارض الشارع الممتدة أمامي وجدتها خالية من كل شيء ، إذا بي أرى مفرزة من الحراس تستوقف سيارة الأجرة عند الجسر ، فكاد قلبي يطير من مكانه وأصابتني دهشة خفيفة خشية ان يكون هؤلاء الحراس من منتسبي النادي الأولمبي جاؤوا للقبض علي . وقبل أن أفكر بالقيام بحركة أو إجراء معين ، تعالى صوت أحد الحراس ((هوياتكم شباب)) . . شرع الركاب الأربعة يعرضون هوياتهم وأنا أتشاغل بإدخال يدي في الجيب الخلفي فأسرع الحارس قبل أن يطلع كفاية على الهويات يوعز إلى السائق . . ((يالله تحرك . .!)) . عندها تنفست الصعداء وأزيح من على صدري كابوس ثقيل . فانطلقت السيارة مسرعة في طريقها إلى ساحة الميدان حيث نهاية الخط . .!

شعرت بالحرية ثانية بعد ٨٣ يوماً قضيتها في جحيم لا يطاق من العذاب والرعب مع سجانين لم أر ولم أسمع بأسوأ منهم . . قساة ، غلاظ ليس فيهم من صفات البشر والإنسانية شيء ، أشبه بالحيوانات المفترسة بل ان الحيوانات المفترسة أكثر إنسانية منهم وأرحم ، لأنها لا تفترس إلا عندما تشعر بالجوع في حين ان هؤلاء يتلذذون بعملية الافتراس ويتفننون فيها وهم سعداء . .!

في ساحة الميدان التقطت أنفاسي واستعنت بما لدي من رباطة جأش

وبدأتُ أفكر ، وأنا أتناول كأساً من الشاي لدى بائع شاي ينشر بضعة كراسي صغيرة وبعض الصناديق ليجلس عليها الزبائن ، بالمرحلة القادمة وكيف يمكن أن أعيد صلتي بالحزب ثانية . تكون لدي شبه مخطط للأيام القادمة . أخذت سيارة أجرة متوسطة الحجم تتسع لـ ١٨ راكباً قاصداً الباب الشرقي وتحديداً ساحة الطيران . وكان الوقت بين الساعة السادسة والنصف والسابعة . ومن هناك حشرت نفسي مع ركاب آخرين في باص متوجه إلى مدينة الثورة حيث تقع الدار التي ستكون محل اختبائي . وصلت إلى بداية المدينة نزلت من السيارة وبدأت في الاستدلال على الدار التي لم أذهب إليها إلا مرة واحدة صيف ١٩٦٢ عندما زارتنا الوالدة عند أهل زوجتي فأوصلتها بسيارة أهل البيت إلى تلك الدار ونزلت أسلم على أهلها ، وهم أقربائي من جهة أمي . ولأن أبواب الدور كانت متشابهة إلى حد كبير بحيث يصعب التفريق بينها ولكوني لم أكن أريد أن أسأل عن اسم أهل الدار رغبة في الاحتياط والتكتم ، انتظرت في الساحة الخضراء التي تقع أمام مجموعة الدور لعلي أرى أحد سكان الدار خارجاً أو داخلاً إليها فأتجنب هذا الإحراج . ولكن انتظاري طال بحيث بدأت الشكوك تساورني بأني قد ضيعت الدار فاضطررت لسؤال أحد أصحاب المحلات القريبة من الدار فيما إذا كان يعرف دار مطشر آل مبادر ، فأشار إلى الدار الرابعة التي تسبق داره . عندها ذهبت فطرقت الباب وإذا بابنهم البكر وكان عاملاً في مصلحة البريد والتلفونات يستقبلني بدهشة كبيرة ويسحبني إلى داخل الدار حيث العائلة كلها الأب والأم والأولاد الستة يحيطون بي والأرض لا تسعهم من الفرح والدهشة .

انتظرت عدداً من الأيام حتى تزول الزوبعة التي أثارها أقزام الحرس اللاقومي . قبل أن أفكر بالحصول على وثيقة شخصية أستعين بها على التحرك باستعمال وسائط النقل لقضاء بعض المهمات . وكان الشيء الأول الذي

أحتاجه لتنظيم وثيقة شخصية مزورة هي صورة جديدة لي في الزي العربي الذي اخترته وهو شائع في مدينة الثورة .

أخذت باص مصلحة نقل الركاب ومعي صبيح الابن الأكبر للعائلة ونزلنا إلى بغداد -ساحة الطيران- حيث اشتريت صحيفة وإذا بها تنشر صورة قديمة لي كانت على الهوية الشخصية التي كانت معي اثناء اعتقالي -وهي صورة أفندي- لا يجمعها جامع مع وضعي الجديد كأعرابي لا يرتدي إلا ملابس تكاد تهترئ، وتنشمع على جسمي من كثرة الاستعمال والأوساخ!

جلست على الكرسي بهيئتي المزرية تلك أمام جهاز التصوير الشمسي في الشارع المحاذي لحديقة الملك غازي وقد بدأت صورتي تظهر رويداً رويداً وهي في صندوق التحميض حتى تكاملت صورة الأعرابي . ثم توجهت الى عباس المطشر ، وهو الابن الرابع في سلسلة أولاد الخال مطشر وكان لا يزال يدرس في المدرسة المتوسطة ، فأزلت بحذر شديد صورته من على دفتر النفوس والصقت صورتي ولم ألق كبير عناء في اختيار الأرقام المناسبة لسنة ميلادي . وعندها اصبح دفتر النفوس وهو الهوية الشخصية التي كانت معتمدة تلك الأيام ، جاهزاً .

وفي عناء البحث عن قيادة الحزب وسبل تأمين الصلة بها ومعرفة أخبارها وما الذي يتعين علي ان أفعله بعد ان استرجعت حريتي ، رحت أشحذ الذاكرة وأحثها لكي ترشدني إلى الوسيلة الأسلم . لمعت في الذاكرة دار الرفيق كاظم جواد التي تقع في فضوة عرب من محلة باب الشيخ حيث كنت أشرف على اجتماعات اللجنة النسائية عندما كنت مسؤولاً لمنطقة بغداد . وكان أعضاء اللجنة النسائية حينذاك الدكتورة نزيهة الدليمي وسافرة جميل حافظ والرفيقة ثمينة ناجي يوسف زوجة الرفيق الخالد سلام عادل وزكية شاكر التي كانت حينها خطيبة الرفيق كاظم جواد الذي كان سجيناً وتحرر مع بقية

السجناء بعد ثورة تموز . وكان وقتذاك في موسكو للدراسة بينما زوجته زكية شاكر معتقلة في النادي الأولمبي مع عدد آخر من الشيوعيات .

ذهبت إلى الدار واستقبلوني بحذر شديد ولكن بتعاطف ولما رأيت الخوف في وجوه أفراد العائلة ، قلت أني لا أريد شيئاً سوى إيصال هذه الرسالة بواسطة الخالة أم زكي وهي امرأة شجاعة ووفية وأخبرتهم بأني سأحضر بعد اسبوع لأرى ما الذي حصل من الأمر .

ولما عدت سلمتني أم زكي جواباً على رسالتي المقتضبة إلى المركز والتي كانت تقتصر على إيجاد محل آمن ألجأ إليه وتزويدي بمسدس للدفاع عن النفس . وكان الجواب رسالة صغيرة تؤيد خطوتي في الهروب وتباركها وتحديد موعد للقاء بهم مع مبلغ عشرة دنانير .

ولقد أخبرني كاظم الصفار صهر الرفيق الشهيد جمال الحيدري عندما وصل إلى براغ صيف عام ١٩٦٤ بأن الشهيد الحيدري مر عليهم إلى الدار التي كانوا يسكنونها يبشرهم بهروبي وأن موعداً نُظم للالتقاء بي قريباً .

ولا أدري إن كان من حسن الطالع أم من سوئه ان موعد الالتقاء بالرفيقة المراسلة لم يتحقق بسبب خطأ أو سوء تقدير . إذ ذهبت إلى الموعد حاملاً علامة التعارف ووقفت في موقف الباص المقابل لدار المسنين في شارع الشيخ عمر ، ثلاثة أيام دون ان يتقدم إليّ أحد وطارت الفرصة . ولما رحت إلى دار الرفيق كاظم جواد لأعطيهم رسالة بما حدث معي يوصلونها إلى الحزب عن نفس الطريق ، كان الخوف مسيطراً عليهم بحيث لم أجد بداً من تركهم والخروج من الدار دون رجعة إليها . فالناس كانت مرعوبة تلك الأيام مما تسمعه وتراه من ممارسات البعث الهمجية .

في هذه الحالة بقي أمامي الخيار الوحيد والأخير وهو العودة إلى المنطقة الجنوبية وتحديداً مدينة البصرة للملمة ما يمكن لملمته من بقايا تنظيمات

اللواء ومدينتي العمارة والناصرية . ومنطلقي في ذلك الهدف هو الاعتماد على مجموعة الرفاق الذين كنا قد ابعدناهم عن التنظيم الحزبي لاعتبارات تتعلق بإدارة جهاز حزب تودة وعلى أمل ان أبيع اللنش الذي كنا نستعمله لإدارة جهاز الاتصالات بين إيران والعراق فضلاً عن ان بعض كوادر حزب "داود الصائغ" لا سيما الرفيق أنور طه ، كانوا قد بدأوا في إعادة تنظيم بعض الخطوط المنقطعة لحزبنا .

استغليت فرصة زيارة الأربعين التي يسافر بمناسبتها عشرات الآلاف لزيارة العتبات المقدسة في كربلاء . فأخذت ومعي أحد الأقارب وابنه ذو العشر سنوات باصاً خشبياً من مدينة الثورة متجهين مع مئات السيارات المشابهة إلى كربلاء . وهناك قضينا مراسيم الزيارة وشاركنا في مواكب التعازي التي تضم مئات الألوف ممن قصدوا كربلاء من كل صوب وحدب في العراق . وقضينا ليلة أو ليلتين قبل ان نستأجر مع زوار الفرات الأوسط والأدنى باصاً أوصلنا في آخر المطاف إلى مدينة سوق الشيوخ القريبة من مدينة الناصرية مركز المحافظة .

بتنا ليلةً ثقيلة الظل في فندق متوسط المستوى نزولاً عند رغبة صاحبي . إذ كنت أفضل المبيت في فندق من الدرجة الدنيا وهو ما يناسب هيئتي المتواضعة وهندامي كأعرابي ، غير ان مرافقي جهلاً منه أو نزقاً لم يفهم ذلك . في النهاية أدى هذا التناقض بين هيئتي العامة والفندق الذي نبيت فيه الى لفت نظر أحد نزلاء الفندق الذي قدرتُ من تركيزه على مراقبتنا بأن الشكوك باتت تراوده عن حقيقتي . وكانت مدينة سوق الشيوخ معروفة بكثرة انتماء أبنائها إلى صفوف حزب البعث . فالبعثي المعروف نعيم حداد من أبناء المدينة والكثير من سكانها من مناصري هذا الحزب .

راح الرجل يراقبني بينما صاحبي لا يفقه شيئاً بل يزيد الطين بلة بنزوله

في استراحات على الطريق ليشتري المشروبات الغازية ولم يكن تنكري بهذا الزي المهلهل كافيا لإخفاء انحداري من المدينة بسبب بنيتي وميلي بعض الشيء إلى السمنة .

المشكلة الكبيرة ان صاحبي لم يكن يريد ان يفهم أو انه من الغباء بحيث لم يفهم هذه التصرفات حتى وصلنا إلى بعض منشآت شركات النفط في الزبير وصادف ان توقف الباص عند خزان لماء الشرب بقربه مفرزة للشرطة ، فنزل صاحبي مع ولده وتأخر في قضاء حاجته لشرب الماء ليصل آخر الواصلين ، وأنا أتوجس شراً من ان صاحبنا الذي يضعني في مركز مراقبته قد يوعز إلى السائق ليخبر الشرطة بشكوكه بي . ولكنه لم يفعل منتظراً كما يبدو دخول الباص مدينة الزبير وهي المنطقة النهائية في الرحلة كما هي المكان النهائي بالنسبة لنا .

وعندما شرع الركاب ينادون السائق في بداية المدينة ان يتوقف لينزلوا هناك ، سحبت الصبي إبن الرجل من يده ونزلت معه موجهاً كلامي له بأننا قد وصلنا فلم يكن عليه إلا اللحاق بنا مضطراً وهو غير راضٍ لأن الدار التي نقصدها في الزبير تقع في مكان آخر . لم أرد عليه ورحت ويدي بيد ولده أدخل زقاقاً وأخرج إلى آخر ، فصاح عليّ غاضباً ما الذي تفعله ، ياسيد عباس وهو الاسم في دفتر النفوس . توقفت وأسمعته ما أريد وكيف انه كان سيلقي بي في أيدي الجلادين . .!

## الوصول إلى البصرة..

وصلنا الدار واستقبلنا أهلها بالترحاب فهم من العشيرة والأقارب . وكانت تتوسط الدار باحة واسعة تحيط بها غرف مبنية من اللبن . وفي زوايا الباحة من اليسار أعد مكان لجلوس الضيوف رصفت أرضيته بالآجر تعلوها

حصائر عملت من شرائط القصب تسمى الواحدة (بارية) والمجموعة (بواري) ، فرشت فوقها بكل عناية بضعة سجاجيد عربية الصنع وكان عدد من الحشايا الصوفية يتحلق حول مكان الجلوس .

حينها شعرت براحة كنت أفتقدها تلك الأيام التي قضيتها في طريقنا من بغداد إلى الزبير وبشيء غير قليل من الاطمئنان بعد الورطة التي وضعني فيها صاحبي مع الغريب في باص الخشب الذي أقلنا من سوق الشيوخ وحتى الزبير . .!

أوعز الأب كبير العائلة إلى بنته وهي فتاة شابة على شيء من الحسن ان تقوم لتسكب الماء على أيدينا وأرجلنا لتزيل عنا اثار السفر ولنعد أنفسنا لإقامة صلاة المغرب . وكان دوري أنا الأول لأن صاحبي ناداني (سيد عباس) . عدت إلى الجلوس . ولعدم إتقاني مراسم الصلاة ، انتظرت من يبدأ القيام بها لكي أقلده في حركات القيام والسجود . . . .!

تناولنا عشاءنا تلك الليلة وكان شهياً وقضينا سهرتنا في تبادل مختلف الأحاديث وكنت أتحاشى إثارة أي موضوع سياسي مفضلاً أن أكون مستمعاً أكثر مني متحدثاً . .!

فالعائلة التي استضافتنا وإن كانت من أقارب مرافقي . . لكنها لا تعرف عني شيئاً ولم نكن نحن نصرح بشيء عدا ان مرافقي قد اصطحبني كرفيق طريق وهم عرفوني بسيد عباس .

انتهزت بعض الوقت الملائم لأتساءل كيف هو الطريق من مدينة الزبير إلى البصرة وكم يستغرق من الوقت لاسيما ونحن مزمعون غداً على النزول إلى البصرة . فقال الابن البكر : (بسيطة يمكن ان تنزلون معي إلى البصرة ، فغداً عندي مشوار إلى البصرة لانقل بعض الحاجيات إلى الزبير ) . وكان الشاب يقود عربة خشبية من أربعة عجلات يجرها حصان يمكن ان نستعملها

لاسيما وهي تذهب فارغة . فالتقطت الفكرة ورحبت بها لأنها تجنبنا إشكالات المرور عبر حواجز الشرطة ورجال الحرس . وأقنعت صاحبي ان هذه الوسيلة أكثر أماناً رغم خشونتها . . .!

بعد قيامنا بأداء فريضة صلاة الصبح ، أعد مضيفونا إفطاراً شهياً من الكيمر والدبس مع خبز التمن (السياح) الذي يعد على صاج من الحديد تسخن جيداً فيدلق عليها السائل المكون من طحين الرز والماء ، وماهي إلا لحظات حتى يستقر السائل جامداً ورقيقاً على الصاج فيؤخذ حاراً ليؤكل مع غموس مناسب كالبيض مثلاً أو الدبس أوالكيمر . .

أخذنا مكاننا ، بعد إكمال الفطور وشرب الشاي ، إلى جانب الشاب سائق العربة ، فانطلق بنا على الطريق العام الذي يصل مدينة الزبير بالبصرة . ونزلنا عند المستشفى الجمهوري . أخذنا سيارة أجرة متوجهين إلى العشار ومنها إلى مدينة الجمهورية وهي مدينة شعبية تقع في الطرف الشمالي لمدينة البصرة قاصدين ابن خال لي يعمل عسكرياً برتبة عريف في معسكر القاسم القريب من مدينة الجمهورية ليستضيفني عنده في البيت قبل ان أرتب أوضاعي في إعادة الاتصال بالتنظيمات الحزبية في البصرة . ولما كنا لا نعرف عنوان داره ، قصدنا المعسكر وسألنا الحارس إن كان يستطيع إرشادنا إلى قريبنا العريف الكهربائي فلان الفلاني فأمهلنا بعض الوقت ليسأل بعض من يمكن أن يعرفه . بعد حوالي ساعة وبعض الوقت جاء ليطمئننا عن وجوده في المعسكر وأنه لن يتأخر عن الحضور إلينا . في غضون بعض الوقت لم يستغرق أكثر من نصف ساعة جاء يسعى إلينا وراح يسلم على قريبه عبد الواحد مرافقي ويقبل ولده وحين فرغ من ذلك توجه إلى يرحب بي ولكن بما لا يتناسب مع حرارة اللقاء ، بعد كل هذا الزمن الذي استغرق ١٠ سنوات حينما رآني لأول مرة عندما كنت معلماً في المثنى في ريف (الخمس) أدرسه

مادة الأشياء والصحة ، المقررة على طلاب الصف الخامس الإبتدائي ، فضلاً عن زيي الريفي . ورغم تحديقه المكثف بفراسة في وجهي وهيئتي لم يفلح في حل اللغز . . . ١.

واقتادنا مباشرة إلى داره وكان قد تزوج تواً من فتاة من العشيرة . أوصيته ان لا يكشف عن هويتي ولينادني باسم (سيد عباس) وشرحت له أهمية ان تكون إقامتي لديه مجهولة لكل من يعرفه وإنني مجرد ضيف من العشيرة جاءه ليستعين به للحصول على عمل في البصرة . .١

بتنا نحن الثلاثة ، عبدالواحد وولده وأنا ، ليلتنا تلك في الدار وفي الصباح ذهبنا سوية إلى محطة قطار المعقل لنحجز مقعدين إلى بغداد في الدرجة السياحية لكل من الأب وولده . بعد إكمال هذه المهمة استأذنت مضيفي للنزول إلى البصرة بعد ان حسنت من مظهري الخارجي . وأول شيء فكرت فيه كان الذهاب إلى صديق قديم كنت قد أودعت لديه سيارتي (الهلمن) ليحاول التصرف بها وبيعها بعد ان أجريت معه صفقة بيع صورية . ويبدو ان هذا الصديق أبقى السيارة لديه بعد ان أخبرني بأن إبقاءها لديه كلفه بعض المبالغ دفعها رشوة إلى أحد رجال الحرس القومي المتنفذين وان المتبقي من ثمنها لا يزيد عن ثلاثمائة دينار ، أعطاني منها مائة على ان يسدد الباقي بداية كل شهر . فرضيت بالحل وطلبت منه وهو صاحب محل في سوق العشار ان يشتري لي بنطلوناً وقميصاً وبعض الحاجيات الأخرى بما في ذلك بدلة زرقاء يستعملها العمال لكي أستفيد منها في تغيير هيئتي العامة لاعتبارات أمنية . ومن الجدير بالذكر ان زوجتي قبل ان أغادر بغداد في طريقي إلى البصرة بعثت مع الخال مطشر مبلغاً من المال أفادني كثيراً في تحركاتي اللاحقة وكانت حريصة رغم إلحاحي باللقاء بها ان لا يتم اللقاء خوفاً من حدوث أي حادث لاسيما وانها كانت تحت الإقامة الجبرية في دار ابن

عمها ماجد العبايجي الذي كان هو الآخر معتقلاً في سجن رقم واحد مع مجموعة كبيرة من الضباط .

## عملية العبور إلى إيران

في هذه الاثناء كنت أراقب يومياً أو بين يوم وآخر من على بعد محطة المراسلة وهي محل لبيع الأواني الزجاجية كنا نستخدمها للعلاقات بين حزب تودة في الداخل وقيادتهم في البصرة . فتأكد لي ان الوضع طبيعي وأنه لم يحدث أي تغيير يمكن ان يثير شكوكا لدي . فصاحب المحل موجود ويمارس عمله بشكل طبيعي والعاملون معه على وضعهم الطبيعي . لذا تقدمت إلى صاحب المحل وأنا في هيئتي بالملابس العربية . . بعد برهة عرفني ويبدو انه لم يستغرب مجيئي لأنه رأى صورتي منشورة في الصحف العراقية وتحتها مكتوب (شيوعي خطر المطلوب القبض عليه) . وقال مع نفسه ربما سيظهر أبو يسار . فانتحى بي جانباً ورحنا نبتعد عن المكان ودخلنا مقهى صغيرا لنتداول الأخبار وأعربت له عن رغبتي في إعادة تنظيمات الحزب . صار يروي علي الكثير مما حدث لرفاقنا وكوادرنا . وأن الثقة مهزوزة بين الحزبيين وهو يفضل ان لا أغامر فأقع في المصيدة واقترح علي ان يبعث بي مع بعض رفاقنا المهربين إلى عبادان حيث يستقر هناك أخوه الأصغر وهو مسؤول المراسلة خوفا من اعترافات قد تطوله من بعض الضعفاء الذين كانوا يعرفون ارتباطه السابق بالتنظيم الحزبي وتحقيقاً للحماية من أي طارئ .

تكررت لقاءاتي مع الرجل واستلمت رسالة من رفاقنا في عبادان يلحون علي بالمجيء إليهم . فاقتنعت بفكرة الإقامة المؤقتة في عبادان إلى حين جلاء الموقف في البصرة . فتهيأت للعبور إلى الطرف الإيراني لاسيما وان لدي صلة قربى من الأب بقبيلة كعب التي كانت مضاربها تنتشر على طرفي الحدود بين

إيران والعراق على امتداد محافظة العمارة والبصرة مع المحافظات الإيرانية في كل من الأهواز (ناصرية) ودزفول وشوشتر ، وجنوباً حتى مدينتي المحمرة وعبادان على شط العرب ، وإن الانتقال عبر الحدود لأبناء القبيلة شيء طبيعي . .!

قبل أن أتخذ قراري بالعبور إلى الجانب الإيراني سألت عن مصير اللنش (الزورق البخاري) الذي كنا نستخدمه لمساعدة الرفاق في حزب تودة كوسيلة للمراسلة ونقل الأشخاص من وإلى إيران وبالعكس . فعرفت ان إبن أخ أحد أعضاء مكتب المنطقة باعه بناء على توصية من عمه فحرمنا من ثمنه الذي كان يناهز الـ ٦٠٠ دينار ومن خدماته التي لم تكن تقدر بثمن . .

لذلك كان علي ان أعتمد في عبوري إلى الجانب الإيراني على الطريق الصحراوي الذي يفصل مدينة شط العرب (التنومة) التي تقع في الجانب الشرقي من شط العرب ومدينة المحمرة لكي نقطعه مشياً على الأقدام في ليل مظلم تتخلله سيارات المراقبة الحكومية التي تحاول اصطياد المهربين بإطفاء أنوارها ريثما تشعر بحركة على بعد قريب منها فتطاردهم وتلقي عليهم القبض . ولقد اختار الرفاق هذه الطريقة دون غيرها كالزوارق أو اللنشات لأن هذه الوسائط عليها ان تمر بمراكز الشرطة المنتشرة على طول الحدود حتى المحمرة وتدفع لقاء العبور إتاوة متفقا عليها إلى مركز الشرطة . غير ان توزيع صورتي في هذه المراكز قد يسبب وقوعي بأيدي الشرطة وانكشاف هويتي . .!

التقيت بالرفيق المهرب وكان في حدود الأربعين من العمر ولديه عائلة موزعة بين بساتين ناحية شط العرب التي ننطلق منها وبساتين المحمرة ، وقد تجهز بغالون من الماء وبضعة أرغفة من الخبز . وقد غلف الغالون بقماش سميك ذي مسامات يبلله قليلاً بين والفينة والفينة لكي يحفظ درجة الحرارة

منخفضة في الماء .

كان علينا ان نعبر أولاً شط العرب من جانبه الغربي إلى الجانب الشرقي حيث يمكننا ان نبدأ مسيرتنا إلى المحمرة بعد ذلك . ففي تلك الأيام وفي ظل السياسة القمعية التي كانت تمارسها سلطات البعث ، نشطت حركة الهاربين من جحيم البعث ، إلى إيران للتخلص من الملاحقات . لذلك كثّفت سلطات البعث أجهزة القمع الحكومية وبخاصة الحرس القومي ودورياتها في مياه الشط ضد الهاربين والمتسللين إلى إيران ابتداءً من المعقل شمالاً إلى الفاو جنوباً وهي تستعمل لذلك القوارب النهرية سريعة الحركة . لذلك كان يتعين علينا ان نجد وسيلة مناسبة لعبور شط العرب . فدبر الرفاق أحد زوارق الصيد مع شبك لصيد الأسماك (سلية) لتقلنا إلى الجانب الآخر في حين كان علينا تمثيل عملية قيادة القارب بمساعدة صاحبه وإلقاء السلية بين الحين والحين في مياه النهر . ومن المضحك أنه عندما جاء دوري في إلقاء الشباك كاد تيار الماء وثقل السلية ان يوقعاني في مياه الشط وبذلك يتحقق ما يردده المغني المصري محمد رشدي ((صياد رحت أصطاد صادوني)) .

عندما وجدنا الفرصة مواتية نزلنا أنا وصاحبي الدليل بما يمكننا من سرعة إلى ضفة الشط الشرقية وأخذنا طريقنا بين بساتين النخيل وكانت الساعة قريبة من التاسعة مساءً في ليلة معتمة من ليالي شهر تموز عام ١٩٦٣ . بعد أن تجاوزنا الشريط الأخضر بنخلاته الباسقات أضحينا وجهاً لوجه أمام الأرض الصحراوية التي لا ينبت فيها سوى (الدغل) والتي علينا قطعها سيراً على الأقدام إلى البساتين المحيطة بمدينة المحمرة .

بدأنا مسيرتنا في ليلة معتدلة الحر أيام الصيف من البصرة المفعمة بالرطوبة في أرض خففت من قساوتها ارتفاع درجة حرارة الرطوبة . وتميزت طبيعتها بانتشار بقع سوداء على سطحها كانت تقينا عندما نرى ضوءاً على

بعد لسيارات الدورية بأن تتمدد عليها فتضيع معالمنا مختلطة بمعالم السواد ، وتقينا شر الشرطة . وبقينا على هذا المنوال من السير ، نسير شوطاً وننبطح أشواطاً أخرى حتى بلغ بي التعب والإنهاك مبلغاً كنت أتمنى معه لو ان شخصاً ما يريحني وأنا متمدد والنعاس يأخذ مني مأخذه بان يرشقني رشقة رشاش فأنال الراحة الأبدية . ولكن صاحبي كان لا يفتأ يشجعني على النهوض وإكمال مهمتنا مخففاً عني آلامي التي كانت برجلي اليسرى المصابة فأنهض مستعيناً بكل ما تبقى لدي من قوة معنوية وإصرار على مواصلة طريقي .

من الطبيعي ان وضعي الصحي لم يسمح لي بمجاراة رفيقي الدليل في سرعة مشيه ، فراح ينبهني بين الفينة والفينة بأننا إذا استمررنا على هذا النمط من السير فستطلع الشمس علينا قبل ان نصل إلى بساتين المحمرة حيث يمكن ان نتعرض لخطر الاعتقال من "ألأمنية" وهم حراس الحدود الإيرانيين الذين يتوزعون على عدد من مخافر الشرطة أمام الامتداد الطويل لبساتين المحمرة . وبعد مرور بعض الوقت بدأ الفجر يشق طريقه بين الظلمة وشيئاً فشيئاً راحت تتبدد العتمة فالتفتّ إلى صاحبي استوقفه وأقول له : (أليست تلك السوادة هي بساتين المحمرة ؟) فرد بالإيجاب . . ولكن الوصول إليها يستغرق ساعة وبعض الساعة على السرعة التي نسير بها . . . فقلت له : (يبدو ان لا طاقة بي لأزيد من سرعتي لذا أقترح عليك ان تشير لي إلى الجهة التي علي السير باتجاهها وانت تأخذ طريقك فتذهب ، ذلك ان وقوع أحدنا في الاعتقال خير من وقوعنا نحن الاثنين ) . وافق على مضض وأعطاني غالون الماء وهو يكاد يبكي عند توديعه لي . ورحت أبذل قصارى جهدي في السير وزالت العتمة وبدا كل شيء واضحا . لمحت على بعد بيوت شعر وبعض الماشية فاتجهت نحوها وعندما اقتربت ، شاهدت نهراً صغيراً وقد جلس على ضفته رجل اعرابي وبيده إبريق يتوضأ منه استعداداً

للصلاة . فسلمت عليه فرد السلام بأحسن منه وسألته من أين يمكن العبور ياعم ، فأجابني : (وصلت اعبر من عندك) . فعبرت النهر وهو بالحقيقة ساقية تملأ بالماء بفعل حركة المد والجزر . تقدمني الرجل مرحباً بي إلى داخل بيت الشعر وسألني بعد أن أوعز إلى زوجته (أم فلان ، حلبي الشاة) ضيفنا جوعان : أليس من الأفضل ان نأكل شيئاً فأجبته شاكراً . . لا أريد شيئاً سوى أن أنام . فقال على الرحب والسعة . وأخذ حصيراً وأغلق باب بيت الشعر قائلاً : (الحمد لله لم يرك أحد من هؤلاء "الأمنية" شرطة الحدود ، وهذه الحصير وإن سدت عليك بعض الهواء لكنها ستبقيك في مأمن من تدخلاتهم . . .) بعدها رحت في سبات عميق لا أحس بشيء . .!

في حوالي الحادية عشرة صباحاً أي بعد ست ساعات نوم عميق ، أحسست بالعرق يتصبب من وجهي بفعل ارتفاع درجة حرارة الجو وحرارة أشعة الشمس التي كانت تتغلغل من خلال بيت الشعر غير المحبك النسيج لتسقط على وجهي . فتحت عيني ومسحت وجهي وإذا بصاحب الدار يدخل ويصيح علي مرة أخرى متمنياً أن أكون قد أخذت قسطاً مناسباً من الراحة وقال : (لقد حان الآن الوقت لكي تأخذ فطورك) . ولم ينس أن يطمئنني أني تجاوزت الخطر الذي يمثله لي رجال الحدود الإيرانيين رغم إني لم أكن قد صرحت له بأي شيء عن وضعي ، غير انه كما يبدو ، قد خمن ان أكون من السياسيين الذين يشايعون الزعيم عبد الكريم قاسم ويتعرضون إلى ملاحقة أعدائه البعثيين . لقد كان قاسم يتمتع بشعبية كبيرة لدى العراقيين وبخاصة لدى الوسط الشعبي كونه قدم إنجازات عمرانية وخدمات كبيرة إلى الفئات الكادحة من السكان وإلى ذوي الدخل المحدود . .

في أشهر الصيف يتوافد الكثير من سكان إيران العرب إلى البصرة على امتداد بساتين النخيل جنوباً حتى مدينة الفاو ليعملوا في موسم جني التمر

لقاء أجر يدفع لهم عيناً ويسمى هؤلاء العمال الموسميون (ثمارة) . وأصحاب بيوت الشعر هؤلاء من ( الثمارة ) . إذ يرجعون بعد فترة وهم محملون بالكميات التي كسبوها من التمر .

وبسبب معارضة الحكم الإيراني لثورة ١٤ تموز التي أطاحت بالملكية في العراق وحملات الدعاية ضدها ، فقد تعاطف العرب الإيرانيون مع قاسم وثورته .

تناولت الإفطار وقوامه حليب الغنم والخبز المشوي على الصاج الذي شاركني فيه مضيفي وكان حقاً أشهى إفطار أتناوله في حياتي!

وكعادة العرب وحرصهم على ان يتعرفوا على ضيفهم وأخباره وما يعانيه من مشاكل ، راح يسألني عن عشيرتي ، فقلت له أنا من مدينة العمارة ومن العائلة الفلانية ونعيش عيشة أبناء الحضر . أما إلى أي من العرب انتسب فأظن كما سمعت من والدي اننا نرجع إلى بيت مناع أو مانع من قبيلة كعب ، وليست لدي تفاصيل أخرى ، سوى ان أحد أبناء عمومتي وهو محمد موجود الآن في المحمرة ويدير شركة التلفونات الإيرانية فيها . وإذا بالرجل يرد علي بفخر : انتم أبناء عمومتنا . . بل سادتنا . وراح يدعو رجالا آخرين إلى بيت الشعر يرحبون بي ويسلمون علي ويسألون . . نعم نعم ان لقبيلة كعب رجالاً في مدينة العمارة ومحمد هذا هو بالفعل واحد منهم ، وشخصية مهمة في المحمرة . . وهذا ما يذكرني بمسرحية (ريا وسكينة) حين تغني الممثلتان سهير البابلي وشادية : (ناسبنا الحكومة وصرنا قرايب . . !) .

وحين سألوني عن مخططاتي المقبلة ، قلت لهم : اني ازمع الذهاب إلى المحمرة وقد أمكث يوما أو أكثر لدى قريبي محمد الذي تزوج واحدة من بنات عمتي وحدث ان زرته بصحبة والدي قبل سنوات طويلة في

المحمرة . . . فهو يعرفني جيداً وكنا التقينا وتعرف علي منذ تلك الزيارة .

قالوا ننقلك اليوم إلى أهل لنا في بساتين المحمرة إذ ان البقاء هنا محفوف بالخطر . وقد يعثر عليك رجال الحدود صدفة . فقبلت بالعرض واتفقنا على ان التحرك نحو المحمرة سيكون في منتصف الليل في الثانية عشرة . واتفقنا ان نتعشى مساءً في وقت مبكر بعض الشيء ليتسنى لنا بعد ذلك أخذ قسط من الراحة قبل البدء في الحركة .

ذبح الضيوف كبشاً صغيراً وفي حدود السادسة تناولنا العشاء وبعد شرب الشاي انفض الجميع ليتيح لنا أخذ قسط من الراحة . وعند الساعة الثانية عشرة كان ينتظرني أربعة رجال ومعهم حصان فاستفسرت عن دور الحصان ، فقالوا : ( لكي تستخدمه أنت) . فقلت ألا تعتقدون ان من الممكن ان يُلاحظ الإنسان الفارس أكثر من احتمال ملاحظته وهو راجل ؟ فوافقوني الرأي . تركنا الحصان وأخذنا طريقنا حتى وصلنا منطقة بساتين النخيل وهي أكثر أمناً بسبب كثافة النخيل وبقية أنواع الأشجار التي تنتشر عادة بينها .

وصلنا إحدى الدور الكبيرة المسيجة بسور مبني من الطين ويبدو انها دار أخت احد المرافقين لي . وكانت الساعة تشير إلى الرابعة بعد منتصف الليل أو الرابعة صباحاً . وبينما نحن جالسون نرتاح في المضيف وهو غرفة كبيرة ، ننتظر المضيفين ليعدوا لنا فراشاً نستريح عليه إلى صباح الغد ، إذا بصينية الشاي تدور علينا . وبعد تناول الشاي ، قمنا ليأخذ كل منا المكان الذي أعد له للنوم وكان الفراش وثيراً ورحت في سبات لم أصح منه إلا في التاسعة صباحاً حيث أعد طعام الفطور الذي كان مكوناً من خبز الحنطة الشهي وهو مازال حاراً ومن الكيمر والدبس إلى جانب الحليب والشاي والبيض المقلي أو المسلوق . المائدة كانت شهية ونظيفة وتغري بالإسراف في الأكل .

سألت عن المسافة التي تفصلنا عن مدينة المحمرة ، فأشاروا إنها لا تبعد كثيراً وراء هذا السور الذي يقع قريباً من الدار ، وقال مضيفنا : بالكثير ربع ساعة وعليكم أولاً ان تجتازوا مركزا للشرطة بعدها تكون المدينة قد انفتحت أمامكم .

في هذه الاثناء لمحت دراجة مصفوفة على الجانب المواجه لي من حائط السور ، فسألت لمن تكون وكان الجواب لأحد الأولاد والذي يستعين بها للذهاب إلى مدرسة المنطقة التي تبعد قليلاً . فقلت هل أستطيع استعارة الدراجة لبعض الوقت مع صاحبها لننزل راكبين بها إلى المدينة ؟ فقال أحدهم : ولكن المدينة قريبة لا تأخذكم أكثر من ربع ساعة أو عشرين دقيقة على الأكثر مشياً على الأقدام . .!

فقلت ألا تعتقدون أن المرور بالدراجة من أمام مركز الشرطة لن يثير لدى المركز أي شكوك أو تساؤلات . . فوافقوني ولكن بدون كثير من الحماسة .

امتطيت الدراجة وأردفت الصبي ورائي وتحركنا وكان مرورنا أمام رجال المركز سهلاً لم يثر أي إشكالات كنت أسعى لتجنبها . .

وصلنا المدينة وانعطفتُ مع الصبي إلى السوق لأشتري نصف دزينة من الكوفيات (اليشماغ العربي) من النوع الجيد وأعطيتها إليه ليوصلها إلى الشباب الذين رافقوني اعترافاً مني بالجميل ويوصلوا أحدها إلى الرجل الطيب الذي استضافني في بيته مع تحميلي لهم جميعاً كل ما أستطيع التعبير عنه من العرفان بالجميل وعلى كرم الضيافة وحسن الاستقبال والتوديع .

ودعت الشاب بعد ان أشار إلى طريق الوصول إلى دائرة التلفونات فوصلتها دون كبير عناء ، ودخلت الدائرة . . اقتربت من أحد الموظفين استفسر منه فيما إذا كان بالإمكان رؤية السيد مدير الدائرة فقال : آسف

لأن المدير لا يداوم يوم الجمعة واليوم هو الجمعة . فشكرته وهممت بالانصراف وقبل ان أصبح خارج المبنى تبعني شخص يبدو من هيئته انه موظف صغير قال وهو يحدق بي : ما الذي تريده من السيد المدير ، فمن عادته ان لا يأتي يوم الجمعة إلا نادراً ؟ . فقلت له أنه قريبي ، إبن عمتي ، واحببت أن أزوره والعائلة . فقال بلهجة حماسية : لا عليك أنا سأدلك على البيت وأنا فراشه الخاص . فشكرته . ورحنا نتحدث ونحن في طريقنا إلى البيت وأخبرني ان أم الأولاد زوجته ليست في الدار ، فقد سافرت قبل يومين إلى الأهواز تزور أهل زوجها وأقاربها ولكن لا عليك أردف قائلاً : الأولاد جميعهم ينبغي ان يكونوا في الدار يستمتعون هذا اليوم بالسباحة في البركة .

حين طرق صاحبي الباب ، توافد عدد من الأولاد وكان بعضهم يرتدي عدة السباحة . بادرهم دليلي قائلاً هذا فلان قريبكم جاء ليراكم ويرى الوالد وربما يكون متعباً بعد مشوار سفر قد يكون شاقاً . فرحب الأولاد وأفسحوا المجال لدخولي . أجلسوني في غرفة الاستقبال ولم تمض برهة حتى جاءت البنت الكبرى بصينية وصحن كبير فيه فواكه فأكلتُ قطعة من البطيخ الأحمر (الرقي) وبعد أن أخذ الأولاد قسطهم من السباحة عرضوا علي فرصة الاستمتاع بها ولكني لم أكن مهيئاً لمثل هذا النوع من الترفيه بعد . ورحت أنظر إلى ساعتي إذ أن وقت الغداء قد أزف ولما يأت والدهم بعد ، فراحوا يخففون من سأمي بالأحاديث والأسئلة عن أخوالهم في العمارة وأنا أجيب على قدر ما أستطيع وباقتضاب شديد لأن الذي عندي من الأخبار ليس وافراً . وبعد أن نظر أحدهم إلى الساعة المعلقة على الحائط قال : ان أبي سيأتي في غضون نصف ساعة أو حتى أقل من ذلك .

دخل الأب واستقبله الأولاد وكل يريد ان يزف إليه خبر وصول الخال

صالح . . . وهكذا كانوا ينادونني . . . فنهضت لأستقبل محمد الذي راح يرحب بي ويسأل عن أوضاع الأهل في العراق . وبعد أن عرض علي إعداد مائدة الطعام لنتناول وجبة الغذاء ، تحركنا وإذا بالمائدة تحضر وجلسنا حولها نتجاذب أطراف الحديث ، يريد ان يعرف سبب مجيئي إلى المحمرة خاصة وأن سيماء التعب وفترة الاختباء والمعتقل قد أثرت على هيئتي العامة وكنت أبدو متعباً أكثر من كون التعب نتيجة من نتائج السفر الشاق .

حكيت له ملخص القصة وأخبرته بأنني لا أنوي الإقامة طويلاً . فراح يكرر بأن الأمن الإيراني يراقب العراقيين الهاربين إلى إيران ويعتقلهم ويزج بهم في السجون ثم راح يقول يا ابن العم عليك ان تكون حذراً ولا تعطي الفرصة إلى رجال الأمن فهم قساة ، هذا علماً ان نظام الشاه قوي ومحصن . . فما كان مني إلا ان أجبته نحن أيضاً في العراق كان عندنا نظام ملكي ولكنه لم يلبث ان أنهار بأول ضربة وجهت إليه ، فكف ، أرجوك عن هذا الحديث واتركه إلى فرصة أخرى لأنك حولت وجبة الغذاء الشهية هذه إلى سم زعاف . ونفضت يدي من الأكل وتوجهت إلى الباب أطلب الخروج ، فقام هو وأولاده يقفون في وجهي ويحاولون منعي من الخروج فأبيت وراح يقنعني بأنه لا يقصد من كل هذا الكلام إلا تحذيري ورفع يقظتي ، (إلى أين أنت ذاهب في هذه الظهيرة الحارة . . . ؟) فقلت له : (أنا عندما جئت لم تكن دارك مقصدي ولكن فضلت أن أعرج عليكم لمجرد السلام ، فأنا أقصد مكاناً آخر . .) . وحاول ان يرمي علي بعض النقود فلم أقبلها ، وقلت سآخذ فقط مبلغ أجرة الزورق الذي سينقلني من جانب المدينة هذا إلى الجانب الآخر وأن يأتي معي ابنك علي ليدلني على مرساة الزوارق وصفقت الباب ورائي ذاهباً من غير رجعة وعلي يركض ليلحق بي وراح يعتذر عما حصل . فقلت له : كنت أتوقع منكم استقبالاً أكثر لياقة يا ابن أخي ولكن ما العمل . . يبدو أن

المال والجاه ثمنهما التفريط بقيم الأهل النبيلة . . .!

أوصلني الشاب إلى مرساة الزوارق التي تنقل الركاب المسافرين من جانب نهر كارون الشرقي إلى جانبه الغربي الذي تقع عليه مدينة عبادان المشهورة بمصافيها النفطية التي تعتبر من أكبر وأوسع مصافي النفط في العالم والتي خربتها ، فيما بعد ، الحرب العراقية الإيرانية بمبادرة وتخطيط من المخرب الأعظم صدام حسين فضلاً عن تخريبه القاعدة الاقتصادية للعراق نفسه ، والاقتصاد الكويتي في حربه لاحتلال الكويت . .!

استأجرت زورقاً إلى الجانب الآخر من نهر كارون وهناك أخذت مكاناً في سيارة أجرة تتسع لخمسة ركاب أوصلتني إلى شركة النفط بموجب العنوان الذي زودني به الرفاق في البصرة وهو حي عمالي ، لسكن موظفي وعمال شركة النفط الإيرانية .

بعد حوالي ساعة نادى علي السائق ان مبتغاك أصبح قريباً ، فتهيأ للنزول . طبعاً الكل يتحدث العربية بلهجة أهل البصرة الجنوبية إلا القليل من الإيرانيين ، فالمدينة شأنها شأن المحمرة ، تتكلم العربية بقضها وقضيضها . . .!

ترجلت من السيارة وتوجهت صوب العنوان الذي بيدي وهممت أن أطرق جرس الدار ولكن الدار انفتحت وإذا بالرفيق ك الزيدي مسؤول المراسلة يواجهني وجهاً لوجه ويستقبلني استقبالاً حاراً هو ومن كان في الدار . .

مكثت ذلك اليوم بينهم نتجاذب أطراف الحديث عما فعله الجلادون البعثيون في العراق من مآسٍ وجرائم . ورحنا نستذكر الكثير من الوقائع والأمور وقصوا علي قصصهم وكيف انهم قرروا الانتقال بعد ان اتسعت حملة الاعتقالات وكادت تصل إليهم . وأثنوا على قراري بالمجيء إلى إيران . .

في اليوم الثاني انتقلت إلى دار أخرى كان أعدها الرفاق في حزب تودة لاستضافتي وفيها عائلة قريبة من مسؤول منطقة تودة الذي كان ضيفنا في البصرة والمعروف بـ(عباس) .

اتصل الرفاق بعباس يخبرونه بقدومي وبعد حوالي اسبوع أو أكثرُ ، أخذت فيه قسطاً كبيراً من الراحة وبعد ان عرضوني على دكتور يعرف العربية تحسنت صحتي وأخذت تدريجياً استعيد قواي .

## السفر إلى طهران

كان سفر الشيوعيين والديمقراطيين العراقيين إلى إيران من مختلف نقاط الحدود العراقية الإيرانية سواء من شمال العراق -كردستان- أو من محافظة ديالى عبر قضاء خانقين أو من نقطتي بدرة وجصان ومندلي ، هربا من الممارسات القمعية لحكم البعث ، يجري على قدم وساق حتى بلغ عدد العراقيين الهاربين إلى إيران بضعة آلاف فضلاً عن الهروب إلى الكويت ودول الخليج . ولقد وقع العشرات منهم في قبضة الأجهزة القمعية الإيرانية . إذ أن بعض الأجهزة التابعة للسافاك الإيراني كانت تتصل ببعض الهاربين العراقيين مدعية إنها من تنظيمات حزب تودة وتود المساعدة على ربطهم بتنظيمات حزب تودة التي ستهيىء لهم الملاذ الآمن وتعينهم على السفر إلى الاتحاد السوفيتي للجوء هناك . وكان هدف مجموعات السافاك الإيقاع بالشيوعيين والديمقراطيين العراقيين في براثن المخابرات الإيرانية من جهة وكان الهدف إيقاع بعض منتسبي وأنصار حزب تودة واعتقالهم من جهة أخرى . ولقد وقع في مثل هذه الأفخاخ ، مع الأسف ، شيوعيون مجربون أمثال الرفيق صاحب الحميري الذي حدثني فيما بعد عن الأساليب الجهنمية لفرق السافاك هذه التي تأتي ببعض الأدبيات الماركسية أو التي يصدرها تودة وتصطاد بها المناضلين

، وكيف تستضيفهم في بيوت خاصة معدة لهذا الغرض . .

بعد ان قررت بتشجيع من رفاق حزب تودة السفر إلى الاتحاد السوفيتي ، كانت تعترضني صعوبتان تقفان عائقاً جدياً في قطع تلك المسافات الطويلة بين عبادان وطهران من جهة وبين طهران والمناطق الحدودية مع الاتحاد السوفيتي القريبة من سواحل بحر قزوين على جانب آذربيجان الإيرانية من الجهة الاخرى . وهاتان الصعوبتان هما : اللغة الفارسية ووثيقة إيرانية . لذلك بدأ الرفاق الإيرانيون يفكرون في كيفية حل هاتين الصعوبتين على طريق طويلة تمتد ألاف الكيلومترات وتنتشر فيها سيطرة رجال الأمن والشرطة .

ولما كانت السيارات العمومية وسيارات الأجرة تثير انتباه رجال الأمن على الطرقات العامة أكثر مما تفعل السيارات الخاصة ، فقد بعث الرفاق بسيارة خاصة مع عائلة تتألف من سيدة ومعها طفل إلى جانب ثلاثة رجال . وقد سهلت هذه السيارة مهمة سفرنا . إذ إنها ما ان تقف عند الحاجز حتى تأتي الإشارة بمواصلة السير إلا مرة واحدة ، وكان الرفاق ابلغوني أنه إذا حدث أن وقفنا فتظاهر بالنوم حتى نحاول نحن إيجاد المخرج . . فنجحت الخطة . وتجاوزنا الحاجز بسلام ، واستسلمنا لنوبة عجيبة من الضحك . .!

استأنفنا طريقنا مارين بجبال وسهول ومدن إيرانية معروفة كاصفهان وهمدان وغيرهما من عيون وينابيع تسر الناظرين . وصلنا طهران متأخرين مساءً ويبدو ان الطريق استغرق معنا حوالي ١٥ ساعة . بدأنا نقطع شوارع طهران الواسعة الخضراء والتي تجري على جانبيها سواقي الماء وكأنها من فرط خضرتها بستان كبير . ومع ان الوقت كان متأخرا فقد كانت طهران تشتعل بل تتوهج من كثرة الأنوار والألوان المختلفة .

## في طهران... وعملية الهروب إلى الاتحاد السوفيتي

نزلتُ ضيفاً في دار أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة طهران الدكتور س ، وكنتُ قد تعرفتُ عليه في إحدى زياراته إلى البصرة مرافقاً لسكرتير حزب تودة الرفيق رضا رادمنش وهو من المتضلعين باللغة العربية ويبدو أنه قضى فترة في دراسة علوم الدين الإسلامي وعلوم اللغة العربية في مدينة النجف الأشرف . والدكتور س هذا من الشيوعيين القدماء ، أعدم أخوه الضابط لانتمائه إلى حزب تودة من قبل السافاك بعد انهيار حكومة مصدق بانقلاب قادته المخابرات الامريكية (CIA) ووجهت فيه ضربة قاسية إلى منظمات حزب تودة ، لاسيما منظماته في الجيش . وكان والده من كبار رجال الدين الإيرانيين ويدعى سيد (ب) .

قضينا أياماً جميلة في طهران . فقد تولى أصدقاؤنا ورفاقنا الإيرانيون تعريفنا على المناطق السياحية في طهران لاسيما منطقة (شيرانات) .

في هذه الاثناء كانت تصلنا أنباء عن وجود عدد كبير من العراقيين في طهران وان قسماً منهم على صلة بحزب تودة الذي ساعد البعض منهم على الذهاب إلى الاتحاد السوفيتي عبر الحدود البرية التي تفصل بين إيران والأراضي السوفيتية في أذربيجان السوفيتية .

كانت تلك الفترة فترة حرجة لكل من ينوي العبور نحو أراضي الاتحاد السوفيتي بسبب كثرة حوادث إلقاء القبض على الذين يحاولون الهرب . ومن بين المجاميع التي وقعت بأيدي رجال أمن الحدود اثناء محاولتهم العبور نحو الأراضي السوفيتية ، كان صديقنا الشاعر المبدع مظفر النواب ، الأمر الذي عرضه للاعتقال في سجون الأمن الإيراني . وقد ظل رهن الاعتقال حتى انقلاب تشرين حين بدأت الأجهزة الإيرانية تسلم العراقيين إلى السلطات العراقية .

على أثر حوادث الاعتقال التي وقعت على الطريق المحاذي للحدود الإيرانية السوفيتية أصيبت حركة العبور نحو الأراضي السوفيتية بالشلل أو انها توقفت كلياً الأمر الذي دفعنا إلى التفكير في إيجاد حل لهذه المشكلة أو محاولة اختيار مناطق أخرى من الحدود الإيرانية السوفيتية .

## العبور إلى الاتحاد السوفيتي

قبل أن نصرف النظر عن الطريق الحدودي المذكور ، طلبت من مضيفي ان يجروا دراسة ميدانية للطريق وذلك بالمرور فيه ومعرفة أوضاعه من الناحية الجغرافية والأمنية من قبل أناس ليست نيتهم العبور بل المرور به فقط .

ولغرض إجراء هذه التجربة ، كان علينا الذهاب إلى (بحر قزوين) والنزول في احد المرافق السياحية المنتشرة عليه لغرض الاستجمام والسياحة . فقام مضيفنا أستاذ الفلسفة الإسلامية بإعداد سيارته الخاصة مع عائلته المتكونة من الزوجة وابنتيه الشابتين وأنا خامسهم . وأعد الرفاق في حزب تودة سيارة ثانية تقل السائق وأحد الجنرالات في الجيش الإيراني ممن تطلب وضعه الأمني أن يغادر إلى الاتحاد السوفيتي هرباً من الملاحقة ، إضافة إلى الدليل الذي يعرف المنطقة .

بقيت أنا والأستاذ وعائلته في الشاليه عند البحر وذهبت السيارة الأخرى لتستطلع الطريق وتأتينا بالتقرير الذي سنحدد موقفنا بناءً عليه .

وعند عودة السيارة ، عرفنا ان الطريق ضيق نسبياً لا يسع لأكثر من سيارتين ويمر في غابة مكتظة يقع على جانبه الأيمن نهر جبلي سريع الجريان ولكنه ليس عميقاً . وعلى الجانب الآخر تقع الغابة وان النهر هو الفاصل بين الأراضي الإيرانية والسوفيتية ولكن المعضلة تقوم في وجود مراكز شرطة للمراقبة بين كل ١٠٠٠ متر على طول الطريق ، وإن هذه المراكز لا تسأل

السيارة المارة إلا بعد غياب الشمس ، أي ان من الممكن المرور اثناء النهار . ولكن المشكلة ان العبور يكاد يكون مستحيلاً في النهار إذ ان رجال المراقبة يمكنهم بسهولة رصد العابر وبالتالي إطلاق النار عليه . لذلك فالذين يريدون العبور لا يحاولون إلا ليلاً لكي يأخذوا من العتمة ستاراً لهم .

هذه هي حالة الطريق فكيف يمكن إيجاد منفذ فيها . . ؟

تبادلنا وجهات النظر وأخيرا التمعت بذهني فكرة طرحتها على المضيفين عسى ان تكون المخرج . قلت نحن بحاجة إلى التأكد من الوقت الذي تبدأ فيه مراكز الشرطة عملية التفتيش . فإذا عرفناه نستطيع ان نعرف على ضوئها ما يتعين علينا عمله . وقد جاءنا الجواب بأن المراكز تبدأ التفتيش على الطريق بعد غروب الشمس بحوالي ٢٠- ٣٠ دقيقة . فقلتُ إذا كنتم قادرين على إيصالنا إلى المنطقة في هذا الوقت نكون قد استطعنا حل الإشكال . وتم الاتفاق على التحرك عصر اليوم الثاني .

تحركنا في اليوم الثاني متجهين صوب العبور . إحدى السيارات ضمتني إلى جانب السائق والدليل إضافة إلى الشابة (بروين) وهي الابنة البكر لمضيفنا أستاذ الفلسفة . وكانوا يريدون إرسالها إلى الاتحاد السوفيتي لأنها لم تحصل على كرسي يناسبها في جامعة طهران . أما الشخص الثالث الذي كان ينوي العبور معنا إلى الجانب السوفيتي فهو الجنرال الإيراني .

السيارة الأخرى كانت تسير خلفنا على بعد مناسب كي تراقب حركتنا استعداداً للتدخل كوسطاء لتسهيل مهمتنا أو ربما نستطيع إيجاد حل لأي إشكال عن طريق الرشوة إن كان ذلك بالإمكان .

عندما وصلنا الطريق الحدودي وصرنا نمر بالمراكز الحدودية ونرصد تصرفاتها وجدنا ان رجال الحدود لم يبدأوا بالسؤال أو التفتيش وكانت سيارتنا تمر بسهولة في حين كان الوقت قد تجاوز الغروب وبدأت الدنيا تزداد

عتمة إلى أن جاء الوقت المناسب حسب تقديري عندما مررنا بأحد المراكز وشعرت بأن رجال الشرطة يتهيأون للاقتراب من عرض الطريق فأوعزت إلى رفاقي في السيارة أن يستعدوا للترجل من السيارة . وحين أصبحنا على بعد يقع تقريباً في منتصف الطريق بين مركزين للشرطة أوعزتُ إلى السائق ان يتوقف . فتوقفت السيارة وبسرعة كبيرة توجهنا إلى الجانب الذي يقع فيه النهر ، فرأينا ان النهر يجري بعيداً عن طرف الشارع وفي العمق . فنزلنا تزحلقاً إلى النهر وعندما صرنا في النهر توجهنا بدون توقف إلى الجانب الآخر من النهر الذي كان في مستوى أوطأ من الجانب الأول وإذا بنا نرى أسلاكاً شائكة فبدأتً أفتح بيدي الأسلاك لكي تمر الشابة بروين وكذلك الجنرال الإيراني ، بعدها جاء دوري للقفز إلى ما وراء الأسلاك الشائكة التي يفترض انها الأراضي السوفيتية . وخشية انكشاف أمرنا من الجانب الإيراني ، تقدمنا ركضاً إلى عمق الغابة بعيداً عن موقع عبورنا الحدود ومكثنا ساكنين دون حركة خوفاً من أننا لم نعبر من المكان الصحيح ولأنني من شدة التوتر لم أتصور ان قفزة واحدة خلف الأسلاك تعني اننا وصلنا إلى الأراضي الآمنة .

انتظرنا دونما حركة تصدر منا أو صوت ، حوالي ساعتين ونصف الساعة من عبورنا إلى الجانب السوفيتي وكلنا آذان صاغية لأية حركة في الغابة . . . وحين بدأت ملابسنا تجف اقترحت على رفاقي ان نترك هذا المكان ونتغلغل عميقاً في الغابة لاسيما وان نور القمر راح يضيء ما حولنا وتتحسن لدينا دائرة النظر طلباً لأية إشارة أو معلم يوصلنا إلى حرس الحدود السوفيتي . ومن الغريب اننا بعد خوفنا من أية إشارة تدل على أن صاحبها شرطي أو جندي أو حارس حدود ، صرنا نفتش بأنفسنا عن أي شيء يدل على ذلك . وهذا ما حمل رفيقنا الإيراني وهو يمزح إلى القول : أتعلمون أيها الرفاق أننا

أول مطاردين في العالم يسعون حثيثاً لإلقاء القبض على سجانيهم ؟ نعم . . هذه مفارقة غريبة أن يذهب إنسان برجله ليلاقي سجانه وبشغف كبير . .! .

سرنا في عمق الغابة صوب الجهة التي تبتعد عن خط الحدود إلى داخل الأراضي السوفيتية عسى ان نعثر على إنسان أياً كان بمن في ذلك حرس الحدود أو على شيء يدل أننا وصلنا أو اقتربنا من المناطق المأهولة . . وكانت الساعة قد قاربت الحادية عشرة مساءً حين سمعنا صوت شاحنة تتحرك على الطريق بعيداً بعض الشيء عنا . فاتجه مسيرنا صوب ذلك المكان الذي سمعنا فيه صوت الشاحنة وماهي إلا نصف ساعة أو أقل حتى عثرنا على طريق غير معبد في الغابة يظهر ان الشاحنة كانت تسلكه لغاية لها . .

قررنا أن نسير بمحاذاة الطريق وليس بعيداً عنه في الغابة وبالاتجاه الذي ذهبت إليه الشاحنة تجنباً لأي مفاجآت غير محسوبة . . . فما زالت الشكوك تراودنا باننا ربما لا نزال في الأراضي الإيرانية . وفي غضون نصف ساعة سمعنا هدير شاحنة تقترب ، فاختفينا لكي لا يلحظنا أحد من ركابها ، فمرت الشاحنة بسلام . ومن المفاجآت السارة انها كانت تحمل بعضاً من رجال الحدود السوفيت وكانوا يتحدثون اللغة الروسية ، فاطمأنت قلوبنا وأوعزت لرفاقي : هيا لنتعقب الشاحنة . وصرنا نمشي على أرض الطريق الذي سلكته الشاحنة . . وبعد برهة من الزمن قد لا تزيد كثيراً على نصف ساعة ونحن نسير صامتين ولا يسمع غير صوت أحذيتنا ترتطم بالحصى ، إذا بصوت يتحدث إلى آخر عبر الهاتف بلغة روسية واضحة . . . فقلتُ لرفاقي : يبدو أننا وصلنا أحد مراكز الحدود السوفيتية . . . اسرعوا خطاكم . وعند عبورنا قنطرة خشبية يبدو انها تمر فوق نهر صغير تعمدتُ أن أحدث عليها صوتاً بأقدامي لكي لا يفاجأ الحرس فيقدم مثلاً على إطلاق النار . عندها توقف صوت المتكلم في التلفون عن الحديث . . . وتقدمنا نحن نحوهم

خطوات أخرى ، فظهروا أمامنا وهم يشرعون أسلحتهم الموجهة إلينا ويصيحون بنا : ارفعوا أيديكم في الوقت الذي كانت أيدينا مرفوعة قبل ان يرونا ونراهم! .

## التحقيق في المركز الحدودي السوفيتي

بوصفي الوحيد بين الثلاثة أتكلم الروسية ، توجه إلي المحقق ، ويبدو أنه المحقق الرئيسي ، بالسؤال التالي :

من أنتم ولماذا قمتم بخرق حدود بلادنا والتسلل إلى أراضينا بصورة غير شرعية ؟!

ج : الفتاة والرجل اللذان معي تتلخص معرفتي بهما في اللقاء الذي جرى في دار أحد نشطاء حزب تودة وهو أبو الفتاة . أما الثاني فعرفته كرفيق طريق يروم اللجوء إلى الاتحاد السوفيتي كونه مطارداً من السلطات القمعية الإيرانية على حد ما نقله إلي رفاقه ونحن في طهران . والفتاة هي الأخرى قد بعثت بمرافقتي رغبة من قيادة حزب تودة التي قدمت إلي مساعدة كبيرة لكي أصل إلى الأراضي السوفيتية . واعرب لكم عن رغبة حزب تودة بقبولها في إحدى الجامعات السوفيتية في الفروع العلمية . . . أما أنا فقد قمتُ بخرق حدود بلادكم لأنها ملجأ لكل الأحرار وأنا من الشيوعيين العراقيين المطاردين من نظام البعث وبالتحديد فاني من قيادة الحزب الشيوعي العراقي ، عشتُ ودرستُ في بلادكم . . وإلى هذا الحد فإن علاقتي بالرجل والفتاة تكون قد انتهت بمجرد انهما اصبحا في أيديكم . .

المحقق : من أين عرفت ان الرجل عسكري إيراني مطارد ؟

ج : هذا ما أخبرني به رفاقه وهو أيضاً ،وليس ثمة شيء يجعلني لا أصدق ذلك . الآن هما بأيديكم وبإمكانكم معرفة ما تريدون من معلومات

عنهما بتوجيه ما تشاءون من اسئلة ولا أظنهما سيمتنعان عن الإجابة . لذلك أعتبر أي سؤال يوجه إلي عنهما لا يعنيني . .

المحقق : أرجو ان تسمح لنا بتفتيش مقتنياتك فهذا إجراء روتيني يستخدم في مثل هذه الحالات في كل البلدان كما أعتقد .

فقلتُ له : تفضل هذه جيوبي فتشها أما المقتنيات فليس عندي شيء منها . فتلك الحقيبة الصغيرة تخص الفتاة وقد ساعدتها أحياناً في حملها لها وتستطيع ان تسألها . . أجاب : سنسألها . وراح يفتش جيوبي ويخرق مناطق الخياطة في الجيوب وحزام البنطلون ولم يكتف بتدقيقه وطيه ومن ثم فتحه . . . بل راح يفصل ما بين الجلدين بسكين صغيرة بيده قائلاً لا تقلق سنحاول تعويضك بآخر حينما تنتهي عملية التفتيش .

راح المحقق يسأل عن طريقة وصولنا إلى الممر الحدودي وكيف اجتزنا الحدود وبالضبط في أي وقت . أجبته لا أدري بالضبط وقت عبورنا ولكنه حدث بعد غروب الشمس بحوالي نصف ساعة أي في وقت قريب من بدء رجال الحدود الإيرانيين عملهم ربما في الثامنة أو الثامنة والنصف لا أدري ذلك لأن المهم كان بالنسبة لنا حلول الظلام أو عدم وجود ضوء كافٍ يمكن ان يكشف حركتنا . .

قلت ، بعد ان قطعنا النهر سيراً على الأقدام تسللنا من خلال الأسلاك الشائكة التي أذكر ان أمامها كانت فسحة من الأرض الخضراء فيها مصطبتان ثابتتان بينهما طاولة خشبية ثابتة . من ذلك المكان بدأنا دخول الغابة وكمنا فيها لفترة تصل ساعتين أو أكثر ، ورحت أسرد عليه تفاصيل طريقنا ، قصة الغابة والشاحنة والطريق داخل الغابة وتأكدنا من وجودنا في الأراضي السوفيتية حتى مجيئنا وتقدمنا نحو رجال الحدود الذين أمسكوا بنا أو لا أدري ربما نحن الذين أمسكنا بهم .!

فنادى المحقق على أحد معاونيه ان يأتيه بأحد الكلاب البوليسية ، واقترب منه وقال لي : اعطني حذاءك . فأعطيته الحذاء فإذا به يشمم الكلب بطن حذائي وقال لرجاله : تابعوا الكلب لنعرف هل التقرير الذي قدم إلينا صحيح أم لا . .!

وانطلقت الكلاب تستقصي الطريق الذي سلكناه منذ عبورنا للنهر حتى وصولنا إلى المركز الحدودي . وحين عادت الحملة البوليسية ، لزم المحقق في البداية جانب الصمت ذلك أنه عندما كنت أروي له روايتي عن الطريق الذي سلكناه إليهم اثناء التحقيق كان يقول : من المستحيل ان تكونوا قد عبرتم النهر والأسلاك الشائكة من المنطقة التي تذكرها دون ان يراكم حرس الحدود الإيراني . .

أما الآن وبعد ان تأكد لهم صدقنا عن الطريق ، راح المحقق يتبجح بأنهم رصدونا منذ عبورنا النهر . . غير انني أجبته : اسمح لي ان أقول لك ، لم يكن أي من رجالك قد لاحظنا طيلة أربعة ساعات ونحن في الأراضي السوفيتية ، ولولا انني أحترم السلطات السوفيتية لما جئتُ إليكم وإنما وجدتُ طريقي إلى موسكو . فأسقط في يديه وراح يلاطفني .

بعد هذه المواجهة مع المحقق وكانت الساعة حوالي الواحدة والنصف بعد منتصف الليل من يوم العبور بدأ المحقق يوعز إلى رجاله بضرورة تهيئة السيارة لنقلنا إلى مكان آخر نستريح فيه بعد هذا اليوم العاصف المليء بالأحداث والمفاجآت .

أركبونا سيارة جيب أخذت تقطع بنا الغابة . وفي الساعة الثالثة تقريباً وصلنا إلى بنايات عسكرية قدرتُ أنها معسكر . وأودعونا أنا والضابط الإيراني إحدى الغرف الصغيرة الحجم التي تتسع لشخصين فيها سريران في حالة لا بأس بهما وحمام مرفق وكمية من الأغطية والشراشف . أوعزوا لنا

بتجهيز غرفتنا للنوم وقالوا ان رفيقتنا أفردوا لها غرفة مستقلة . وكان الطعام الذي يقدمونه مناسباً وبين الحين والحين يفتحون أبواب الغرف لنلتقي مع بعضنا البعض واستمر الحال على هذا المنوال ثلاثة أيام كاملة . وفي اليوم الرابع جاءوا بسيارة أقلتنا إلى مدينة باكو ، عاصمة أذربيجان . أنزلونا دار ضيافة حسنة البناء والتجهيز مع وجبات ثلاث من الطعام الأذربيجاني الشهي القريب جداً من الطعام العراقي .

هناك التقينا بمجموعة من العراقيين الذين سبقونا في العبور من إيران إلى الاتحاد السوفيتي عن طريق سبل مختلفة ، كان بينهم أخو المقاول العراقي المشهور فريد الأحمر الذي كان يرقد في المستشفى ، فرحتُ مع بعض الإخوان لزيارته هناك .

قبل ان أنهي يومي الثالث في هذه الاستراحة الطريفة جاء رفيق سوفيتي يمثل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأذربيجاني ليخبرني بضرورة الاستعداد للسفر إلى موسكو في اليوم التالي بناءً على برقية وردتهم من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي من موسكو .

قضينا تلك الليلة في سهرة ممتعة مع إخواننا العراقيين شارك فيها الرفيقان الضابط الإيراني والفتاة الإيرانية وأعرب الأخيران عن تضايقهما الشديد لعدم ترحيلهما معي إلى موسكو ، فهما أيضاً يريدان الاتصال بمسؤوليهم الحزبيين . أسفت لهما وقلتُ كل شيء في طريقه للحل ولنحاول ان نبقى على اتصال بيننا ، علماً أنني سأخبر مسؤولي تودة ، في موسكو عن قضيتهما . .

بعد طيران استغرق حوالي ثلاث ساعات من باكو أعلن قائد الطائرة عن قرب هبوط الطائرة وطلب ربط الأحزمة والإقلاع عن التدخين . . وبينما كنت منهمكاً بمراقبة العاصمة السوفيتية موسكو من شباك الطائرة ومستغرقاً تمام الاستغراق بمناظر الحقول الخضراء الواسعة التي تحيط بها والبنايات الضخمة

التي سبق وعرفتها مثل وزارة الخارجية السوفيتية وبناية أوتيل أوكرانيا ، لاحت أمام عيني بسرعة خاطفة قباب الكرملين والساحة الحمراء . وما هي إلا دقائق حتى توقفت الطائرة وبدأ ركابها بتحسس حقائبهم اليدوية خشية نسيانها . ولما كنت بدون أية حقيبة ذات قيمة ، نهضتُ مسرعاً لألتقي قبل غيري بالعاصمة السوفيتية التي تركتها صيف العام الماضي ، أي قبل عام من الزمن تقريباً . نزلت السلم وكان بانتظاري في آخر السلم الرفيق (نيجكن) وهو في السنوات الوسيطة من العمر ذو قوام معتدل لكنه عندما يبدأ السير تلاحظ أنه لا يستطيع رفع قدمه اليمنى بالسهولة التي يرفع بها اليسرى وذلك بسبب إصابة لحقته أيام الحرب الوطنية العظمى عند تجنيده تواً في الجيش السوفيتي على إحدى جبهات القتال مع المانيا النازية .

كان الرفيق (نيجكن) الذي استقبلني ممثلاً عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي موظف اللجنة المركزية الذي يهتم بشؤون الحزب الشيوعي العراقي وصلة الوصل مع الحزب الشيوعي العراقي في موسكو .

ورغم ان الطقس كان صيفاً أواخر آب عام ١٩٦٣ والطقس لا يتطلب ملابس ثقيلة أو دافئة ، انتبه الرفيق نيجكن وراح يسألني : يبدو ان ليس معك حقيبة ملابس وهذا القميص الذي ترتديه لا ينفع في طقس موسكو المتقلب . ما الذي تفكر به يا رفيق بعد ان نجوت من عصابات البعث أتريد ان تموت عندنا من البرد ؟ . . لا . .لا هذا غير معقول . وعندما تقدمتْ إلينا السيارة التي كان عليها ان تقلنا إلى الفندق ، أوعز إلى السائق قبل ان توصلني إلى فندق الحزب ، ان يعرج على مخزن "الكوم" وهناك ملأ الرفيق لي عربة كاملة من مختلف أنواع الملابس – الداخلية ، القمصان ، بدلتين ونوعين من المعاطف أحدهما خريفي والآخر ثقيل للشتاء فضلاً عن الأحذية الشتوية والصيفية وغطاء للرأس ومجموعة من أصناف الجوارب . بالمختصر المفيد

"كسيت من أخمص القدم إلى الرأس" مع شنطة لحفظ الملابس أي تحولتُ بذلك من متسكع لا يملك إلا قميصه وبنطلونه إلى مالك لحقيبة كبيرة مليئة بكل ما يحتاجه المرء أو يفكر في ارتدائه وذلك في غضون وقت قصير لا غير . . سبحان مغير الأحوال . .!

وصلنا شارع أربات الذي يقع فيه فندق اللجنة المركزية في منعطف صغير ، لكنه فندق من الدرجة الأولى لا يستقبل إلا ضيوف الحزب . . فأفردوا لي غرفة أنيقة بملحقاتها تطل على الحديقة الداخلية للفندق . . . بدأ الرفاق يتوافدون علي وكان أولهم الرفيق سلام الناصري العضو المرشح للمكتب السياسي ومسؤول منظمات الحزب في الخارج . وبعد لقاء أو لقائين بدأنا نخطط لعقد مؤتمر صحفي أكون أنا المتحدث فيه عن الجرائم والفظائع التي أرتكبتها أجهزة البعث المجرمة بحق الحزب وكوادره وبحق كل الحركة الديمقراطية والوطنية العراقية . ذلك اني الوحيد الذي نجوت من ظلام البعث وأصبحت حراً في التحدث عن كل الجرائم السرية من قتل وتعذيب واعتداء على الأعراض التي مارستها عصابات الحرس القومي .

كنت اسرد قصص التعذيب وحوادث القتل التي تعرض لها الرفاق المعتقلون والرفاق يدونون تلك المعلومات تمهيداً لعقد االمؤتمر الصحفي .

### المؤتمر الصحفي

فيما يتعلق بمكان عقد المؤتمر الصحفي ، ارتأى بعض الرفاق والأصدقاء عقده في إحدى عواصم الدول الاشتراكية القريبة من الغرب بحكم كثافة ممثلي وسائل الإعلام العالمية ومراسلي الصحافة فيها . واستقر الرأي على اختيار العاصمة التشيكية براغ مكاناً لعقد المؤتمر لكونها مركزاً تلتقي فيه وسائل الإعلام العالمية الشرقية منها والغربية . وكان رأي السوفييت مع هذا

الاختـيـار . وهنا نشـأت إشكاليـة هل يعقـد المؤتمر الصـحفي قبل دخولي المستشفى أم يؤجل إلى ما بعد خروجي منه ؟ فحسمت الأمر بتأجيل الدخول إلى المستشفى والمباشرة بالتهيئة لعقد المؤتمر .

أخذنا الطائرة من موسكو إلى براغ نحن الثلاثة : سلام الناصري ، وأنا ومحمود صبري الذي كان قد سجل ما تحدثت به عن الظروف الصعبة والقاسية جداً التي يمر بها المعتقلون السياسيون في ظل التصرفات الهمجية لعناصر البعث في المعتقلات والسجون .

استقبلنا في مطار براغ عدد من الرفاق وكان بينهم عزيز الحاج ، بعدها عقدنا عدة جلسات للتهيئة النهائية لعقد المؤتمر .

عقد المؤتمر الصحفي في ٢٧ تشرين الأول ١٩٦٣ ، في إحدى القاعات التابعة لنقابة الصحفيين التشيكوسلوفاك . أُفتتح المؤتمر بكلمة القاها عزيز الحاج وكان أيامها ممثلاً للحزب الشيوعي العراقي في مجلة قضايا السلم والاشتراكية . وكان المؤتمر الصحفي بمثابة فعالية من فعاليات لجنة الدفاع عن الشعب العراقي التي تشكلت على أثر الانقلاب الفاشي في ٨ شباط وكان من بين أبرز مؤسسيها الشاعر الراحل محمد مهدي الجواهري الذي كان رئيساً لهذه المنظمة . وشاركت في عضويتها شخصيات عراقية سياسية معروفة مثل الدكتور فيصل السامر والفنان محمود صبري والدكتورة نزيهة الدليمي وكذلك عزيز الحاج .

كان المؤتمر الصحفي ضربة إعلامية قوية تلقاها حكم البعث عمقت من عزلة الحكم وافتضاح سياساته القمعية عربياً وعالمياً ، وذلك لأن معطيات المؤتمر الصحفي لقيت انتشاراً واسعاً ليس فقط في صحافة ووسائل إعلام الدول الشرقية ووكالات انبائها ، بل وفي الصحافة الغربية ووسائل إعلامها المقروءة والمسموعة .

مما جاء في المؤتمر الصحفي أخبار الاغتيالات السياسية التي نفذها حزب البعث ، والقتل تحت التعذيب ومن بين القيادات الشيوعية التي قُتِلت في التعذيب في قصر الرحاب الذي حوله البعثيون إلى مسلخ للتعذيب والقتل ومواقع أخرى ، الشهيد سلام عادل السكرتير الأول للجنة المركزية وجمال الحيدري عضو مكتب سكرتارية الحزب ومحمد صالح العبلي وجورج تلو ومحمد حسين أبو العيس أعضاء المكتب السياسي ونافع يونس ورحيم شريف وحمزة سلمان المحامي أعضاء اللجنة المركزية وعشرات النشطاء الحزبيين من أعضاء اللجان المنطقية ولجان الاختصاص أمثال الياس حنا أحد القادة العماليين البارزين وعدنان البراك الكاتب ، والصحفي عبد الجبار وهبي (أبو سعيد) الذي كان من المع الصحفيين وكتاب العمود اليومي ولطيف الحاج ومحمد الوردي والعشرات . . .العشرات غيرهم .

ومما جاء في وقائع المؤتمر الصحفي حجم الاعتقالات الواسعة التي طالت اكثر من ١٠٠ الف عراقي في الأيام الأولى للانقلاب بحيث لم تعد كل السجون والمعتقلات والمواقف العراقية كافية للاستيعاب . فلجأ حكام البعث إلى تحويل الملاعب الرياضية مثل ملعب الادارة المحلية في الكرخ والنوادي الرياضية إلى معتقلات ومراكز التعذيب ، فضلاً عن اتخاذهم من بعض الشوارع بعد غلقها من الجهتين مكاناً لحشد المعتقلين .

ولخصتُ سعة ووحشية أعمال التعذيب والقتل بكلمة قلتُ فيها ان كل هذا الذي قلته لا يعبر في أحسن الأحوال إلا عن ١٠ بالمئة مما جرى ويجري في الواقع الراهن في العراق .

## بعد إنقلاب شباط عام ١٩٦٣

## خط آب والسياسة الجديدة ١٩٦٥ - ١٩٦٦

بعد العودة من العراق على أثر انقلاب شباط ١٩٦٣ إلى الاتحاد السوفيتي ، كانت سياسة الحزب تمر بعدم استقرار . ففي الوقت الذي حُمِّلت فيه السياسة اليمينية التي انتهجتها بعض كوادر الحزب في القيادة مسؤولية الأخطاء في مسايرة سياسة حكومة قاسم وتحميل الحزب ما كان يعرف بضغوط الكتلة الملتفة حول قاسم من المسؤولين والضباط ، فقد اعتبِرت كوادر أخرى ومن بينها أعضاء في المكتب السياسي ان المسؤولية تقع على عاتق اليسار الانعزالي .

ولكن ما أن حدث انقلاب ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ في العراق بقيادة عبد السلام عارف وعدد من الضباط القوميين والناصريين ، حتى بدأ منطق آخر يتحدث عما تعرض له العراق والحركة الشيوعية من انتكاسات . فبحكم العلاقات التي كانت تربط بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة ، راحت بعض وسائل الإعلام السوفيتية والمصرية تشيد بالعلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتي . كما صارت تطرح تفسيرات عن مستقبل العلاقات العراقية السوفييتية . وهذا ما خلق قاعدة فكرية للتقارب بين الحركة الشيوعية العربية من جهة ، والحركة الناصرية من جهة أخرى . ولقد التقط بعض قادة الحزب الشيوعي هذا التوجه لكي يبالغوا بما يمكن ان تسفر عنه العلاقات الناصرية مع الحركة الشيوعية العربية .

ولغرض ترويج هذا التوجه وتعزيزه ، عقدت الأحزاب الشيوعية العربية مؤتمراً صيف عام ١٩٦٤ في براغ ، حضره ممثلو هذه الأحزاب الشيوعية العربية ، ومنهم الرفيق الراحل خالد بكداش ومعه عمر السباعي ، وإبراهيم بكري عن الحزب الشيوعي السوري . كما حضر كل من الرفيق الراحل نقولا

شاوي وصوايا صوايا عن الحزب الشيوعي اللبناني ، والرفيق الراحل أبو سليم السلفيتي عن الحزب الشيوعي الأردني . كما حضرنا نحن الثلاثة أنا والرفيق سلام الناصري وعزيز الحاج ممثلين عن الحزب الشيوعي العراقي ، في حين حضرت وفود أخرى تمثل الأحزاب الشيوعية العربية ، أذكر منها الحزب الشيوعي المغربي والحزب الشيوعي التونسي .

وللحقيقة فلقد كان موقف الرفيق خالد بكداش معارضاً للاطروحات التي أثيرت في هذا الاجتماع بحيث وجدنا صعوبة بالغة في الاتفاق على البيان المشترك . وكان ينصب اعتراض الرفيق خالد بكداش على فكرة وردت في المداخلة التي كتبها وألقاها عزيز الحاج باسم وفدنا وبتشجيع ودفع كبيرين من ممثلي الحزب الشيوعي الأردني ولاسيما السلفيتي الذي كان متحمساً لها ، وهي ان جناحي حركة التحرر العربية هما الحركة الشيوعية العربية والحركة الناصرية وكان ذلك يجد تشجيعاً من ممثلي الصحافة السوفيتية حينذاك .

ومع ان خط أب ولد في ظل هذه الظروف العالمية والعربية ، لكنه لم يستطع ان يحقق أهدافه بسبب الموقف الرافض من جانب اكثرية القاعدة الحزبية ، سواءً في الخارج أو في الداخل . ولذلك ما ان وطأت أقدامنا أرض العراق في أواخر عام ١٩٦٤ واوائل ١٩٦٥ ، حتى وضعنا نصب أعيننا في المركز القيادي الذي تشكل في بغداد بعد عودتنا مني ومن بهاء الدين نوري وعامر عبد الله وسلام الناصري ، مهمة تغيير خط آب .

## طريق العودة عبر القاهرة والمخابرات المصرية

في طريق عودتي من الخارج إلى العراق ، استعنت بجواز سفر عراقي مزوّر يحمل اسماً غير اسمي . في التاسع من أيلول ١٩٦٤ غادرتُ مطار براغ متوجهاً إلى القاهرة عبر نقطة ترانزيت في مطار روما . وسبب اتباعي

لهذا الطريق رغبة قديمة لدي في زيارة القاهرة والتعرف على معالمها السياحية فضلاً عن لقاء بعض الأصدقاء المصريين منهم خالد محي الدين .

وصلنا مطار القاهرة في العاشرة مساءً وكالعادة ، أخذت دوري إلى جانب الركاب الذين ينتظرون إعادة جوازاتهم إليهم بعد الفراغ منها . غير إن انتظاري طال وبدا الركاب الذين جاءوا من بعدي باستلام جوازات سفرهم دون ان أحصل على جوازي . فتقدمت إلى ضابط الجوازات استحثه على إعطائي جواز سفري . استمهلني وقال : "عندما يخلص الجواز ، حنادي عليك" .

وبعد ان فرغ الكاونتر من ركاب الطائرة الذين غادروا كل إلى شأنه ، كانت الساعة قد قاربت الحادية عشرة مساءً . عندها جاءني موظف مدني وسأل عن اسمي ، فأجبته . واستفسرت منه عن مصير جواز سفري لا سيما وان احدا من ركاب الطائرة لم يبق سواي ، فاصطحبني قائلاً : " تفضل عاوزينك فوق ، البيه عاوزك" . فطلعنا السلم ودلفنا غرفة واسعة يتوسطها موظف في ملابسه المدنية وهو يرحب (أهلاً يا أستاذ . . أهلاً وسهلاً) . فأظهرت شيئاً من الامتعاض وقلتُ له ما الذي يجري ؟ منذ أكثر من ساعتين وأنا أنتظر جوازي والنزول إلى القاهرة ، فإذا كنتم لا ترغبون في ذلك ردوا ليّ جوازي وسأجد طريقة لمغادرة البلد . فقال الموظف بتهذيب جم : لا يا أستاذ حاشا لله ، ولكن المشكلة في جوازك أنه يحمل اسماً ثنائياً في حين ان المتعارف عليه هو الاسم الثلاثي . فقلت له هذا شيء متعارف عليه عندنا ويبدو عندكم أيضاً فرئيس الجمهورية السيد جمال عبد الناصر اسم ثنائي ورئيس وزرائكم السيد علي صبري هو علي وأبوه صبري ؟ فما الغريب في ان يكون اسمي أنا أيضاً ثنائياً ؟

ففاجأني بسؤال مباشر لم أكن أتوقعه : هل هناك من أقاربك من هو

فلان ابن فلان وذكر اسمي . فأجبته : لا ليس لدي أقارب بهذا الاسم . فأنزلوني إلى قاعة الترانزيت وبقيت أنتظر إلى ظهر اليوم الثاني حيث جاءني شرطي وهو يقول : هل أنت فلان ، أجبت : نعم . فقال : " لقد سمحوا لك بالنزول إلى القاهرة وهذا هو جواز سفرك ." فأخذته وانصرفت متوجهاً إلى القاهرة .

أقمت في أحد الفنادق واستثمرت كل ساعة لي في القاهرة للتجوال في معالمها : الاهرامات ، المتاحف ، الأحياء الشعبية . . وقررت بعد الذي حدث لي في مطار القاهرة ان أعدّل من خطتي في العودة إلى بغداد خشية ان تكون الجهات الأمنية المصرية قد أبلغت الجهات العراقية بحقيقة جواز سفري . فحجزتُ إلى لبنان في أول طائرة ووصلتُها مساء أحد أيام أيلول .

في بيروت اتصلت بالرفاق في قيادة الحزب الشيوعي اللبناني وأخبرتهم بما حدث في مطار القاهرة واستعنت بهم لتوفير جواز سفر أستطيع الدخول به إلى العراق . وبعد انتظار قضيته في بحمدون المحطة ، زودوني بجواز سفر سوري استطيع استخدامه للوصول إلى الكويت ومنها عليّ ان آخذ واسطة نقل برية ثم ترانزيت إلى العراق حتى سورية . فذهبت إلى السفارة العراقية في الكويت لأخذ تأشيرة ترانزيت إلى سورية ذلك ان العلاقات بين سوريا والعراق كان يشوبها بعض التوتر . في الكويت أخذت الباص وكان غالبية ركابه من السوريين . وعندما توقفنا للراحة في استراحة بمدينة بغداد غادرت السيارة .

في الفترة ١٩٦٥ - ١٩٦٦ أعدنا توزيع المهمات الحزبية بيننا نحن الرفاق الذين وصلنا إلى بغداد قبل غيرنا فضلاً عن تشكيل المركز القيادي الذي كان يدير عمل الحزب . فقد تولى بهاء الدين نوري مسؤولية إدارة العمل والاتصال بفرع الحزب في كردستان في حين تولى الرفيق عامر عبد الله

مسؤولية إدارة العلاقات مع القوى السياسية . كما أعيد تشكيل لجنة بغداد وأنيطت مسؤوليتها بالرفيق الراحل حميد الدجيلي الذي سقط قتيلاً برصاص رجال الأمن وهم يحاولون كبس الدار التي كان فيها . ولغرض إعادة وتنظيم العلاقة بين المركز ومنظمات الوسط والجنوب وكردستان ، توليت مهمة قيادة لجنة التنظيم المركزية التي تشكلت في البداية مني كمسؤول لها ومن الرفيق كاظم فرهود والرفيق حسين جواد الكمر . وحين التحق الرفيق آرا خاجادور انضم هو الآخر إلى المركز القيادي وتولى فيما بعد إعادة بناء وتشكيل وتنظيم التنظيم العسكري للحزب في الأوضاع السائدة حينذاك ، حيث كان يحكم الأخَوان عبد السلام وعبد الرحمن عارف .

وبسبب كثرة أعداد العسكريين العراقيين الشيوعيين المسرحين من الجيش ، بدأت عملية ضغط مركزة بضرورة استثمار هذه الطاقات وتنظيمها لإحداث تغييرات في الوضع السياسي الذي كان يبدو هشاً إلى حد كبير . فترسخت ، نتيجة لذلك ، قناعة تكاد تكون كاملة لدى العديد من كوادر الحزب بأن إعادة التنظيم الحزبي في الجيش ينبغي أن ترتبط مباشرة بخطة متكاملة عسكرية ومدنية لإحداث التغيير . وبخلاف ذلك فإن تنظيم العناصر العسكرية في إطار الحزب الشيوعي دون ان يرتبط ذلك بضرورة استخدام هذه القوى يعتبر ضربا من العبث .

من هنا بدأت فكرة "العمل الحاسم" تجد انتشاراً داخل منظمات الحزب وبين الكوادر وفي أوساط القيادة . ولكن انتشار فكرة العمل الحاسم لم تمر دون معارضة شديدة من قبل بعض الرموز القيادية في الحزب ولاسيما بهاء الدين نوري وسلام الناصري ، الأمر الذي ألجأنا لحسم هذا الصراع إلى دعوة اجتماع لأعضاء اللجنة المركزية المتواجدين في الداخل إضافة إلى عدد من الكوادر المتقدمة كمسؤولي المناطق وأعضاء اللجان المنطقية لمناقشة موضوع

تبني تكتيك العمل الحاسم . وعقد الاجتماع في نيسان عام ١٩٦٥ وعند مناقشة موضوعة "العمل الحاسم" كانت الغالبية الساحقة مع تبني وإقرار هذه الخطة .

وكان مجموع الأعضاء الحاضرين ٢٥ رفيقاً ، منهم بهاء الدين نوري ، سلام الناصري ، عامر عبد الله ، صالح دكلة ، آرا خاجادور ، ناصر عبود أعضاء اللجنة المركزية الموجودون في الداخل ، في حين كان عددٌ آخر من أعضاء اللجنة المركزية موجودين في الخارج .

أثيرت في هذا الاجتماع إشكالية شرعية الاجتماع . فقد اعترض كل من بهاء الدين نوري وسلام الناصري على شرعية الاجتماع في ظل غياب أكثرية أعضاء اللجنة المركزية . وقدم كل منهما استقالته التي رفضها الاجتماع . وطُرح في الاجتماع اقتراح بإنتخاب هيئة من داخل الاجتماع بمن في ذلك الأعضاء الحاضرون من اللجنة المركزية . فانتخبت هيئة دخلها خمسة من أعضاء اللجنة المركزية السابقين وهم بهاء الدين نوري ، عامر عبد الله ، سلام الناصري ، صالح دكلة وآرا خاجادور . وسقط في الانتخاب العضو السادس وهو ناصر عبود الذي لم يحصل على الأصوات الكافية في حين أضيف إلى أعضاء اللجنة المركزية السابقين المتواجدين في الداخل الخمسة كل من كاظم فرهود ، كاظم جواد ، كاظم الصفار ، ماجد عبد الرضا ورفيق آخر عامل لا أذكر اسمه ربما ، الياس . كما احتفظ أعضاء اللجنة المركزية في الخارج بعضويتهم في اللجنة المركزية .

## كلمات عن اذاعة الحزب السرية

في هذا الاجتماع فاتحت عدداً من أعضاء اللجنة المركزية ، منهم آرا خاجادور ، عامر عبد الله وبهاء الدين نوري وآخرين ، وأخبرتهم أنه في تمام

وقت محدد سيستمعون إلى إذاعتنا السرية وهي تغني أغنية أم كلثوم "أراك عصي الدمع شيمتك الصبر" . وإذا بقاعة الاجتماع تضج بصوت المذياع الذي سرعان ما أنزلناه .

**قصة الإذاعة:**

من جملة الاستعدادت التي كان الحزب يعمل على تهيئتها للقيام بالعمل الحاسم وإنجاحه ، موضوع الإذاعة . إذ ان الإذاعة في كل الانقلابات تلعب دوراً رئيسياً في التعبئة والتحريض وفي شل قوى الخصم . لذلك كانت تنصب الجهود على توفير هذا العامل الهام .

حدث في أحد الأيام حين كنت مسؤولاً للجنة التنظيم المركزية ، أن وصلتني رسالة يقول فيها كاتبها وهو مهندس شيوعي يعمل بعد أن تسرح من عمله في ورشة لتصليح أجهزة التلفزيون والأجهزة الكهربائية الأخرى (ن .ج) بأنه سمع بخطة العمل الحاسم وهو على استعداد لإقامة إذاعة سرية يستطيع الحزب إستخدامها عند الضرورة . فالتقيت به واستفسرتُ منه عن فكرة الإذاعة وكيف يمكنه إنشاءها في وقت يتطلب فيه مثل هذا العمل نفقات كبيرة نسبياً . فشرح لي فكرته وقال انه يستطيع استخدام بعض الأجهزة القديمة والمستعملة من محطات الإرسال التي يستغني عنها الجيش ويمكن ان يعثر عليها في سوق الهرج . وقال ان تكاليفها قد تصل إلى ٢٠٠- ٣٠٠ دينار وهو لا يحتاج الآن إلا لجزء من هذا المبلغ يشتري به ما يتوفر من أجهزة .

أعطيته الضوء الأخضر للبدء بالعمل دون أن أخبر أحداً قبل أن أتأكد من بعض النتائج الإيجابية . وحين أشرف العمل في إنشاء محطة الإذاعة على إعطاء نتائجه الملموسة ، خرجنا معاً أنا والرفيق المهندس إلى أطراف بغداد

وضواحيها وبعد ان أكمل ترتيبات البث وحدد الوقت المناسب رحنا نستمع إلى الإذاعة في مراحلها التجريبية .

## الالتحاق بالعمل السياسي الفلسطيني

في هذه الفترة من عام ١٩٦٨ ، كانت علاقتي يشوبها البرود مع الحزب الشيوعي على أثر القرار الذي اتخذه الكونفرنس الثالث للحزب باستبعاد الخطة التي كنا اعتمدناها لإحداث تغيير في السلطة السياسية . والخطة كانت تعرف بـ "تكتيك العمل الحاسم" الذي عملنا على توفير مستلزماته مع عدد من أعضاء اللجنة المركزية بينهم الرفيق آرا خاجادور والرفيق كاظم فرهود والرفيق عامر عبد الله والرفيق كاظم جواد ورفاق آخرون لا تحضرني الآن أسماؤهم .

وملخص فكرة "العمل الحاسم" هو ان الجيش مؤسسة من المؤسسات التي يمكن استخدامها ليس فقط من قبل الحركات القومية وحزب البعث والقوى الرجعية ، بل يمكن استثمارها لمصلحة الحركة الديمقراطية اليسارية . فركزنا اهتمامات مكثفة على سياسة كسب منتسبي القوات المسلحة ضباطاً وضباط صف وجنودا لتهيئتهم في حركة للانقضاض على السلطة بمعونة المنظمات الحزبية المدنية وانصار الحزب والحركة الديمقراطية وذلك بتوفير بعض المستلزمات الضرورية كالسلاح وبعض الأجهزة الضرورية . وحققنا في هذا الميدان تقدماً ملحوظاً ، غير انه كان يواجه بمعارضة دائمة من أغلبية الرفاق في المكتب السياسي ، وخاصة بهاء الدين نوري وعزيز محمد وسلام الناصري .

في نيسان عام ١٩٦٥ عقد اجتماع اللجنة المركزية واتخذ فيه قرار بتبني تكتيك العمل الحاسم بأكثرية أعضاء اللجنة المركزية . ولكني فيما بعد

لم أكن مقتنعاً بسياسة الحزب الجديدة التي أقرها الكونفرنس الثالث عام ١٩٦٧ الذي عُقد في قرية (دربسر) بشأن تكتيك الانتفاضة الشعبية التي كان يدعو لها كل من الرفيق الراحل زكي خيري وعزيز الحاج .

فكرت بأن أنصرف لتحقيق وجهة نظري بضرورة تبني الأحزاب الشيوعية العربية المشاركة في العمل الفدائي الفلسطيني . فانتزعتُ موافقةً من قيادة الحزب للالتحاق بالعمل الفدائي الفلسطيني في الأردن بعد ان بدأت الأحزاب الشيوعية العربية تتبنى سياسة المشاركة . واستعنتُ بأحد قياديي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وهو حمدي مطر الذي ساعدني بسيارته المرخصة باجتياز الحدود العراقية–الأردنية دون تفتيش إلى عمان بعد أن أرتديت بدلة مموهة . وكان ذلك في بداية صيف عام ١٩٧٠ . وهناك اتصلتُ بقيادة الحزب الشيوعي الأردني وكنتُ على معرفة بعدد منهم أيام الدراسة في موسكو .

وبعد أيام من استضافتي من قبل الرفاق العاملين في منظمة الأنصار التابعة للأحزاب الشيوعية العربية في أحد المواقع العسكرية داخل أحد المخيمات الفلسطينية ،نسجت هناك علاقات تفاهم رفاقية مع عدد من مسؤولي الأنصار ومن قيادة الحزب الشيوعي الأردني الذين لم أتعرف بهم من قبل ، أمثال الرفيق إسحق الخطيب والرفيق عبد العزيز العطي عضوي المكتب السياسي للحزب الشيوعي الأردني وكانا مسؤولين عن العمل العسكري وصارا يكلفاني بدورهما ببعض المهمات السياسية والتوجيهية لقوات الأنصار .

بعدها انتقلت إلى شمال الأردن بمحاذاة نهر اليرموك في منطقة سحم المواجهة للأراضي الفلسطينية المحتلة لممارسة التوجيه السياسي مع مجموعة من المقاتلين الفلسطينيين . كما كنت أقوم بتدريسهم بعض قضايا

الماركسية . استمر الوضع على هذا النحو وأنا أعزز من علاقاتي السياسية مع أولئك القادة في الحزب الشيوعي الأردني الذين يتبنون تعزيز وتطوير منظمة الأنصار . كما تطورت وتعززت علاقاتي بقيادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وبخاصة الرفيق جورج حبش عبر اللقاءات والمناقشات التي كانت تجري فيما بيننا سواءً في الشأن الفلسطيني أو في الشؤون العربية . ولقد استفدت كثيرا من هذه العلاقة في الحصول على دعم ومساعدات لمنظمة الأنصار .

إن منظمة الأنصار للأحزاب الشيوعية العربية التي تكونت في وقت متأخر بعد إلحاح عدد من الكوادر الشيوعية على القيادات قامت أواخر عام ١٩٦٩ وأوائل عام ١٩٧٠ . وكان تكوينها الرئيسي يعتمد على الرفاق الفلسطينيين في الحزب الشيوعي الأردني وعلى الأردنيين بصورة أقل .

ورغم ان الأحزاب الشيوعية العربية لم تعارض قيام المنظمة أو أيدتها تأييداً خجولاً ، لكنها لم تبعث بمقاتلين أو متطوعين لرفد هذه المنظمة ، غير ان عدداً من المتطوعين الشيوعيين العراقيين كانوا قد التحقوا بالمنظمة وأفراداً من الحزب الشيوعي اللبناني ، في حين ان الحزب الشيوعي السوري بعث بمجموعة من الشيوعيين السوريين التحقوا وتدربوا اما في منظمة الصاعقة التابعة لسورية أو في الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين . أما الأسلحة والأعتدة التي حصلت عليها المنظمة فقد جمعت كهبات وتبرعات من المنظمات الفلسطينية الأخرى . فبالرغم من ان منظمة الأنصار كانت تقف وراءها أربعة احزاب شيوعية وكل المعسكر الاشتراكي ، فقد كانت أضعف المنظمات الفلسطينية وأقلها تسليحاً رغم ما تمتع به عناصرها من حماسة وشجاعة فريدة ظهرت واضحة أيام مجازر أيلول . وتفسير ذلك ان بعض المتنفذين في قيادات الأحزاب الشيوعية العربية لم يكونوا مؤمنين بهذا

الاسلوب من أساليب النضال لتحقيق أهداف حركة التحرير الفلسطينية .

حدث ان زار وفد يمثل منظمة الأنصار والأحزاب الشيوعية العربية عدداً من البلدان الاشتراكية يطلب منها تقديم عون عسكري تسليحي إلى منظمة الأنصار . فتقدم بقائمة متواضعة ، ما ان رآها ممثلو الدول الاشتراكية حتى سخروا منها وقدموا بدورهم قائمة تتضمن أهم وأفضل الأسلحة التي تحتاجها منظمة كمنظمة الأنصار . والقائمة غنية ليست فقط بنوعية السلاح بل وبكمياته . ولم يطلب ممثلو الدول الاشتراكية أي شرط غير ان تدلهم الأحزاب على الموقع الذي تريد استلام السلاح منه ، هل هو سورية ، لبنان أو العراق باستثناء الأردن .

وبقي السلاح في مكانه دون ان يصل ، لأن قيادات الأحزاب لم ترد ان يصل هذا السلاح إلى أيدي الشيوعيين وذلك بحجة ان ليست هناك دولة عربية تسمح بإيصال السلاح إلى منظمة الأنصار . ولكي أجد حلاً لهذه الإشكالية ، اتصلتُ بالرفيق جورج حبش وشرحتُ له الأمر وطلبتُ منه العون لإيصال السلاح .

وعرضتُ عليه ان كل ما يصل من سلاح ، سنتقاسمه مناصفةً . فاستغرب العرض وقال : ( يا بو سعد السلاح الذي يصلكم هو دعم لنا ولكل حركة التحرر الفلسطينية وهو فضلاً عن ذلك يحمل مغزى نوعياً هو ان الثورة الفلسطينية بدأت تكسب حليفاً أممياً جباراً وفوق ذلك فإن الجبهة الشعبية ستتحمل وحدها نفقات النقل . . فقط اوصلوه إلى العراق باسم الجبهة الشعبية ونحن سننقله إلى الأردن) . فشكرته وانصرفت . ولكن المؤسف ان الوقت لم يكن يلعب لصالحنا ، فتفجر الصراع بين المقاومة الفلسطينية في الأردن والنظام الأردني في أيلول عام ١٩٧٠ .

## أحداث أيلول الدامية في الأردن

في صبيحة يوم الأحداث ، كنت في داري الواقعة في وادي السير في عمان المواجهة لبناية المخابرات الأردنية على جبل لويبدة . فأفقت من النوم على أثر انفجار هائل أحدثته قذيفة مدفعية في غرفة الجلوس . فتوجهت إلى ملجأ تابع للدار ، توافد إليه أيضاً الجيران . استمر القصف المدفعي وبدأت الدبابات ومدرعات الجيش الأردني تمشط الطريق أمامها بمعاونة المشاة الذين بدأوا يدخلون بعض الدور ليلتقطوا منها بعض المعتقلين .

وحين مالت الشمس نحو الغروب ، توقف زحف الجيش الأردني عند الدوار الأول في جبل عمان . قضيتُ ليلتي في الدار متوجساً أية زيارة يمكن ان يقوم بها عناصر من الجيش أو المخابرات إلى الدار ليكتشفوا ما فيها من وثائق لا بد وأنها ستؤكد لهم أنني من عناصر المقاومة . لذلك ما ان حل صباح اليوم الثاني حتى خرجت من الدار قاصداً الموقع الرئيسي لمنظمة الأنصار الواقع في محلة المطران من جبل عمان . وكان الموقع إحدى الدور التابعة لعائلة الدكتور نبيه رشيدات . فصادفتني في أول الشارع دبابة أردنية وبجانبها جنود يلونون وجوههم بالطين ، فصرخوا بي وقالوا : (وين طالع ، ألا ترى ما الذي يحصل من إطلاق نار ؟) فقلتُ لهم أنا عراقي مسافر كنت ضيفاً ليلة أمس وأريد العودة إلى الفندق . وفي طريقي صرت استند إلى الجدران حامياً نفسي من النار حتى وصلتُ الدوار الثالث قرب سينما الرمبو . فكان الدوار محتلاً من قبل الجيش الأردني وحذرني الجنود من شارع الرمبو حيث يتوالى الرصاص قادماً كما قالوا من الشيوعيين الكفرة . وبعد شق الأنفس وصلتُ إلى أحد كمائن الأنصار في جبل عمان والتحقت بالموقع الذي تعرض إلى قصف مكثف ، اضطررنا حينها الى أن نفتش عن دار أخرى نتخذ منها مقراً لقيادة الأنصار .

رحت مع بعض المقاتلين نفتش بالقرب من المنطقة عن دار تصلح لعملنا ، فوجدنا تلك الدار وكانت ذات طابقين يبدو ان سكانها تركوا الطابق الأول وراحوا يقيمون في الطابق الأرضي . فظهر لنا بعد وقت قصير ان الدار تعود إلى عائلة المعشر وكانت علاقتنا مع أهل الدار علاقة ود واحترام متبادل . كنا قد فتحنا أفران المنطقة وبدأنا بتشغيلها وتوزيع الخبز على سكان المنطقة فضلاً عن توفير المياه الصالحة للشرب .

وكان أصحاب الدار يطبخون لنا كل يوم تقريباً طنجرة كبيرة من المجدرة . وكانوا يدعوننا في كثير من الأحيان لزيارتهم وتناول القهوة معهم . وعندما غادرنا الموقع غادرناه وهم يحملون عنا انطباعات جيدة . ومن الجدير بالذكر اننا يوم دخلنا البيت لأول مرة وجدنا كميات من الحلي والأساور والمجوهرات مبثوثة في عدد من غرف النوم ، فجمعتها كلها في شرشف وأنزلته إلى أصحاب الدار خوفاً من ان تمتد يد أحد المقاتلين إليها . وبذلك فقد احتفظ اهل الدار لنا بهذا الصنيع .

بعد أيام وبعد الوساطات العربية ، اتفق أبوعمار مع الملك حسين لإخراج المقاومة من عمان ومن ثم من الأراضي الأردنية كلها . فتجمع المقاتلون يركبون سيارات الحمل التي أعدت لنقلهم مع أسلحتهم إلى خارج الأردن . وكان نصيبنا ان وصلنا في وقت متأخر من شهر تشرين الأول إلى دمشق وتوزعنا على عدد من فنادقها . هذا في حين ان أعداداً أخرى من المقاتلين تم نقلهم إلى الأراضي اللبنانية . ويبدو ان قيادة الحزب الشيوعي الأردني قررت حل منظمة الأنصار بتأييد من الأحزاب الشيوعية العربية الأخرى والحقت مقاتليها بمنظمة (فتح) ، الأمر الذي أزعجني كثيراً وقررت من حينها قطع علاقتي بالحزب الشيوعي العراقي .

### العودة إلى بغداد

بعد انقطاع أخباري عن الأهل والعائلة في بغداد بسبب أحداث الأردن وانقطاع الاتصالات وتعذرها ، بلغ القلق ذروته لدى زوجتي ، حيث لم تنفع كل اتصالاتها لتقصي خبر عني . فقررتُ العودة إلى بغداد عن طريق عمان والطريق البري الذي كان لم يزل مفتوحاً أمام بعض المنظمات الفدائية . وصلتُ الدار فلم أجد بها أحداً إذ كانوا في زيارة إلى أقاربنا .

بعد فترة حصلتُ على عمل في الشركة العامة للمقاولات الإنشائية براتب مناسب . فتحقق للعائلة خلال هذه الفترة التي لم تتجاوز بضعة أشهر شيء من الشعور بالاستقرار . غير ان الحال لم تدم . ففي أحد الأيام وأنا عائد إلى الدار بسيارة الشركة من العمل ، إذا بسيارة تعترض سيارتنا ونزل منها مسلحون . وكان ذلك تقريباً أمام دارنا في البياع . فاقتادوني إلى داخل سيارتهم وصادف ان كانت ابنتي يسار الطالبة في السنة الخامسة ابتدائي تنتظر قدومي ، فرأت المشهد وراحت تصرخ وتولول وترمي الحجارة على سيارة المختطفين . وبالتفاتة ذكية ، أخذت رقم سيارة المختطفين ولونها .

انطلق بي المختطفون وكان الوقت بين الساعة الثالثة والرابعة بعد الظهر في بغداد . وقبل ان نصل المنصور انعطفت السيارة فدخلت قصر الرحاب (النهاية) الذي عاد البعثيون لاستخدامه مركزا رئيسيا للتحقيق مع خصومهم السياسيين ولا سيما منهم الشيوعيين . وحين توقفت السيارة ، أمام مدخل القصر ، كانت هناك سيارة ثانية تتبعها . عرفت من الحرس والمختطفين الذين أبدوا اهتماماً براكب السيارة أنه ناظم كزار مدير الامن العام حينذاك . وحرصوا على ان لا أراه لما بيني وبينه من ذكريات أيام الاعتقال القديمة بما في ذلك هروبي من المعتقل عام ١٩٦٣ .

بعد تفتيشي والاستيلاء على مفكرة كنتُ أحتفظ بها في جيبي ، ألقوا

بي في زنزانة ضيقة يكاد طولها لا يزيد على مترين وعرضها على متر ونصف ، خالية من أي شيء ، مرصوفة ببلاط أصفر وأغلقوا الباب ورائي .

فكرتُ في الأمر ولمعرفتي بمدى الحقد الذي يحمله المجرم ناظم كزار ضدي ، أيقنتُ لأول مرة ان نهايتي ستكون هذه المرة في هذا المكان . فأسلمتُ أمري إلى القدر ورحتُ أفترش ذراعي وأترك العنان للنوم ، ليأخذني بعيداً عن الواقع الذي أنا فيه .

بعد بضع ساعات أيقظني طرق شديد على باب الزنزانة ، فصحوتُ من النوم وإذا بهم ينادون عليَّ ولكن بلهجة أخرى تختلف عن تلك التي استقبلوني بها . أخذوني إلى غرفة التحقيق وراحوا يخاطبونني بكلمة استاذ ، وإذا بالمسؤول يعتذر مني عن سوء الفهم الذي حصل فيما يتعلق بإحضاري إلى هذا المكان . فأبديتُ استغرابي وتساءلتُ : لماذا هذا الاسلوب الذي روعتم به عائلتي وأنا موظف ودائرتي معروفة وكان بإمكانكم أن تستدعوني ، فأحضر لكي أرى ما الأمر . فراحوا يزيدون في الاعتذار وطلبوا مني ان أتصل تلفونياً بالدار أو بأي من اصدقائي أو أقاربي لأطمئنهم على وضعي ولكن دون ان أقول لهم من أين أتصل ، أي انهم كانوا لا يريدون ان أخبر من أتصل به بوجودي في قصر النهاية .

ولما لم يكن لدي في الدار تلفون ، اتصلتُ بابن عمي أحمد دكلة ، صاحب فندق العراق حينذاك ، ولكن رد عليَّ مباشرة السيد منذر المطلك وكان قد جاء إلى أحمد ليتابع قضية إطلاق سراحي . وكان منذر المطلك وهو أحد أصدقائي ، سكرتيراً خاصاً لرئيس الجمهورية آنذاك المرحوم أحمد حسن البكر . وقد تحرك منذر حال اتصال زوجتي به تخبره ان سيارة برقم كذا ، قد اختطفتني من باب الدار في حوالي الساعة الثالثة من بعد ظهر ذلك اليوم . وعرفت منه فيما بعد بأنه عاد فوراً إلى القصر الجمهوري ، فأخبر

بذلك رئيس الجمهورية وطلب منه التدخل فوراً وإلا فإن ( ناظم كزار لن يمهل الرجل كثيراً من الوقت ) . وفور الاتصال الذي تم ، لم يستطع المسؤولون عن الاختطاف ان ينكروا الأمر وبادروا بالاعتذار لحصول سوء فهم .

بعدها طلب مني رجال قصر الرحاب ان يوصلوني إلى الدار أو إلى أي مكان آخر ، فاكتفيت منهم بأن أوصلوني إلى الشارع العام . فأخذتُ أول سيارة أجرة وذهبت إلى الدار .

### مغادرة العراق مرة أخرى

في اليوم التالي ، التقيتُ بالسيد منذر المطلك وشكرته على صنيعه معي ، وقال لي (يا أستاذ أبا سعد ليس هذا إلا واجب الصديق إزاء صديقه) . وحذرني مما يمكن ان يبيت لي ناظم كزار . ففكرتُ في الأمر ملياً واستشرتُ بعض الأصدقاء ، فقررتُ ان انتهز أول فرصة لمغادرة العراق .

كانت العلاقات بعد اتفاقية آذار عام ١٩٧٠ بين الحكومة العراقية والثورة الكردية قد تحسنت كثيراً . فالعديد من الأكراد تسلموا وزارات عراقية ممثلين عن الحزب الديمقراطي الكردستاني وعينت الحكومة عدداً من ممثلي الأكراد محافظين في منطقة كردستان العراق . وقد تعين الصديق علي السنجاري وكان مسؤول منظمة الفرع الأول للحزب الديمقراطي الكردستاني التي تغطي محافظتي الموصل ودهوك ، محافظاً لدهوك . فالتقيت به في بغداد في إحدى زياراته الرسمية لها وطلبتُ مساعدته في إخراجي من بغداد وإيصالي إلى الموصل ومنها إلى سورية ذلك لأنه كان يتعذر عليَّ في حينها ان استخدم الطريق الشرعي لمغادرة العراق بالحصول على جواز سفر عراقي لوجود إشارة أمام اسمي في مراكز الهجرة والجوازات .

فأبدى الرجل استعداده الكامل وكان كريماً معي غاية الكرم ، إذ

أجلسني إلى جنبه في سيارته الحكومية التي تحمل الرقم (دهوك ١) أي السيارة الخاصة بمحافظ دهوك ، ويقودها سائق خاص . توجهت بنا السيارة نحو محافظة الموصل وهناك نزلت ضيفاً على مقر الحزب الديمقراطي الكردستاني في الموصل تمهيداً لترتيب أمر سفري عبر الأراضي الكردية في العراق المتاخمة للأراضي السورية .

في طريقنا نحو الأراضي السورية ، نقلتنا سيارة بمرافقة أحد الإخوة الأكراد مروراً ببلدات عراقية كردية ، منها تلعفر وسنجار حتى إحدى القرى الكردية المتاخمة للأراضي السورية حيث نزلتُ ضيفاً لدى إحدى العوائل الكردية الموالية للديمقراطي الكردستاني . فبتنا ليلتنا فيها . وفي الليلة الثانية وفي ساعة قريبة من منتصف الليل هيأ المضيفون دابة حملتني وحقيبةً كانت معي ، متجهين نحو القرى الكردية السورية التي تقع عبر خط الحدود الذي لا يفصله أي فاصل جغرافي عن الأراضي العراقية ، بل ان غالبية سكان القرى على الجانبين يرتبطون بعلاقات قربى .

بتنا ليلتنا لدى العائلة الكردية في الجانب السوري حيث حضرتْ صباحاً سيارة نقلتني إلى دار وقلعة كبيرتين تخص الشيخ دهام أحد وجوه الأكراد في المنطقة ، فأحسنوا ضيافتي . وفي اليوم التالي هيئوا لي سيارة ووثيقة شخصية بمثابة هوية تعريف لا أذكر اسمي فيها ولكن مهنتي كانت حلاقاً .

انتقلنا إلى حلب ومنها إلى حماة وحمص ثم وصلنا دمشق . فنزلتُ في فندق الجامعة العربية الواقع في ساحة المرجة ، أنتظر الوقت الذي تصل فيه العائلة إلى دمشق . أما قصة وصول العائلة من بغداد فأترك روايتها إلى أم سعد ، فهي التي تحملت والأولاد ، يسار وسعد عبء هذه الرحلة الشاقة .

## التحاق العائلة بي في دمشق

كنا قد اتفقنا ان أبعث بخبر أو برقية تنبىء بدخولي إلى سورية بمجرد الوصول . ولكن عائقاً ما في بغداد حال دون وصول الخبر . ويبدو ان من تم الاتفاق معهم لتسهيل أمر وصول العائلة إلى الموصل وإلى منظمة الديمقراطي الكردستاني ، لم ينفذوا التزاماتهم . وبعد تأخير امتد فترة تزيد بعض الشيء على الشهر ، اتخذتْ أم سعد قرارها بتحمل مسؤولية الوصول إلى الموصل مع الأطفال بمساعدة أحد الأصدقاء الذي أوصلهم بسيارته إلى هناك ، حيث بدأت أم سعد اتصالاتها للاستعانة بالإخوة في قيادة الديمقراطي الكردستاني الذين كانوا قد وعدوا سابقاً بتقديم ما يلزم من مساعدة لإيصال العائلة إلى دمشق . وأخيراً اهتدت إلى السيد فاضل مطني ، الكادر المتقدم حينها في الديمقراطي الكردستاني وعضو المكتب السياسي للحزب حالياً الذي قدم مشكوراً خدمة لا تعوَّض إلى عائلتي في طريقها من الموصل إلى دمشق .

ولقد سلكت العائلة في طريقها نحو الأراضي السورية المتاخمة للأراضي العراقية وسائط النقل البرية حتى آخر قرية كردية على الجانب العراقي من الحدود . وعندما اكتمل غياب القمر ليلاً وعمَّ الظلام استخدم الأدلاء العتمة لكي يتحركوا مع العائلة نحو الأراضي السورية . فأحضروا حصاناً وضعوا عليه متاع العائلة وأردفوا فوقه كلا من يسار وسعد . ومن سوء الصدف فإن الأرض التي قطعوها سيراً نحو الهدف كانت كثيرة الأشواك والنباتات ، فبلغ الإنهاك مبلغه لدى أم سعد التي لم تكن قد مرت بتجربة مثل هذه . وكان الطفلان سعد ويسار وهما يشاهدان أمهما تمشي وتتعثر ويكاد شهيقها ينقطع بين فترة وأخرى ، لا يلبثان ان ينفجرا بالبكاء إشفاقاً على أمهما من جهة ، ورهبة من هذه المسيرة الليلية الموحشة التي لم يألفوها من قبل من جهة اخرى ، كما روت لي ام سعد فيما بعد .

على كل حال بعد جهد جهيد ومعاناة في الطريق ، امتدت حوالي ثلاث ساعات وصل الركب أخيراً إلى القرية السورية وبدأوا يتنفسون الصعداء مؤملين أنفسهم بأخذ قسط من الراحة في ذلك البيت الريفي البسيط والنظيف . غير ان جحافل البعوض لم تترك لهم فرصة النوم الهنيء ، فراحت أم سعد تهش عنهما البعوض كي يسترقا بعض لحظات من النوم . وبعد ذلك نقلت العائلة بمساعدة مضيفيها إلى مدينة القامشلي حيث أقامت هناك مدة تقارب اسبوعا ، تمتعوا خلالها بإقامة طيبة لدى مضيفيهم الكرماء .

بعد أيام استأجر مرافقهم سيارة أقلتهم عبر مدينة حلب وحماة وحمص حتى دمشق . وماهي إلا سويعات من الانتظار في فندق الجامعة العربية حيث كنتُ أقيم ، حتى اكتمل عقد العائلة وبذلك انتهت مرحلة عصيبة من حياة العائلة لكي تتهيأ لمواجهة ما تخبئه الأيام من جديد .

مكثنا عدداً من الأيام في الفندق الذي التقينا به ، ولكني كنت أفكر بطريقة توفر لنا بعض النفقات لاسيما وأن ما كان معنا من مال لا يكفي لأكثر من شهرين . فاستعنت ببعض الأصدقاء في المقاومة الفلسطينية للحصول على هوية أستطيع استعمالها للمرور عبر الطريق العسكري الذي كانت تستخدمه المقاومة الفلسطينية للذهاب إلى بيروت علماً بأني والعائلة لم نكن نملك أية وثيقة يمكن ان تساعدنا في السفر بين سورية ولبنان أو أي مكان آخر .

## الرحلة إلى اليمن

ذهبت إلى لبنان مرات عديدة بهدفين : الهدف الأول الحصول على وثيقة سفر من إحدى الدول العربية نستطيع استعمالها في التحرك . والهدف الثاني هو استطلاع إمكانية الإقامة والعمل في لبنان . ولقد حصلتُ على جوازي سفر

من دولة اليمن الشمالي ، عن طريق الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . فاستطعت بهما الانتقال من سورية إلى لبنان . وفي لبنان استأجرنا غرفة مع مرافقها بمبلغ ١٠٠ ليرة لبنانية في الشهر .

ولما كانت المدارس قد فتحت ابوابها للسنة الدراسية ألحقنا كلا من سعد ويسار في إحدى مدارس الجبهة الشعبية في برج البراجنة لكي يتجنبا خسارة المزيد من السنوات الدراسية . ولكن المدرسة كان برنامجها باللغة الإنكليزية ، الأمر الذي تسبب في تأخر كل منهما سنتين دراسيتين . وهذا ما أقلق الأم على مستقبل أولادها ، وكانت تنحو عليّ باللائمة فيما يتعلق بمستقبل الأولاد .

لذلك ما ان تلقيت عرضاً من صديق كان يعمل مسؤولاً لمكتب الجبهة الشعبية في عدن في اليمن الجنوبي للحصول على عمل في التدريس حتى وافقت فوراً لاسيما وان لدينا جوازي سفر يمنيين شماليين . فاقترضت ثمن تذاكر السفر من صديق عزيز . وكان هو الآخر يعمل طياراً في اليمن الجنوبي . فأخذت طائرة الخطوط الجوية اليمنية الجنوبية التي تقلع اسبوعياً من بيروت مروراً بالقاهرة إلى عدن . وكانت الطائرة من النوع القديم تكاد تشعر وأنت على متنها بأنها على وشك ان تتفكك من كثرة الضجيج وأصوات الأبواب وزعيقها . ومع ذلك فقد حمدنا الله على وصولنا سالمين إلى عدن .

وكان على متن الطائرة وفدٌ من الجبهة الشعبية أبى عند وصولنا إلا ان انزل معهم في فندق كريسنت (الهلال) وهو من فنادق الدرجة الأولى . ولكن ما ان حل اليوم الثاني حتى انتقلت إلى فندق شعبي في شارع خور مكسر قريباً من مكتب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

ولقد التقيت أيضاً في عدن حينذاك الصديق ماجد عبد الرضا الذي كان يعمل ممثلاً عن الحزب الشيوعي العراقي في معهد الدراسات الماركسية

اللينينية الذي أنشأه وأداره خبراء سوفييت ، لتدريس المكونات الرئيسية للنظرية الماركسية اللينينية . فاستقبلني بترحاب كبير وتحدث بشأن تعييني في التدريس مع وزير التعليم الشيوعي باذيب . فصُدِر أمرٌ من وزارة التعليم بتعييني مدرساً للاقتصاد السياسي في ثانوية خور مكسر . اذ كانت مادة الاقتصاد السياسي ضمن المواد التي أدخلت حديثاً في مناهج الدراسة في اليمن الجنوبي ، ولم تكن تتوفر كتب لتدريس المادة لاسيما وان الدولة والحزب الحاكم ، الحزب الاشتراكي اليمني ، تبنيا وجهة النظر الماركسية في العلوم الاجتماعية . بعثت أخبر العائلة للالتحاق بي . فوصلوا وسكنوا معي الفندق فترة من الزمن .

في أحد الأيام كان الصديق عبد الإله النصراوي في زيارة إلى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية . فاتصل بي واقترح عليّ ان نزور سوية وزير الإعلام عبد الله الخامري في مقر وزارته . وخلال اللقاء طلب النصراوي من الخامري ان يسعى للحصول على دارٍ أسكنها مع العائلة . فما كان منه إلا ان فعل . وحصلنا على دار ملحقة بمدرسة ابتدائية في منطقة (كريتر) . وكانت مع الدار أرض واسعة فيها عددٌ من الأشجار المثمرة ، فحولناها إلى حديقة ملحقة بالدار . أدخلنا الأولاد إلى المدارس ، كما وجدت أم سعد عملاً في المدرسة القريبة من دارنا .

في أحد الأيام استدعيت إلى اجتماع يعقد في الأمانة العامة للحزب الاشتراكي وكان الاجتماع برئاسة الأمين العام حينذاك الرفيق الراحل عبد الفتاح اسماعيل ، ووزير التربية ومدير المناهج والبرامج الدراسية في الوزارة ، إضافة إلى اثنين من خبراء المانيا الديمقراطية واثنين من السوفييت يمثلون معهد الدراسات الإشتراكية . وكان الاجتماع مخصصاً لمناقشة ورقة كانت قد أعدت لإعادة النظر في البرامج والمناهج الدراسية للعلوم الاجتماعية

ولاسيما الاقتصاد السياسي والتربية الوطنية .

وقد اسفر الاجتماع عن تكوين لجنة لإعادة النظر في المناهج واقتراح المناهج الجديدة التي سيؤخذ بها . ودخلت عضواً في اللجنة التي ضمت وزير التربية ومدير المناهج في الوزارة إلى جانب أحد الخبراء السوفييت وآخر من المانيا الديمقراطية .

وفي أعقاب عدد من الإجتماعات التي عقدتها اللجنة ، كُلفتُ من قبل وزير التربية واللجنة بوضع كتيب لتدريس الاقتصاد السياسي وعدد من الكتيبات الأخرى التي تبحث في التربية الاجتماعية وذلك اعتماداً على كوني اتقن اللغتين العربية والروسية . ولقد استغرق تأليف وإعداد هذه الكتيبات وقت العطلة الصيفية .

بعد ذلك أي عند بدء السنة الدراسية الجديدة تشعبت الأعمال التي كلفت بها . فمن محاضرات في معهد الدراسات الاجتماعية إلى ندوات فكرية وسياسية أو محاضرات في التلفزيون أو التدريس في المدارس الثانوية بحيث امتلأ وقت فراغي وبدأت تتشعب علاقاتي مع المسؤولين اليمنيين ابتداءً من وزارة التربية حتى مكتب رئاسة الوزارة ورئاسة الجمهورية .

وتحسن وضعي المادي نسبياً فاستطعت ان أقتني سيارة نستخدمها في قضاء ما ينشأ لدينا من فراغ في الوقت بالاستجمام على شواطيء البحر في عدن ولاسيما في منطقة التواهي حيث السباحة هي الهواية الوحيدة التي يمكن ان يمارسها المقيم في تلك البلاد . ولقد شعرت العائلة مرة أخرى بنعمة الاستقرار لاسيما وان أهل عدن أناس محببون إلى النفس ، بسطاء ، يقيمون أفضل العلاقات مع العرب والأجانب ويتزاورون معهم ، الأمر الذي كانت تشعر فيه العائلة بسعادة دافقة كنا ننسى أحياناً أيام بغداد فيها .

في ظهيرة يوم من أيام الصيف ، وكنت في طريقي مع العائلة للاستحمام

في البحر ، سمعت خبراً من جهاز الراديو في سيارتي يفيد ان وفداً عراقياً من شخصيتين هما عبد الخالق السامرائي عضو القيادة القومية لحزب البعث في العراق وعضو مجلس قيادة الثورة العراقي ، والرفيق عامر عبد الله ، القيادي الشيوعي المعروف ، قد وصلا إلى عدن في مهمة سياسية للوساطة بين جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وجمهورية اليمن الشمالي ، للتوسط من أجل حل النزاع المسلح بين البلدين في الشمال والجنوب . وفي طريق عودتي من البحر فكرت بأن أعرج على دار الضيافة الحكومية التي لا تبعد كثيراً لألتقي الرفيق عامر عبد الله وأسلم عليه .

فالتقيته وطلبت منه ان لا يخبر عبد الخالق السامرائي بحضوري للسلام عليه . فقال " ماالذي تتحدث به إذ بينما نحن في طريقنا في الطائرة إلى عدن أخبرني عبد الخالق بأنك موجود في عدن وحبذا لو أتيحت لنا فرصة للقائك في هذه المناسبة " . واردف عامر قائلاً : "إنه الآن على وشك الدخول إلى قاعة الاستقبال للالتقاء بنا" . فدخل عبد الخالق وسلمنا على بعض وجلست معهما باقتراح منهما ليستشيراني في الأوضاع اليمنية وفي الطريقة التي أراها مناسبة للتوسط بين الطرفين . فأدليت ببعض الملاحظات السريعة معلقاً أني الأن بعيد عن السياسة وأهتم بقضايا العلم . فضحكنا .

وبينما هما يعلقان على كلامي بـ " أنك مستحيل ان تبتعد عن السياسة وإن فعلت فهي لن تبتعد عنك" ، دخل القائم بأعمال السفارة العراقية ظافر السامرائي قاعة الاستقبال . فبادره عبد الخالق وقال له : "هذا أبو سعد صالح دكلة . . كيف تخفوه عنا ؟" . فقال أنا أسمع بوجوده في عدن ولكني لم أره إلا هذه اللحظة رغم إني قد التقيت مرات عديدة في الشارع بزوجته انعام العبايجي جارتنا في بغداد وصديقة أخواتي .

ذهب الوفد إلى صنعاء وعاد فالتقيتهم مرة أخرى وعرض عبد الخالق ان

أعود معهم والعائلة على الطائرة التي ستقلهم إلى بغداد . اعتذرتُ وقلتُ : " ماهي الضمانة لكي يبقى رأسي معتدلاً على جسمي ، وناظم كزار موجود في بغداد يحمي أمن العراق ؟ " . وأخبرته انني لن أعود إلى بغداد وناظم كزار موجود فيها . وإذا كانت هناك إمكانية للتسوية ، فإن لي رغبة في ان أتفرغ للعمل الفدائي . وحين يصلني كتاب بالتفرغ للعمل الفدائي ، سألتحق بالعمل الفدائي وسأفكر في ان أزور بين فترة وأخرى بغداد ثم ودعتهما وذهبا في سبيلهما .

## العودة إلى بغداد

بعد فترة تسلمت رسالة من عامر عبد الله يخبرني فيها بأن قراراً صدر من مجلس قيادة الثورة ، كما أخبره عبد الخالق السامرائي ، بتفرغي بكامل راتبي في الشركة العامة للمقاولات الإنشائية ، للعمل كمتفرغ في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

تشاورت في الأمور مع أم سعد وقررتُ عدم اتخاذ موقف بالموافقة الآن طالما ان ناظم كزار على رأس جهاز الأمن العراقي . واقترحت عليها بعد ان أصدرت السفارة العراقية في عدن لنا جوازات سفر عراقية ان تذهب في زيارة هي وحدها دون الأولاد إلى بغداد لتستطلع الأمور . فحجزت لها بالطائرة من عدن عبر الكويت إلى بغداد . وما هي إلا أيام حتى اذيعت أنباء من بغداد تفيد بأن ناظم كزار المدير العام لجهاز الأمن العراقي وعدداً من أعوانه تورطوا في محاولة لاغتيال رئيس الجمهورية في مطار بغداد عند وصوله قادماً من العاصمة البلغارية صوفيا ، حيث كان في زيارة لبلغاريا .

وتواترت الأنباء عن ان ناظم كزار ، بعد فشل محاولته ، احتجز عدداً من الرهائن بينهم وزير الدفاع حماد شهاب ووزير الداخلية سعدون غيدان

وآخرون من كبار المقربين إلى رئيس الجمهورية وفر بهم خارج بغداد حيث قُتل وزير الدفاع حماد شهاب وأصيب وزير الداخلية بجراح في يده اليمنى . وحين أيقن ناظم كزار من فشل محاولته ، استسلم للسلطات وتم إعدامه مع عدد من أعوانه المشاركين في المحاولة . وبذلك أزيح العائق الرئيسي الذي كان يحول دون عودتي إلى بغداد .

تسلمت إشعاراً من أم سعد وقررت على اساسه اصطحاب الأولاد معي من عدن إلى بيروت حيث أمضينا بضعة أيام . بعدها سافرنا إلى دمشق ومنها أخذنا سيارة عبر طريق أبوشامات- الرطبة ، إلى بغداد .

غير إن جهاز الأمن في الرطبة أوقفني عن السفر إلى بغداد بحجة ان قراراً بمنع السفر قد صدر بحقي . فقلت لهم : "أنا لا أريد السفر ، وإنما العودة إلى بغداد فكيف تمنعوني" . وبعد أخذ ورد وبعد ان تصدع الأولاد من تأخيري ، سمحوا لي بالعودة إلى بغداد .

التحقنا بأم سعد ، وكانت مقيمة حينذاك في دار شقيقتها ناهدة زوجة حسين الكمر . وصادف في تلك الأثناء انتشار حوادث ما عرف في وقتها بـ (جرائم أبو طبر) . فكان الناس قلقين يقومون بتبادل حراسات الدور خوفاً من مجرم انتشرت أخباره في بغداد يعمد إلى قتل ضحيته بعد الاعتداء عليها . ولم تكن أجهزة السلطة بعيدة عن هذا الموضوع الذي أشاع الرعب والهلع بين أوساط الناس . إذ اتخذت السلطات من فرصة انتشار جرائم أبو طبر مناسبة لدخول منازل الناس وإجراء إحصاءات أمنية لسكانها وظفتها لخدمة أجهزة المخابرات .

### محاولة الإستقرار مرة ثانية في بغداد

كان علينا بعد ان قررنا الاستقرار في بغداد ، ان نبدأ من جديد في

استئجار دار وفي شراء كل ما تستلزمه هذه الدار من أثاث ، بدايةً من الكرسي وحتى الثلاجة والغسالة .

ولما كان قد صدر قرار بتفرغي للعمل في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، صرفتْ الشركة العامة للمقاولات رواتبي المتراكمة ، فتوفر لدي مبلغ يقرب من ألفي دينار ، استطعت به ان استأجر داراً وأن نؤثثها في منطقة السيدية القريبة من مفرق الدورة .

وبعد ان ترتبت أوضاع العائلة والتحق الأولاد بمدارسهم ، تهيأتُ للسفر إلى لبنان للالتحاق بعملي مع الجبهة الشعبية كمحرر في مجلة الهدف ومحاضر في بعض الموضوعات السياسية والفكرية . فاستمر عملي على هذا النحو منذ عام ١٩٧٤ حتى عام ١٩٧٨ حيث انشأت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مدرسة للكادر يتلقى فيها المتعلمون دروساً في الفلسفة والاقتصاد السياسي وحركات التحرر الوطني العربية والعالمية . وكنت فيها المحاضر الوحيد قبل ان تستعين الجبهة الشعبية برفاق يحاضرون في مادتي الفلسفة والحركة العمالية العربية والعالمية من الحزب الشيوعي بعد ان رشحتهم لهذه المهمة .

ولم يقتصر نشاطي في الجبهة على المحاضرات ، بل شمل أيضاً الكتابة في مجلة (الهدف) الناطقة باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، فضلاً عن بعض الندوات والمحاضرات التي كنت القيها على قيادة الجبهة الشعبية .

خلال تلك الفترة كنت أزور الأهل في بغداد بين فترة وأخرى وكلما سنحت الظروف لاسيما في مناسبات الأعياد . وفي ربيع عام ١٩٧٨ وكانت العلاقات بين الحزب الشيوعي العراقي والنظام قد تدهورت إلى حد كبير على أثر إعدام الحكومة العراقية حوالي ٣٠ من العسكريين الشيوعيين بحجة العمل السياسي في صفوف القوات المسلحة ، أخذتُ طائرةً من بيروت إلى بغداد وبالصدفة ، كان اثنان من كوادر الجبهة الشعبية على نفس الطائرة في زيارة

لبغداد . وما ان تقدمتُ إلى ضابط الجوازات ليختم جوازي ، حتى طلب مني ان أتنحى جانباً . وتبين فيما بعد انه أمر باعتقالي ، هذا في الوقت الذي كانت فيه زوجتي وصديقنا عبد علوان الطائي قد حضرا لاستقبالي ونقلي بسيارته إلى الدار . فأخذني رجال الأمن إلى موقف مديرية الأمن العامة مخفوراً والقوني في زنزانة الاعتقال مع الآخرين .

من جانب آخر ، لم تضيع زوجتي التي شاهدتْ عملية اعتقالي مزيداً من الوقت ، فذهبتْ برفقة بشرى عبد علوان الطائي إلى مكتب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تعلمهم بالخبر ، غير إنها لم تجد مسؤول مكتب الجبهة الشعبية وكان حينذاك الرفيق ماهر ، الناطق الرسمي بإسم الجبهة حالياً . فاستعانت بالحارس الذي دلها على بيت ماهر الذي قام بدوره بالاتصال فوراً بقيادة الجبهة الشعبية في لبنان وتم الاتصال بالرفيق جورج حبش الذي قام بدوره بالاتصال بمكتب الشؤون الفلسطينية في القيادة القومية يخبرهم فيها باعتقالي ويؤكد لهم ان ليس ثمة من مبرر على الإطلاق لهذا الاعتقال لاسيما وان صالح دكلة متفرغ بقرار من القيادة القومية لحزب البعث للعمل في الجبهة الشعبية وان الجبهة راضية عنه وتعتز بمشاركته . ( كما أضمن انه لا يقوم بأي نشاط ضد الحكومة العراقية ) .

في صباح اليوم التالي ، نودي عليّ ، فالتقيتُ مع أحد مسؤولي الأمن وراح يعتذر كما في كل مرة ، لأن سوء فهم حصل معي وان المقصود هو شخص آخر . وراح يسألني عن مجلة الهدف وكيف انه قرأ بعض مقالاتي فيها . بعدها أطلقوا سراحي ، فذهبت إلى الدار وتفاجأ الأطفال بقدومي في وقت كانوا يعرفون فيه أني كان يفترض بي ان أصل إلى بغداد في الليلة السابقة ، لكن أمهم كتمت خبر اعتقالي عنهم بحجة ان الطائرة قد تأخرت .

## تأسيس حزب العمل العراقي

نزلتُ إلى بغداد وكنتُ قد جلبتُ معي جواز سفر لبنانيا ليستخدمه بهاء الدين نوري الذي لم يكن بمقدوره الحصول على جواز سفر رسمي . وكنت على اتفاق مع آرا خاجادور وبهاء الدين نوري على إيجاد صيغة لتنظيم سياسي معارض لحكم البعث . وجواز السفر هذا ليستعين به بهاء على مغادرة العراق . كان الجو السياسي مدلهماً بسبب إعدام العسكريين الشيوعيين .

واصلنا أنا وبهاء الدين وآرا خاجادور مناقشة فكرة قيام تنظيم جديد يطرح برنامجاً معارضاً لبرنامج الحزب الشيوعي خاصة وإن كلاً من بهاء الدين نوري وآرا خاجادور كانا يعارضان سياسة حزبهما في التحالف مع البعث . من حيث المبدأ وافقت أنا على فكرة قيام تنظيم معارض لحكم البعث ولكنني لم استسغ ان يكون هذا التنظيم معارضاً للحزب الشيوعي . إذ أن ذلك يدخلنا في دوامة صراع لا مبرر له مع الحزب الشيوعي في حين ان هدفنا هو معارضة حكم البعث . واتفقت معهما على موعد نلتقي فيه خارج العراق لنُخرج هذه الفكرة إلى حيز التطبيق . بعد فترة عشرة أيام ، قضيتها مع العائلة ، عدتُ إلى بيروت ولكن بقرار نهائي ان لا أعود إلى بغداد .

عقدنا الاجتماع الذي اتفقنا عليه بعد ان تمكن الرفيقان بهاء الدين نوري وآرا خاجادور من مغادرة العراق . كان الاجتماع في بلغاريا واتفقنا على الخطوط الرئيسية للبرنامج واستقر الرأي على اختيار اسم الحزب فكان " حزب العمل العراقي" . واتفقنا على إصدار صحيفة تنطق باسم الحزب وخططنا انه بمجرد إعلان الحزب وبرنامجه ، سنعمل على توفير المستلزمات الضرورية لخوض الكفاح المسلح ضد حكم البعث .

بدأنا نجمع الرفاق والعناصر ، سواءً ممن هم في داخل الحزب الشيوعي أو العناصر المتحمسة للفكرة من خارج الحزب الشيوعي . شرعنا في توفير

السلاح وخزنه والقيام بالاتصالات لذهاب المجموعة الأولى للكفاح المسلح .
في هذه الاثناء أي في عام ١٩٧٩ تردّت العلاقة بين الحزب الشيوعي وحزب البعث الحاكم ووصلت حد القطيعة ، فاعلنت قيادة الحزب الشيوعي انتقالها إلى معارضة النظام . وحدث ذلك الخروج الكبير من داخل العراق إلى خارجه .

عندها اجتمعنا نحن الثلاثة وناقشنا الوضع الجديد بعد ان نشأ عامل هام ، وهو خروج الحزب الشيوعي إلى المعارضة وكان المطروح أمامنا : هل نستمر بصيغتنا الجديدة في الاعتماد على التنظيم الجديد وهو تنظيم ناشيء وإمكانياته محدودة ، أم الأفضل ان يضيف الرفيقان بهاء الدين نوري وآرا خاجادور إمكاناتهما إلى إمكانات الحزب ويعملان ضمن قيادته ؟ فضلنا ان يستمر (حزب العمل) كصيغة سياسية معارضة وتحشد كل الجهود الباقية في إطار معارضة الحزب الشيوعي للحكم وفي جهده العسكري العام .

واصلنا نحن في حزب العمل في إصدار الصحيفة والبيانات وفي مساعدة الحزب عن طريق بهاء الدين نوري وآرا خاجادور بتزويده بالمساعدات الضرورية من اسلحة واجهزة كنت أحصل عليها بحكم علاقتي بالجبهة الشعبية ، بما في ذلك المال .

وعندما أُفتُتِحتْ أول قاعدة عسكرية للشيوعيين على الحدود العراقية -التركية ، كنتُ أول من اوصل إليهم وجبةً من السلاح . وقد رافقني في هذه الرحلة التي جمعنا فيها بعض قطع السلاح والمسدسات والقنابل اليدوية وحملناها مخبأة في سيارة المرسيدس التي اشتريناها لهذا الغرض ، الرفيق إبراهيم الحريري . وقطعنا بالسيارة التي انطلقنا بها من بيروت الأراضي السورية والأراضي التركية حتى دخلنا بعض الأراضي العراقية الحدودية حيث افرغنا الشحنة وعدنا إلى بيروت .

في المرة الثانية جهزنا سيارة إمريكية بمخبأ كبيـر ، شحنا فيه كمية أكبر من السلاح بضمنها ٢٢ قطعة كلاشنكوف وكمية كبيرة من العتاد والقنابل والمسدسات وأوصلناها إلى مدينة ماردين في تركيا حيث أفرغنا حمولتنا في دارٍ خُصصت لهذا الغرض . وفي هذه الرحلة كان يرافقني أحد مناضلي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . وكانت الرحلة اسهل لأنها لم تتطلب قطع الأراضي التركية والدخول إلى الأراضي العراقية ، بل اكتفينا بإيصال السيارة إلى مدينة ماردين الحدودية في تركيا القريبة من مدينة القامشلي السورية حيث كان بانتظارنا أحد مناضلي الأحزاب التركية- الكردية . فانزلنا الحمولة في بيت خاص كان الحزب الشيوعي العراقي قد استأجره هناك . ومن هناك تولى أصدقاء الحزب الشيوعي العراقي من الأحزاب الكردية التركية ، إيصال شحنة الأسلحة إلى المواقع العسكرية للحزب الشيوعي في الأراضي العراقية .

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى اننا خسرنا كميات من الأسلحة والمال وسيارة نقل بسبب سوء تدبير الرفيق بهاء الدين نوري الذي اتفق مع بعض المهربين الذين وجدوا فرصة في مصادرة كمية كبيرة من بنادق الكلاشنكوف وأسلحة أخرى . . وقد شعرنا بإحراج كبير أمام قيادة ج . ش . التي كانت تقدم لنا كل هذه المساعدات عندما وصل إلى علمها مصير السلاح الذي تبرعت به لنا . .!

على صعيد نشاطنا في حزب العمل ، أقمنا علاقات تحالف وتنسيق مع كل من المرحوم هاشم علي محسن الذي كان الأمين العام لحزب العمل الاشتراكي في العراق ومع الصديق عبد الإله النصراوي الأمين العام للحركة الاشتراكية العربية . وبعد مداولات ومشاورات أصدرنا بياناً يحمل اسم (وحدة القوى الوطنية والقومية الديمقراطية) ، صدر في بيروت واحدث ضجة في اوساط المعارضة العراقية التي كانت قد توصلت في حينها إلى اتفاق

تحالفي عُرِف باسم الجبهة الوطنية والقومية الديمقراطية (جوقد) ، استبعد من صفوفه الحزب الديمقراطي الكردستاني ومن ثم استبعد الحزب الشيوعي العراقي بسبب إبرامه إتفاقاً ثنائياً مع الديمقراطي الكردستاني .

## الإيفاد إلى إيران

لغرض الإسهام في نشاط المعارضة العراقية التي كانت تتخذ من بعض الأراضي الإيرانية عام ١٩٨٠ منطلقاً لها في ممارسة نشاطها المعارض وعملياتها العسكرية ضد قوات النظام اثناء الحرب العراقية الإيرانية ، فقد اتفقت أطراف وحدة القوى الديمقراطية والقومية التي دخلنا طرفاً فيها ، إلى جانب الحركة العربية الاشتراكية ، وحزب العمل الاشتراكي العربي ، على إيفادي إلى طهران للالتقاء بقيادة الثورة الإيرانية والقيادات العراقية المتواجدة على الأراضي الإيرانية .

وعند وصولي إيران حاولتُ الاتصال بآية الله منتظري وذلك بلقاء ولده سماحة الشيخ محمد المنتظري وهو من بين النشطاء الذين كانوا يجمعون حولهم لفيفاً من الشباب الإيراني المسلم من ذوي النزعات الثورية وذلك تمهيداً للقاء الوالد . ولكن حادثة مقتله مع مجموعة من رجال الثورة الإيرانية بينهم رئيس الوزراء ، قد حالت دون ذلك .

ومن بين قيادات المعارضة الإسلامية العراقية في إيران ، التقيت مع السيد الهاشمي الذي كان وقتها رئيساً للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق . كذلك التقيت عدداً آخر من القيادات الإسلامية لاسيما مرشد منظمة العمل الإسلامي وقادة آخرين أمثال السيد المدرسي .

واستثمرتُ وجودي في إيران لزيارة بقية قيادات المعارضة العراقية الكردية والعربية . فتوجهتُ إلى شرق إيران حيث اذربيجان الإيرانية عبر

بحيرة أورومیا حتى الحدود العراقية الإيرانية . فالتقيتُ الأخ مسعود البارزاني في منطقة راجان القريبة من مدينة الرضائية واستشرته في إمكانية مساهمة منظمة (وحدة القوى الديمقراطية والقومية) في النشاطات المعارضة التي تخوضها بعض قوى المعارضة . فأبدى استعداده مشكوراً لتقديم العون المناسب .

ثم توغلتُ إلى داخل الحدود العراقية المتاخمة إلى إيران فزرت مقرات الحزب الاشتراكي الكردستاني والتقيت المرحوم الرفيق رسول مامند . كما زرتُ مقرات الحزب الشيوعي العراقي والتقيت بعدد من قياديي الحزب بمن فيهم الرفيق عمر علي الشيخ عضو المكتب السياسي والرفيق كريم أحمد وكذلك الرفيق بهاء الدين نوري .

ثم قفلتُ راجعاً حيث التقيت في طهران بسماحة السيد محمد باقر الحكيم الذي أصبح فيما بعد رئيساً للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق . ولقد سألت في طهران بعض القيادات الإسلامية ذات العلاقة بالأجهزة الإيرانية عن إبن أخ لي أسير في إيران . فلم أحصل على أي جواب وظلت اخباره مقطوعة عن أهله في العراق حتى الوقت الحاضر .

### الغزو الإسرائيلي لبيروت

في الأول من حزيران ، في صيف عام ١٩٨٢ اجتاحت القوات الإسرائيلية الغازية الأراضي اللبنانية ووصلت في اليوم الأول من غزوها نهر الليطاني شمال مدينة صور . فاضطرت بعض قوات المقاومة الفلسطينية التي فاجأها الهجوم ان تنقطع وراء بعض خطوط القوات الإسرائيلية ، في حين استطاعت قوات أخرى الانسحاب بعد إبداء مقاومة شديدة ولكنها غير متكافئة بسبب ان القوات الإسرائيلية المهاجمة تعتمد في الأساس على سلاح

الدبابات ووسائط النقل المدرعة . وبعد اسبوع استطاعت القوات الإسرائيلية الاقتراب من العاصمة اللبنانية بيروت من محورين : محور خلدة-الأوزاعي ومحور الأشرفية-المتحف ، حيث كانت تزج بمزيد من الدبابات التي كانت تواجه مقاومة شرسة من المقاومة الفلسطينية ومن الشباب اللبناني .

كنتُ أثناءها موجوداً في مكتب عمليات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مع الرفيق أبو عذاب أحد المسؤولين العسكريين للجبهة وهو ضابط برتبة رائد تخرج في الكلية العسكرية في بغداد ويخدم في إطار الحركة الفلسطينية وفي الجبهة الشعبية تحديداً والرفيق عبد الرحيم ملوح عضو المكتب السياسي للجبهة .

أذكر مرة ان الطائرات الإسرائيلية قصفت بالقنابل منطقة الفاكهاني التي يقع فيها مكتب عمليات الجبهة حيث يحتل المكتب كل الطابق الأرضي- السرداب مع العديد من أجهزة الاتصال واللاسلكي . وكنا حينها ، أبو عذاب وأنا في المكتب ، فإذا بكل الأجهزة تهتز وتغير مواقعها . أما المكيفات فكانت تخرج متحركة من الحائط وتعود إليه من شدة الضغط الذي أحدثته الضربة ودون إرادة منا ، كنا ونحن نسد آذاننا بأيدينا نصرخ من شدة الألم . ويبدو ان هذه الحادثة قد أثرت فيما بعد على جهاز السمع لدي . إذ صرت أعاني من صفير مستمر في الآذان ووشوشة مزعجة تختلط مع الأصوات التي أسمعها ثم تطور الأمر لدي إلى إنخفاض ملحوظ في قدرتي على السمع لم تنفع معه كثرة المراجعات الطبية .

ولغرض تقوية معنويات المقاتلين ، كان الرفيق جورج حبش رغم الإعاقة الجزئية التي تعرض إليها اثر نوبة قلبية وسببت له صعوبة الحركة ، حريصاً على ان يكون بين المقاتلين يمدهم بالقوة ويشعرهم انه معهم في كل الأوقات ولاسيما الأوقات العصيبة التي يمرون بها تحت القصف الإسرائيلي الوحشي .

وكان كثيراً ما يستصحبني في هذه الزيارات قائلاً ان الرفاق يودونك ويرتاحون لوجودك .

حدث ذات مرة ونحن في مخيم شاتيلا ان اجتمع كثير من سكان المخيم في مسجده وراح الرفيق جورج يلقي عليهم كلمة بمناسبة هذا الغزو الهمجي ويدعو إلى الصمود ، مؤكدا ان الصمود وحده الكفيل بدحر عنجهية الغزاة الإسرائيليين . وجاء بعدها دوري لألقي كلمة مناسبة في هذا الحشد الذي راح يعرب عن ارتياحه ورضاه كون بعض القيادات الفلسطينية ولاسيما قيادة الجبهة الشعبية لا تترك مجالاً إلا وأشغلته لمشاركة الجماهير الفلسطينية في الملمات وفي الأوقات العصيبة .

بعد ان أحكم الإسرائيليون الطوق حول بيروت وصار احتلالها وخروج المقاومة منها قضية وقت ، بدأ العديد من قادة الجبهة يلحون عليّ بمغادرة بيروت إلى دمشق وأنا أمانع وأفضل البقاء وأكمل المشوار إلى آخره . وحجتهم في ذلك ( ما الذي يمكن ان تصنعه مع المقاتلين ) ، في حين انك تستطيع العمل أكثر في ظل ظروف أخرى كما لو انك كنت تفعل ذلك في الميدان العسكري .

وعندما أصبح الخروج مؤكداً ، على كل حال ، من لبنان وهو قضية وقت ، ركبت سيارتي وحملت معي ما خف من الأشياء واتجهتُ مع زوجتي أم سعد إلى المنطقة الشرقية من بيروت حيث المليشيات المسيحية- الكتائب وغيرها هي المسيطرة . وقام أحد اصدقائي اللبنانيين (علي بوهمين) وهو أخ العقيد محمد بوهمين ، باللحاق بي ومراقبة سيارتي خوفاً من أي اعتراض أو مكروه يقع لي وأنا أمر على حواجز المليشيات الكتائبية .

توقفنا عند الحاجز الكتائبي لغرض التفتيش فلم يلحظوا لدينا شيئاً يلفت النظر ولكن عندما اختلى فريق التفتيش المتكون من نساء لتفتيش

ملابس أم سعد ، نفضت إحداهن الحقيبة اليدوية التي معها ، فوقعت رزمة نقود لبنانية ، فسألتها ما هذه ؟ أجابت إنها نقود بعث بها أحد الأصدقاء إلى ذويه في دمشق . ولكن المرأة اكتشفت بين رزمة النقود ورقة صغيرة مكتوب فيها نبعث لكم المبلغ من الرفاق في منظمة فلسطينية وسنوافيكم تباعاًعن رفاقنا في تشيكوسلوفاكيا وتفاصيل أخرى تؤدي بحاملها إلى التهلكة . فوضعت الورقة فوق النقود وراحت المرأة الكتائبية تخبر المسؤولين بالموضوع . اثناء ذلك انتبهت أم سعد فأخذت الورقة مستغربة من وجودها مع النقود وخبأتها في صدرها . وما إن ركبنا السيارة حتى جاءأحد الضباط واتجه إلينا طالباً الورقة فأجابته أم سعد أنها بقيت عند الآنسة التي تولت تفتيشها ، فأشار بالانصراف ، مشيراً لأم سعد بارتداء ملابسها والتوجه إلى السيارة . . مما أذهل أم سعد غير مصدقة أننا قد نجونا . .

وملخص قصة النقود والورقة ان معتمد منظمة الحزب الشيوعي في لبنان عندما عرف اني ذاهب إلى دمشق ، عرض ان يبعث معي رسالة إلى الرفيق فخري كريم الذي كان آنذاك في دمشق . فاعتذرتُ عن حمل أية رسالة لاسيما ونحن سنتعرض إلى التفتيش من مليشيات الكتائب في الأشرفية . وقلتُ له ( إذا أردت شيئاً يمكن ان أنقله شفاها ) ، فقال : ( إن ثمة بعض النقود خذها معك وسلمها إلى الرفيق فخري ) . فأكدت عليه ان لا يضع في مظروف النقود أي شيء آخر ، مثلاً ، رسالة أو ورقة . وحصل ماذكرته آنفاً عند الحاجز الكتائبي أثناء تعرض أم سعد للتفتيش ولولا ملابسات اختفاء الورقة وشدة الازدحام عند الحاجز الكتائبي وارتباك الضابط والفتاة الكتائبية ، لكنا اعتقلنا وذهب دمنا هدرا لمجرد ان بعض الرفاق لم يكونوا على جانب كاف من الشعور بالمسؤولية إزاء أرواح الآخرين . .

# ملاحق

## ملحق رقم ١

## النقد الذاتي للرفيق (ثامر) محمد حسين أبو العيس

## حول الكتلة الانتهازية المعادية للحزب.

سكرتارية اللجنة المركزية/ تحية رفاقية .

بعد انتهاء مقابلتي مع اللجنة المركزية وإدلائي بالأجوبة على أسئلة الرفاق ، أستعرضتُ ثانية جميع أقوالي لأرى فيما إذا كانت ثمة نقطة لم أوضحها بشكل كاف أمام (ل .م .) وجدتُ النقطة التالية التي تستحق توضيحاً أكثرمما ذكرتُ في أقوالي . إذ أرجو إلحاق هذه الإضافة إلى أقوالي أمام (ل .م .) واعتبارها جزءاً منها :

في جوابي على سؤال أحد الرفاق عن كيفية تأثير الرفيق محمد عليَ في حين إنني أعرف عدم تمسكه بالضبط واتجاهه اليميني . . الخ ، أجبت بأن الذي فاتحني بالمداولات هو الرفيق (جندل) وهو الذي أثر عليَ وليس محمد . وهذه المسألة (تأثير جندل) لم أذكرها في نقدي الذاتي الذي قدمته إلى (ل .م .) لكي لا تعتبر تخفيفاً من مسؤولياتي من جهة ، وانتظاراً لأن يوضحها الرفيق جندل نفسه في نقده الذاتي وأقواله أمام الهيئات الحزبية . ولكن نقده الذاتي والإضافات التي قدمها إلى (م .س .) لم تحتو على ذلك ولا أعلم هل ذكر شيئاً في إفادته أمام (ل .م .) عن دوره الخاص في تقوية وتعزيز التكتل والتأثير على رفاق آخرين في (م .س .) . ولكن مراجعتي

لنقده الذاتي والاتجاه الذي يسوده جعلاني أعتقد انه كان يتجنب التركيز على ذلك ويحاول التخفيف منه قدر الإمكان . فهو يعالج نواقصه التاريخية جيداً بتجنب التركيز على رسم صورة واضحة عن دوره المهم في التكتل وخاصة في التأثير على الرفاق الآخرين واكتفى بالقول انه "كون انطباعات سيئة وساهم في تكونها لدى الآخرين" ويظهر وكأنه ضحية الآخرين وان دوره كان كدور الرفيق فورشيلوف في كتلة مولوتوف -مالينكوف ، والواقع غير هذا . صحيح ان دور الرفيقين نهاد ومحمد كان أسوأ من دوره كثيراً ، ولكن الرفيق جندل لعب دوراً ضاراً ومؤذياً لتكوين التكتل ولولاه لما استطاع الرفيقان المذكوران قطعاً ، أن يؤثرا على أحد . أقول ذلك وأنا واثق منه تمام الثقة . ولعل رفاق (م .س .) يتذكرون جيداً تأثير الرفيق جندل عليهم سواءً في اجتماعات (م .س .) أو خارجها . ولم يكن دوره سلبياً (مجرد تأييد لمحمد ونهاد) إطلاقاً . بل كان يقوم بدور إيجابي في التأثير على الآخرين . وقد بينت أنه الشخص الوحيد من رفاق التكتل الذي بدأ معي المداولات وأثر عليَ باتجاه معارض . وأؤكد هنا انه بقي الرفيق الوحيد من رفاق المعارضة الذي يستطيع التأثير عليَ وعلى غيري من رفاق (م .س .) في هذا الموقف أو ذاك .

يذكر في نقده الذاتي ان الرفاق (محمد ونهاد وثامر) كانوا أكثر الرفاق حركة بين البيوت الحزبية . وهذا ما يتضمن ان الرفيق جندل كان أقل الرفاق حركة ويقصد به انه أقل الرفاق نشاطاً في المعارضة . وهذا خلاف الواقع . صحيح ان الرفيق جندل كان أقل الرفاق حركة ، وهو نادراً ما كان يخرج من داره ، لأن داره نفسها كانت مقصد الرفاق المعارضين وكان الرفيق جندل لا يقصر في التأثير على الرفاق الذين يراهم في داره وبالإمكان تشبيه بقائه في داره ببقاء السيد كامل الجادرجي في داره والالتقاء بمختلف الناس فيها والقيام بجميع نشاطاته السياسية .

لقد حافظ الرفيق جندل على وقاره التقليدي ولم يكن طائشاً في نشاطه ولكن وقاره نفسه كان وسيلة للتأثير على الآخرين . وكان الرفيق جندل يجيد استخدامه واستخدام كافة الأساليب في الحديث واعطاء الانطباعات السيئة "على لسان الطير" وبطريقة "برتكيشية" ، وبصراحة أحياناً . وكان لوقاره وعمره وثقافته الواسعة وأساليبه في الحديث تأثير كبير على الرفاق في (م .س .) وأنا شخصياً في مقدمتهم . ولم يكن الرفيق (جندل) يتحدث بما لا يريد أو بدون هدف . كان يفكر بالموضوع وبالإسلوب المناسب ويطبقه ويحصل على نتائجه . لم يكن "ماشة نار" لأغراض محمد ونهاد كما يبدو . أنه كان يشعر بالغبن ويرى نفسه أجدر باحتلال مركز السكرتارية . وصرح مرة بأنه انتظر عشرين سنة مما نقله الرفيق علي في اجتماع (م .س .) أواخر أيلول . كما صرح مرة ان لينين لم يكن سكرتيراً للحزب ولكنه كان القائد الحقيقي ، وهو يقصد انه (أي جندل) على الرغم من انه لم ينتخب سكرتيراً للحزب ولكن دوره في القيادة دور رئيسيٌ مشابه لدور لينين .

لقد كان دور الرفيق جندل في المعارضة دوراً مهماً وترك أثراً ليس علي فحسب ، بل على رفاق المكتب السياسي الآخرين في هذا الموقف أو ذاك . والواقع إنني كلما فكرتُ في حذف دور الرفيق جندل وهل كان محمد أو نهاد يستطيعان التأثير علي ، توصلتُ إلى إستحالة ذلك .

لقد تراجع الرفيق جندل قبل غيره من رفاق المعارضة لمجابهته بالحقائق قبل غيره بحكم عمله في "سلم" وكان تراجعه عملاً صائباً وجيداً ساعدني شخصياً على التفكير بإعادة النظر في موقفي . ومع ذلك وحتى بعد تراجعه فقد كان يطلق بعض التصريحات أو التلميحات (على طريقته البرتكيشية) تنم عن عدم جديته في التراجع ، وتحمل الآخرين على الإصرار على مواقفهم الخاطئة . ومن هذه التصريحات قوله المعروف تعليقاً على مجاراته للتيار

"اليساري" في السجن انه "يعرف كيف يداري خبزته" وتكرار هذا القول بعد تراجعه لا يقصد منه سوى الإشارة الى مجاراته للرفيق عمار ، مما يجعل المرء يتصوره غير جاد في تراجعه او ان تراجعه لم يكن إلا انحناء أمام العاصفة . وبالإمكان تفسير نقده الذاتي في موسع سنة ١٩٥٩ لاشتراكه في حديث نهاد ومحمد حول تنحية السكرتير ثم استمرار نشاطه التكتلي بنفس الاتجاه ، على ضوء ذلك . إن سلوك الرفيق جندل خلال مدة عمله في (م .س) يظهر انه كثيراً ما يلجأ إلى عدم الصراحة وإظهار غير ما يبطن . ثم تعليل ذلك بمختلف المعاذير المقنعة ، وهذا يدلل على أنه لم يكن مخدوعاً في نشاطه التكتلي المعارض .

إنني لا أريد ان أقلل من قيمة النقد الذاتي للرفيق جندل ولا من إخلاصه وتصميمه على العمل باتجاه مكافحة نواقصه . ولكن مصلحة الحزب ، التي هي أسمى من مصلحة أي رفيق ، ومصلحة الرفيق جندل نفسه كشيوعي يجب ان يتحرر من كافة الترسبات الغريبة في ذهنيته ، يقتضيان وضع اليد جيداً وبصراحة على جميع نواقصه تمهيداً لمساعدته في التخلص منها .

وأكرر هنا وأؤكد إنني لا أريد التخفيف من مسؤوليتي الشخصية حينما أعرض دور الرفيق جندل ، بل أرى ثانية ان مسؤوليتي تصبح أكبر من السابق نظراً لمعرفتي بالرفيق المذكور وأفكاره وأساليبه . ان السبب الأساسي في انزلاقي نحو التكتل هو انحرافي شخصياً عن جادة الماركسية-اللينينة بسبب الأفكار والمفاهيم والمقاييس الغريبة التي ظهرت في تفكيري ، وهذا الاستعداد الذهني هو الذي جعلني أتأثر بالرفيق جندل وبغيره من رفاق المعارضة وبالتالي أضع نفسي في خدمتها وخدمة أهداف انتهازية . وإلا لماذا لم أتأثر بالرفيق جندل وآرائه وأساليبه قبل هذا ؟

لقد تعرفت على أساليب الرفيق جندل واتجاهه الليبرالي قبل هذا وكنت

من الرفاق الذين لا يستسيغونها ، فلماذا أتأثر بها الآن وأتبناها ، إنه نقص في نفسي . إنها ذهنية المثقف البرجوازي الصغير القلقة المضطربة التي ترتاح لمنطق الثقافة البرجوازية ومقاييسها ، ويحركها الغرور الثقافي ويضعها في خدمة مختلف التيارات الغريبة عن حركة الطبقة العاملة والحركة الأممية .

لقد كان عسيراً على الأفكار البرجوازية المعادية الدخول إلى حزبنا بشكل مباشر ، وتولى محمد ونهاد نقلها وأصبحا جسراً لها بعد تلطيفها وإعطائها صبغة حمراء ، وكان عسيراً على محمد ونهاد أن ينشرا آراءهما الانتهازية الخاطئة والتأثير على رفاق م .س . دون معونة رفيق أكثر هدوءً وأوسع ثقافة- وأكثر وقاراً وأقوى نفوذاً منهما . وكان هذا الرفيق هو الرفيق جندل باسلوبه المؤثر وقيافته الجدية وعمره الطويل الذي قضاه في الحزب والحركة الثورية .

وقد قام الرفيق جندل بدوره وترك تأثيراً رديئاً في توسيع المعارضة المتكتلة وتقويتها وتشديدها . هذه هي الحقيقة التي كان يجب ان يعرضها الرفيق جندل على الحزب ، والتي يجب ان يعرفها ويتقبلها تمهيداً لتصفية الحساب مع نواقصه ، وإلا فستبقى الترسبات التي حملته على الخطأ في نفسه ، وستحمله على الخطأ ثانية وهذا ما لا يريده له الحزب ولا يريده له أي رفيق مخلص .

وأنا أقدر تمام التقدير ان انضمامي شخصياً للمعارضة شجع بدوره الرفيق جندل على الاستمرار والتمادي ، فلو لم ينجح في عمله لكان من السهل عليه رؤية خطأه بسرعة . ولهذا فأنا أقدر الدور المضر والمسيء الذي لعبه انضمامي إلى المعارضة في تقوية الطموح غير المشروع لدى الرفيق جندل وفي تشديد نشاطه المعارض .

هذا وأرجو أن أجد المساعدة الرفاقية من جميع الرفاق لوضع يدي على

نواقصي التي لم المسها ، ومحاربتي لجميع نواقصي لأكون جندياً بسيطاً أميناً من جنود حزبنا العظيم ، والأممية البروليتارية الجبارة .

**أيلول ١٩٦٢**
**ثامر**

## ملحق رقم٢:

## النقد الذاتي للرفيق ثامر حول الكتلة الانتهازية المعادية للحزب

لقد كنت أتلمس بوضوح الآثار المخربة التي تركها وجود معارضة في المكتب السياسي على عمل المكتب وبالتالي على الحزب . كما كنت أشعر ان وضعنا القيادي لم يكن طبيعياً فقد كان انسجام ووحدة الرأي- والإرادة مقيدة في (م .س .) ، حتى اصبح (م س) هيئة عاجزة عن القيام بأي بادرة عملية مهمة . واصبحتُ أردد مع نفسي اننا لم نعد قيادة ، اننا إدارة تدير العمل اليومي دون القيام بالمبادرات الضرورية للنهوض بواجبات الحزب أمام الجماهير .

وقد تحدثتُ مرة في (م .س .) بهذا المعنى ، ولكنني لقصر نظري وذاتيتي لم أضع اللوم على الرفاق المعارضين وأنا منهم ، بل كنت أضع اللوم جميعه على الرفيق السكرتير لأنه لم يقم بواجبه في قيادة المكتب السياسي . والواقع ان المعارضة كانت بإشاعتها الليبرالية والتسيب وعدم الجدية تمنع أي بادرة من جانب السكرتير لتحسين العمل وإزالة النواقص ، وبالتالي تحول (م .س .) إلى هيئة عاجزة لا حول لها ولا قوة . والأهم من ذلك ان وجود معارضة تشكل أكثرية في (م .س .) وسلم ، تعرقل بشكل عملي كل مجهودات السكرتير ومقترحاته وتمنعه من مزاولته لصلاحياته القيادية .

فتصفية المعارضة المتكتلة واجتثاث أفكارها وأساليبها في العمل أمر لا مفر منه لضمان وحدة الرأي والإرادة والعمل في القيادة ، وبالتالي بعث النشاط والحيوية والمبادرات فيها وتهيئتها للنهوض بواجباتها التاريخية ، أي وحدة القيادة وفولذتها وبالتالي وحدة الحزب وفولذة تنظيمه هي أهم وأثمن ما يملكه الحزب الشيوعي ، سيما إذا كان يعمل في ظروف مثل ظروفنا وأمام أعداء متكالبين كالأعداء الذين نجابههم . وتقرير الرفيق عمار يستهدف ضمان وحدة القيادة وتقوية وتعزيز تنظيم الحزب وضبطه وبالتالي تحسين كفاحه الجماهيري .

لقد تناول الرفيق عمار في تقريره الخطوط العامة والرئيسية لأغراض المعارضة وأضرارها على الحزب والحركة الجماهيرية . وتحدث رفاق "سلم" الآخرون عن جوانب مهمة من تلك الأضرار وإليكم بعض الأمثلة العملية توضح التذبذب والارتباك الذي كان يسود (م .س .) في العمل الجماهيري اليومي كما توضح الاتجاه الإستسلامي اليميني والرغبة في استرضاء (ر .و .) : مع ربيع سنة ١٩٦٠ قرر (م .س .) قيادة وتوجيه إضراب العمال دفاعاً عن حرية التنظيم النقابي وعن وضع العمال المعاشي . . الخ والوقوف بوجه الهجوم الحكومي الرجعي ضد الطبقة العاملة وانتدبني مع الرفيق فريد للذهاب إلى البصرة والتهيئة للإضراب في الميناء . وذهبت وبقينا شهراً كاملاً هناك ، وتهيأت إمكانيات الإضراب ليس في الميناء فحسب ، بل في شركة نفط البصرة أيضاً وكان الإضراب مناسباً وفي محله ، يتماشى مع قرار (م .س .) وطلبت رأي الحزب (لأن م .س . كان قد أمرني بأن لا نبدأ الإضراب إلا بعد موافقته) ، فقرر (م .س .) القيام بمظاهرة جماهيرية لإسناد الإضراب ، وكانت الجماهير مستعدة كما تعلمون ، وكلفني لتهيئة وقيادة المظاهرة . وفي اليوم التالي (يوم المظاهرة) وبعد ان هيأنا الرفاق والجماهير في

شارع الرشيد للتظاهر ، وقبل موعد المظاهرة بحوالي النصف ساعة ، تلفن الرفيق محمد للرفيق عمار (وكان معي ويشرف بنفسه على سير الأمور) ، طالباً منه إلغاء المظاهرة (وكان عدد من رفاق م .س . مع الرفيق محمد ومؤيدين رأيه) فأحرج الرفيق عمار وسألني رأيي وكان محمد طبعاً يعبر عن رأيه ورأي أكثرية م .س . المجتمعين في داره ، فأجبته بعدم صواب إلغاء المظاهرة ، ووقفت بجانبه في ضرورة خروجها وطلبت إليه ان يبلغهم برأينا . وخرجت المظاهرة ولكن تحت إصرارنا (الرفيق عمار وأنا) وتحملنا مسؤوليتها .

في أواخر سنة ١٩٦٠ ، قبل سفر الرفيق نهاد ، قدم الرفيق عمار تقريراً إلى (م .س .) يشرح آفاق تطور حركة القوميين في كردستان وضرورة تهيئة الحزب سياسياً وتنظيماً للقيام بواجبه تجاه الحركة القومية الكردية المتصاعدة واقترح (١) التأكيد على شعار "الحكم الذاتي" لكردستان العراق ، (٢) تكوين لجنة مركزية للفرع وتسمية الفرع بـ "الحزب الشيوعي لكردستان العراق" على ان يبقى تنظيمياً مرتبطاً بحزبنا على أساس المركزية الديمقراطية وكحزب واحد بالطبع . كما اقترح تكوين منظمات ديمقراطية في كردستان تشمل الطلبة والشباب والنساء والفلاحين والعمال . وبعد مناقشة الاقتراح في (م .س .) لم يقبل منه سوى الفقرة الأخيرة الخاصة بالمنظمات الديمقراطية مع حذف منظمات العمال . أما المقترحات الأساسية حول "الحكم الذاتي" وتعزيز قيادة الفرع فقد رفضت في حينه ولم يلجأ (م .س .) إلى إقرارها إلا سنة ١٩٦٢ بعد تفاقم الحركة المسلحة في كردستان واتساعها . وباستطاعة أي إنسان ان يرى الأضرار التي سببتها المعارضة بتأخيرها اتخاذ الإجراءات الصائبة التي اقترحها الرفيق السكرتير مدة سنة ونصف .

وموقف حزبنا الصائب تجاه قضية الكويت الذي أقره (م .س .) بناءً على

اقتراح الرفيق عمار ، تأخر بحثه في (م .س .) ثلاثة إجتماعات متوالية نتيجة لجهود المعارضة غير المشكورة والمضرة ونتيجة لأفكارها القومية الضيقة . هذه الأمثلة توضح كيف أصبحت المعارضة معرقلاً من الناحية العملية لتنفيذ كثير من القرارات الصائبة وكيف كانت سبباً لسيادة التذبذب والارتباك وبالتالي كيف حولت (م .س) إلى هيئة عاجزة من ناحية الكفاح العملي . وغني عن البيان ان تردد المعارضة وتذبذبها كان مرده عدم الرغبة في إغاظة (ر .و) أكثر مما ينبغي والتطير من الحركة الجماهيرية . وهذا خلق تخوفاً من اتساع الحركة الجماهيرية المناهضة للدكتاتورية وأساليب الحكم البوليسي .

واستطيع الآن ان أتصور اي وضع ليبرالي كان سيسود (م .س .) والحزب بأسره لو قدر للمعارضة ان تنجح في تبديل الرفيق السكرتير وبالتالي في فرض آرائها وأساليبها على الهيئات القيادية والحزب . وماذا كانت تعاني الحركة الجماهيرية من جراء ذلك .

وتقرير الرفيق عمار إذ يضع اليد على السبب الحقيقي للمشكلة ، ويشخص علاجها بضمان وحدة القيادة وسيادة الضبط الحزبي والمركزية الديمقراطية فهو يهيىء الحزب للقيام بمهامه في قيادة الطبقة العاملة والجماهير قيادة ثابتة غير مترددة لا تضيع الفرص بانتظار الفرص ، وتلهو عن عملها القيادي بصراعات لا مبدئية وأفكار برجوازية ليبرالية . ولهذا فإنني أؤيد التقرير وأهدافه كما أؤيد الإجراءات التي يقترحها التقرير أو التي تقررها الهيئات الحزبية مهما كانت صارمة ، لأن مصلحة الحزب أسمى من مصلحة أي عضو فيه مهما كان ذلك العضو مخلصاً في خطئه وسلوكه اللامبدئي . وعلى هذا الأساس فأنا أدين التكتل المعارض الانتهازي ، أدين أعضاءه الأربعة بمن فيهم أنا شخصياً . أدين أفكاره وميوله وأساليبه وجميع الأعمال المضرة التي

قام بها وأتحمل شخصياً مسؤولية كبيرة في تقوية المعارضة المتكتلة وتشجيعها بانضمامي إليها والنشاط معها ، أتحمل مسؤولية أعمالها مجتمعة ومنفردة ليس بالنسبة للأعمال التي شاركت فيها وحسب ، بل وحتى تلك الأعمال التي لم أكن مساهماً فيها حتى قبل تلك التي عارضتها . كما أتحمل مسؤولية أفكارها اليمينية الاستسلامية الانتهازية ، على الرغم من محاربتي لها دائماً ، لا بل إن إدراكي لخطأ أفكارها ومحاربتي لها يحملني مسؤولية أكبر لأنني وضعت نفسي في خدمة أغراضها الانتهازية مع علمي بميول قطبيها اليمينية الاستسلامية المتذبذبة .

أتحمل مسؤولية أعمالها حتى قبل إنضمامي إليها ، بل أتحمل مسؤولية نشاط نهاد الهستيري قبل موسع ١٩٥٩ بالرغم من عدم علمي به وعدم ارتياحي منه عند سماعه ، لأنني سهلتُ وشددتُ من عزيمة نهاد والمعارضة كلها عند ضم جهودي إليها ضد سكرتير الحزب وضد وحدة القيادة وضد الأساليب اللينينية في العمل .

إنني أشعر بأن مسؤوليتي ومسؤولية الرفيق جندل عظيمة للغاية لما كنا نتمتع به نحن الاثنين من احترام بين الرفاق وللدور المؤذي الذي لعبه انضمامنا إلى المعارضة في تشجيع نهاد ومحمد من جهة ومساعدتها على تستير أهدافها الاستسلامية للتصفية والتأثير على رفاق (م .س .) الآخرين و(ل .م .) في هذا الموقف أو ذاك من جهة أخرى .

إن من يضع نفسه في خدمة تيار انتهازي يجب ان يتحمل جميع تبعات ذلك التيار ومساوئه وآثاره . إن التاريخ لا يرحم وهو يدمغ بالانتهازية والذاتية كل من يضع نفسه في خدمتها رغماً عنه وعن جميع الذين يشهدون له بالطيبة والإخلاص وانعدام الغرض الشخصي . إنني أتحمل مسؤولية جميع مساوىء المعارضة المتكتلة الانتهازية أيها الرفاق ، وأطالب ان تقفوا مني

موقفاً صارماً يساعدني على اجتثاث جميع الجذور الفكرية والطبقية التي دفعتني لأضع نفسي في خدمة تيار انتهازي .

لقد كان نشاطنا تكتلياً ومع ذلك فلم أكن أتقبل مثل هذا الحكم عليه واتصوره وأصوره للآخرين اننا نعمل وفق الأسس المبدئية الصحيحة ، وأسبغ أمام نفسي وأمام (م .س .) صفة المشروعية لعملنا . وأكثر من ذلك كنت أعتقد إنني اعمل من أجل تثبيت "القيادة الجماعية" وتجنيبها اسلوب العمل الفردي . وما كنت أتصور انني أسير في مستنقع المارتوفية الذي يبيح التكتل والليبرالية داخل الحزب . أعترض الرفيق عمار في تقرير له أواخر سنة ١٩٦٠ حول إتصالاتنا وتداولنا ، فناقشنا معتقداً بأن مثل هذه المداولات والاتصالات صحيحة طالما انحصرت ضمن حدود هيئة معينة (كنت قد ناقشته قبل ذلك في لقاء خاص معه) ، وعلى الرغم من تخطئة رفاق المعارضة أنفسهم اسلوب التداول ، فقد أصررتُ على رأيي متصوراً ان التداول غير التكتل . والواقع ان مجرد إباحة التداول بشكل مناهض للوحدة وللضبط الحزبي بين أعضاء الهيئة القيادية في حالة وجود معارضة يخلق تكتلاً لا محالة ، لا بل إن مجرد وجود معارضة تتداول فيما بينها هو التكتل بعينه .

يشير تقرير الرفيق عمار في أكثر من موضع إلى "مخطط" المعارضة . وقد فكرتُ في الأمر وتذكرتُ الحوادث جيداً فلم أجد اننا اجتمعنا يوماً لوضع مخطط ما أو لتوحيد موقفنا بشكل مبرمج من هذه القضية أو تلك ولهذا صعب عليَ ان أذكر مثل ذلك في التقرير . وبعد السؤال من الرفيق عمار ظهر لي واضحاً انه لا يشترط لوجود مخطط أو خطة للمعارضة أن تجتمع وتتفق على شيء ما أو عمل ما ، بل يكفي انها تنشط باتجاه معين قد يكون في ذهن أحدها أو لا يكون في ذهن أحد . إن مجرد نشاطها باتجاه معين يعتبر مخططاً ، وهو محق في ذلك ، علماً بأن المعارضة كانت تتيح لنفسها

التداول في جميع المواضيع وتبادل الآراء وتوحيد المواقف عن طريق المداولات بشكل مخالف للضبط والمركزية ومناقض لوحدة الإرادة والهيئة الواحدة .

لقد ظهر لي الآن ان نشاطنا كان نشاطاً تكتلياً يخدم تياراً انتهازياً بعينه .

## ملحق رقم٣:

## القسم الرابع من النقد الذاتي

## للرفيق جندل- زكي خيري

٤-سبق أن أشرتُ في نقدي الذاتي (٦-٩- ١٩٦٢) إلى النقد الذاتي المبتور الذي قدمته قبل وبعد اجتماع (ل م) (حزيران ١٩٦١) ، وكيف كان عاملاً سلبياً في عدم تشجيع المعارضين الآخرين على تقديم نقد ذاتي شامل ومتعمق . ومن المؤسف ان يتعكز الرفيق (ثامر) على هذه النواقص فيعمد إلى نسف كل صفة إيجابية لموقفي لدى بحث تقرير الرفيق (عمار) حول موقفنا من أخطاء (ص) . ويبدو أن الرفيق (ثامر) نسي أنني أشرت آنئذ إلى أخطر جريرة ارتكبتها المعارضة وهي التقليل من الدور الطليعي للحزب الشيوعي السوفيتي في الحركة الشيوعية العالمية . وإنني عالجتُ هذا الموضوع على ضوء التجربة الملموسة للمعارضة عندما ساهمت في تحرير العدد ٢ من "مناضل الحزب" وأنه دهش هو نفسه إعجاباً عندما علم ان البحث لم يكن مترجماً . وينسى الرفيق (ثامر) انه بالرغم من النواقص الجدية والنواحي السلبية في موقفي ذاك ، والنقد الذاتي الذي قدمته عندئذ ، فإنني لم أكن مشجعاً له على مقابلة تقرير الرفيق (عمار) "بهجوم مضاد" تحت شعار "القيادة الجماعية" بل

إنني نصحته كما نصحت (محمد) بأن يساعدوا الحزب على تثبيت التزاماته الأممية ومبادئه الأممية . وقد احتفظت برسالة الرفيق (ثامر) لبضعة أيام قبل تقديمها لسلم ، لعلي أقنعه بسحبها ، بقولي : "لقد كنتُ قدوة سيئة لك وأشعر بعذاب ضمير ، فهل تقبل نصيحتي الآن وتسحب هذه الرسالة ؟" . فشكرني ساخراً وأصر على تقديمها إلى (م س) حيث شُجبتْ بالإجماع واضطر إلى شجبها وسحبها بعد ان عرض اقتراح (سلم) بتنحيته من (ل م) . ومن حق الرفيق ثامر ان يعتبر الصفات الحسنة ، التي يذكرها عني ، ذات أثر أسوأ بكثير من الصفات السيئة التي عددها بحقي . فقد كانت تلك الصفات الحسنة ، ستاراً للمعارضة الانتهازية ، في حين انها لم تكن ذات جدوى في إقناع أحد من المعارضين حتى لتجنب موقف سيئ واحد وحتى عندما حاولت إقناعهم بذلك .

وعندما كلفنا (م س) أنا والرفيق (علي) بمساعدة الرفيق (ثامر) على صياغة نقده الذاتي ، كنت أشعر أي عناء يعانيه ثامر في الاعتراف بضيق الأفق القومي والانتقاص من طليعية (م س) بل كان ساخطاً عليَ لأنني ذكرته في (م س) بموقف مماثل اتخذه في ١٩٤٧ . ولم أكن أريد من تذكيره بذلك الموقف سوى مساعدته على معالجة قضية (ص) بروح مبدئية أممية ليستفيد من تجربتي أنا الذي اقتنعتُ قبله بانحرافنا نحن المعارضين عن السبيل الأممي . وبالرغم من ان الرفيق (ثامر) شكرني على مساعدتي هذه بعد اجتماع (ل م) في حزيران ١٩٦١ ، حيث تخلص من العقوبة ، فلا زلت غير واثق من انه مقتنع تماماً بعمق جذور ضيق الأفق القومي لديه ، ومن دون هذا الاقتناع فلن يستطيع اقتلاعها بحزم .

كان الرفيق (ثامر) ينتقدني على تقريع نفسي وتشددي على أخطائي الجسيمة ، إذ يعتبر هذا النقد نوعاً من الذاتية المقلوبة ، أما الآن فإنه يطعن

بجديتي في نقد نفسي ، مستعيناً بتصريحات قلتها في مناسبات أخرى بحق القيادات السجينة ويرويها كما لو كانت للتعريض بقيادة الحزب التي أدركتُ أنا قبل (ثامر) القاعدة المبدئية الأممية التي تستند إليها ، علماً بأنني أعدت النظر في نقدي الذاتي الأخير حتى بموقفي الخاطىء من القيادات السجينة . إن الرفيق (ثامر) يؤكد على الأخص ، على طموحي غير المشروع ، أي الوصولية ، وعلى عدم جديتي في كشفها واستئصالها ، ويعتقد إنني أحاول ان أعامَل معاملة فورشولوفية . ولم يبق لدي ما أقوله في هذا الصدد سوى تكليفي بأعمال لا يكلف بها إلا أبسط رفيق في الحزب ، وأنا واثق تماماً من نفسي وقد سبق لي لعدة سنوات ان نفذتُ بجد الواجبات التي كلفت بها كعضو بسيط في الحزب . والتجربة هي التي ستثبت مدى جديتي في تحديد العقوبة المناسبة .

ان الرفيق (ثامر) نفى نفياً قاطعاً وجود طموح شخصي غير مشروع لديه ، وهذا النفي لن يساعده على التخلص من الشوائب الذهنية وكان يجب عليه ان يتذكر استياءه البالغ من انتداب الرفيق (نعمان) للعمل في (سلم) بدلاً منه . ان الرفيق (ثامر) لا يزال يعتقد انه لولا ظرفين طارئين أو "صدفتين" لما كتب له ان يسلك سبيل المعارضة الانتهازية والتكتل : أولاهما ، الانطباعات السيئة التي أعطيتها أنا له . والثانية أخطائي .

فقد كانت علاقاته كما صرح لي مرة ، علاقات متينة مع الرفيق (عمار) في السنة الأولى من الثورة . فيبدو أنني لعبتُ الدور الحاسم في تدهور هذه العلاقات وبالتالي في تورط أو انزلاق الرفيق (ثامر) في مستنقع المعارضة ، ولذا فهو ساخط عليَ بصورة خاصة لأنني لم أوضح دوري الحاسم في انزلاقه أمام (ل م) أو في النقد الذاتي الذي قدمت . وانه لولا ما لديَ من "حسن سمعة" يذكرها لي ، لما استطعتُ توريطه . وأنا أشارك الرفيق ثامر في صحة

استدراكه وهو إنني كنت أسوأ تأثيراً عليه من محمد بفضل ما لدي من "سمعة حسنة" لدى الرفيق ثامر ، هذا بالرغم من تشبيهه إياي بزعيم البرجوازية الحرة ، ومعرفته بهذا الشبه قبل قيام المعارضة بسنين عديدة ، أي قبل ان يحسن الظن بي . ومع ذلك فإن الرفيق ثامر لن يتخلص من شوائبه الذهنية ونواقصه الفكرية ما لم يبحث عن جذورها بعمق وجدية ويكشفها بلا رحمة .

إن الرفيق ثامر على حق في نفيه أي أسبقية لي عليه بخصوص تقديم النقد الذاتي ، فإن مركزي السابق في (سلم) قد أتاح لي فرصة الاطلاع قبله وبفضل المساعدة التي أبداها لي كل من الرفيق (عمار) والرفيق (علي) وإعطائي الوقت الكافي لتقديم النقد الذاتي (٦-٩- ١٩٦٢) . فقد سبقته زمنياً ، ولذا فأنا لا أستحق المفاضلة على حساب الرفيق (ثامر) بأي وجه من الوجوه ، كما إنني لم أكن ضحية لنشاط الرفيق (ثامر) أو غيره من المعارضين بل لشوائبي الذهنية الغريبة ، وحتى لو لم توجد المعارضة الانتهازية في (م س) لظهرت هذه الشوائب بشكل من الأشكال كاتجاه فردي على الأقل حتى إذا لم تؤثر تأثيراً سلبياً على أحد من الرفاق .

لقد سبق ان قلت ان تأخري لحد الآن في تقديم نقد ذاتي شامل عن دوري في المعارضة مما يضاعف مسؤولياتي ، وقد أشرتُ باقتضاب إلى سبب ذلك ، وهو افتقاري إلى الجرأة الشيوعية على النقد الذاتي على أمور لا مبدئية . وخلال السنتين الماضيتين كنت في الحقيقة في قلق دائم . فكنت من جهة أتحسس يوماً بعد يوم أضرار المعارضة على الحزب وقيادته وأشعر بالحاجة إلى تصفيتها ، أما من الجهة الأخرى ، فكنتُ أخشى من تصفية المعارضة بصورة حازمة وجذرية وعاجلة كما تقتضيه المبادىء ومصلحة الحزب . فإن الحزم والجذرية كانا يعنيان فقدان المنصب بالنسبة لعناصر

المعارضة . وكان العائق الآخر بالطبع هو الترسبات الفكرية الغريبة والعادات الضارة لديَ . فكنتُ أحاول من جهة الحد من اندفاعات (محمد) و(ثامر) والتستر عليهما من جهة أخرى . وقد اقنعت محمدا عندما طلب نصيحتي ان لا يقدم تقريراً مماثلاً لتقرير (ثامر) حول موقفنا من أخطاء (ص) . ولكنه عاد في اجتماعات (م س) لدى بحث القضية إلى اتخاذ موقف أسوأ من موقف الرفيق (ثامر) دون ان يقدم تقريراً مكتوباً . وقبيل سفره ، عندما هاجم قرارات (ل م) (حزيران ١٩٦١) بخصوص عقوبة (نهاد) ، اكتفيتُ بتقديم النصيحة له بضرورة احترام قرارت (ل م) في حين كنت متشائماً من قبوله النصيحة . وعندما ارسل التلفيقات الشفوية بواسطة الرفيق (حارس) كنت أعلم بكذبها . إذ كان الرفيق (جبار) قد أعطانا معلومات وافية وقطعية حول الموضوع . ومع ذلك لم أبادر حتى لإخبار رفاق (سلم) بتلفيقات (محمد) هذه تستراً عليه رغم خطورة المسألة . وهكذا كانت كل محاولة للتخلص من الخطأ تعني الوقوع في خطأ جديد أكثر فداحة والتوغل في عدم الاستقامة والأمانة للحزب . وقد عارضت في (م س) أول عقوبة اقترحها الرفيق (عمار) بحق نهاد ، واقترحت استجوابه أولاً ، ولم يكن الغرض مجرد شكليات أصولية ، بل لأتيح المجال لنهاد للتراجع أو تقديم نقد ذاتي آملاً في تجنيبه العقوبة وبالتالي إنقاذ نفسي والمعارضين الآخرين من نفس العقوبة .

أما بالنسبة للرفيق (ثامر) فلم أوافق على اقتراح معاقبته (حزيران١٩٦١) إلا بعد ان فشلتُ في إقناعه بضرورة سحب رسالته السيئة . وبقيتُ أتوجس من اندفاعاته وإصراره على الخطأ وأخشى عليه من العقوبات . وبعد بحث قضية انتداب الرفيق (نعمان) للعمل في (سلم) واندفاعه في معارضة القرار وحتى تساؤله عن السبب في عدم انتدابه ثانية بعد ان انتدب في المرة السابقة ، واستمراره في مناقشة الرفيق (علي) بعد

الاجتماع حول نفس الموضوع ، نصحته بعدم الانجرار إلى مناقشات تورطه في مآزق كهذه .

لقد أثبتت تجربة المعارضة الانتهازية في (م س) ، من جديد ، ان العلاقات التكتلية أو اللامبدئية لا يمكن تصفيتها ما لم تتم تعريتها أمام أنظار الحزب من دون رحمة ، وما لم تتخذ بشأنها الإجراءات التنظيمية المناسبة . كما ان أية أخطاء لا تعالج بصورة مبدئية ، فلا بد من ظهورها من جديد بهذا الشكل أو ذاك .

## ملحق رقم ٤

## إضراب الطلاب

محضر اجتماع (م . س .) الطارئ في ٢٩ / ١٢ ١٩٦٢/ .

-عقد هذا الإجتماع بدعوة من الرفيق عمار (سلام عادل) .

-حضر الاجتماع الرفاق : علي ( . . . ) ، حسن (هادي الأعظمي) ، جبار ( . . . ) ، نعمان ( . . ) ورشيد ( . . . ) .

-جدول العمل : حوادث الاستفزازات والإضرابات التي أثارتها الجبهات القومية والرجعية في المدارس والمعاهد وموقفنا منها .

عمار : منذ حوالي اسبوعين ، حدث شجار بين بعض الطلاب الديمقراطيين والتقدميين وبين الطلاب القوميين في الثانوية الشرقية للبنين . وقد استنجد الطلبة القوميون في اليوم نفسه بزمر من الشقاوات والاستفزازيين من خارج المدرسة ، فهاجموا الصفوف ، بعد ان قطعوا تلفون المدرسة ، واعتدوا على الطلبة بالعصي والبوكسات والخناجر ، بمساعدة معاون المدير وأحد المدرسين وعلى مرأى ومسمع من رجال الأمن ، مما أدى إلى جرح سبعة من الطلبة الديمقراطيين نُقلوا إلى مستشفى الطوارئ . وقد اعتقل تحت ضغط الطلبة اثنان من الطلبة المعتدين ، إلا أن دوائر الأمن والتحقيق في تقاريرها حاولت منذ البدء تشويه الحوادث ، فاعتبرت المعتدين من المخلصين

للجمهورية وألقت تبعة الحوادث على عاتق "جماعة اتحاد الشعب" كما جاء في تقرير المحقق . وقد طردت الإدارة بعض الطلبة الديمقراطيين ، أُعيدوا بأمر وزارة المعارف . وعلى أثر ذلك بدأت الجبهات القومية والرجعية تنشر الدعوة في المدارس لتوسيع الإضرابات . وقد حدثت عدة إضرابات في بعض المدارس الثانوية في ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، فقامت الحكومة بنقل ٢٥ طالباً من الأعظمية إلى مدارس أخرى . وتبعاً لقوى القوميين كانت هناك إضرابات في المدارس الثانوية التي لهم فيها نفوذ جزئي كبير أو كامل ، ولم تحدث إضرابات في المدارس الواقعة تحت نفوذ الديمقراطيين .

وقد انتقلت اليوم الدعوة للإضراب إلى الكليات والمعاهد وسط تأزم وبلبلة واسعة بين الطلاب والمعلمين .

-إصدار "الاتحاد الوطني للطلاب" التابع لحزب البعث بيانين للدعوة إلى الإضراب العام .

وإن الشعارات واللافتات التي رفعها القوميون في إضرابات المدارس الثانوية ، هي طرد الطلبة الشيوعيين ، معاقبة رجال الانضباط العسكري ، إطلاق سراح الموقوفين ، وإعادة المنقولين إلى مدارسهم . أما بياني البعثيين ، فقد تجنبا التعرض للشيوعيين ، وكُتبا باسلوب معتدل نوعاً ما وأضيف إليهما مطاليب طلابية (مشتركة) معروفة .

وأوضح الرفيق عمار ، ان بوادر تطور هذه الحالة بدأت منذ اسبوعين ، وقد سمعنا من هنا وهناك عن الحوادث ولم تصلنا تقارير حزبية من رفاقنا في بغداد وخصوصاً من (لتدم) عدا بعض المعلومات البسيطة . وان اللجنة الحزبية الطلابية في بغداد ، ومختصة الطلبة التابعة إلى (لتدم) ، قصرتا فلم تبحثا الموقف في الوقت المناسب وبصورة صحيحة وكافية ولم ترفعا لقيادة الحزب لا المعلومات والاقتراحات الواجبة لاتخاذ موقف عاجل ولا تقديراً باحتمال تطور

الحوادث مما فوت المبادرة واضعف موقف الحزب .

حسن- قال : بعد يومين من حوادث الثانوية الشرقية عرفنا بها ، وإن الحوادث ظلت في مستوى هذه المدرسة ، إلى ما قبل خمسة أيام حيث راحت تتسع وتأخذ طابعاً جديداً ، وقد حددنا الموقف باعتبار ان إثارة هذه الحوادث وتوجيهها ضد القوى الديمقراطية بين الطلبة ، تكشف طابعها الرجعي ، وذلك على ضوء الوضع السياسي ، ولذلك أعطينا توجيهات بالوقوف بوجه هذه الإضرابات والدعوة إلى حل مشاكل الطلبة من قبل الطلبة والتفاوض ووقف الاعتداءات وأساليب الإرغام على الإضراب التي تتبعها الجهات القومية . ولاشك ان منظمة بغداد متأخرة ومقصرة في أمر إحاطة قيادة الحزب بالأمر بصورة وافية وطلب تحديد موقف موحد ، وان تقصير منظمة بغداد أكبر من (لتدم) . وأمس ، بعد تطور الحوادث اتصلتُ بالرفيق عمار لبحث الموقف وتطوراته ، وقد استكملنا اليوم المعلومات .

ثم لخص الرفيق حسن الموقف وبعد ان ذكر تفاصيل حوادث الثانوية الشرقية المارة الذكر ، والإضرابات في الثانويات التي تحت نفوذ القوميين ، أو التي لهم فيها بعض النفوذ ، ٢٥- ٢٦ / ١٢ بيّن ان الإضرابات خفّت وفشلت في بعض المدارس ونجحت في أخرى . وبيّن ان مواقف منظماتنا ورفاقنا في هذه المدارس لم تكن في البداية كما يجب ، وكانوا تحت وطأة الأفكار الذيلية والاستسلامية . فمثلاً ، ولو ان أكثرية طلبة الثانوية الشرقية ديمقراطيون ، إلا ان منظمتنا المحلية قررت ان لا يداوم الطلبة وجاء في أحد تقارير منظمتنا ان رفاقنا وذويهم ينتظرون الآن إلى حين تصفى الأمور . كما كان هناك ميل واضح لدى رفاقنا للاستناد على السلطة ضد الطلبة القوميين لحل مشاكل الطلبة وليس على جماهير الطلبة انفسهم . وان معنويات رفاقنا لم تكن على المستوى المناسب ، وأوضح الرفيق حسن انهم بحثوا المشكلة في

مكتب بغداد وأعطوا التوجيهات اللازمة حولها على الأسس التي أشار إليها . وقال ان تقدير رفاقنا الطلبة كان ان الإضراب سائر نحو الخفوت وعدم التوسع ، بينما ارتأى مكتب بغداد إصدار بيان عاجل .

ثم استعرض الرفيق حسن الموقف اليوم (السبت ٢٩ / ١٢) في المدارس والمعاهد . فقد كان الدوام منتظماً في المركزية ، والنضال والجعفرية وابن حيان ومدارس الكرخ ما عدا مدرستين ثانويتين . أما الكليات فإن الدوام عموماً كان مشلولاً ، فقد زجت الفئات القومية والرجعية بكل قواها بين الطلاب والمعلمين من أجل توسيع الإضراب وإعلان الإضراب العام . وساهمت في ذلك الوقت أيضاً فرق من خارج المدارس وزمر مسلحة تطوف حوالي الكليات والمدارس . وقال ان الإضراب والدوام في الكليات كان على الوجه الآتي اليوم :

تجارة صباحي : دوام أقل من النصف ، الطب : نصف دوام نصف إضراب ، طب الأسنان : دوام كامل ، معهد المساحة : دوام أكثرية ، الهندسة الصناعية : إضراب كامل ، كلية الهندسة : الأكثرية إضراب ماعدا صفين ، آداب : إضراب ، العلوم : اغلقت الصفوف بالأقفال وعندما حطم قسم من الطلبة الأقفال وجلسوا في الصفوف لم يحضر المدرسون ، وقُطعت الخطوط الكهربائية ، الحقوق : إضراب ، والتربية دوام كامل . وقال الرفيق حسن ان من تقديرات رفاقنا ان الطلاب مستاؤون من الإضراب .

ثم قرأ الرفيق حسن بعض الوثائق المتوفرة : كِتاب الأمن حول حوادث الثانوية الشرقية الذي يحمل الشيوعيين المسؤولية ويبرئ ساحة المعتدين ، والقرارات التي توصل إليها اجتماع مجلس مدراء المدارس الثانوية والمهنية في الرصافة برئاسة محمود غناوي الزهيري عن وزارة المعارف ، وهو مرشح الحكومة لتولي رئاسة النقابة (المستقلة) . وهذه القرارات تتلخص في (طلب

إدارة القوى المسلحة للمحافظة على النظام في المدارس ، تسليم أي شخص خارجي إلى الشرطة ، التوصية بحل اتحادات الطلبة في الثانويات والاتحادات الأخرى والعام ، إلغاء تسجيل الطلاب المشاغبين (أي طردهم) الذين لا يداومون ، عقوبات انضباطية .

وأضاف الرفيق حسن ان وفداً طلابياً عندما راجع وزير المعارف ، قال لهم الوزير ساخراً "هل في مثل هذا الوضع تريدون إجراء انتخابات الاتحاد ؟ وهل تجرون الانتخابات ؟" .

ثم قرأ الرفيق البيانين الصادرين من "اتحاد الطلاب الوطني" البعثي وفيهما دعوة إلى الإضراب العام ، وهجوم على تدخل الانضباط في المدارس ودعوة إلى انتخابات طلابية وإعادة المنقولين وإطلاق سراح الموقوفين ، وهجوم على ابن المهداوي ، ونعته بـ (المدلل) . وكذلك فيه دعوة إلى وحدة صفوف الطلاب ، والتركيز في البيان ضد قاسم والدكتاتورية ، وليس فيهما تعريض بالشيوعيين . كما إن البيان خال من الكثير من صياغاتهم التعصبية أو المعجوجة على خلاف عادتهم . ثم قرأ الرفيق حسن بيان سكرتارية اتحاد الطلبة العراقي العام ، الديمقراطي ، والبيان موجه ضد أعمال الاستفزاز والاعتداءات وشل الدوام وضد الإضراب .

وقد لاحظ الرفاق ان البيان فيه ثغرات كبيرة يعكس وجهة ذيلية ، وقد تكررت مثلاً في البيان الدعوة إلى (الاستقرار) خمس مرات ، وليست فيه وجهة صحيحة وواضحة للنضال .

رشيد– ثم تكلم الرفيق رشيد وأضاف ما لديه من معلومات ، فقال انه لم تصله أية معلومات من مختصة الطلبة لأن رفاق المختصة يقولون انهم لا علاقة لهم بالثانويات . وقال الرفيق رشيد انه طلب منهم أخذ المبادأة بأيديهم وإصدار بيان حول الوضع . وقال ان غناوي الزهيري صرح في اجتماع مدراء

المدارس ان سياسة الحكومة هي الإبقاء على الاتحاد العام للطلبة قانونياً وعدم إلغائه ، ولكن إبقائه مشلولاً . وقال ان معظم الحاضرين كانوا من الرجعيين وحاولوا توجيه الحوادث ضد القوى الديمقراطية والشيوعيين واتحاد الطلبة وطالبوا بالإجراءات التي انعكست في القرارات التي سمعتموها . وكان بين الحاضرين من مدراء المدارس ثلاثة رفاق مسؤولين عن العمل بين المعلمين . إلا إن اثنين منهم لزموا الصمت ، ولم يدافع عن القوى الديمقراطية وحقوق الطلبة سوى واحد منهم . (وقد أوصى اجتماع م .س . بغداد ولتدم بالتحقيق في ذلك تمهيدا لمحاسبتهما ومعاقبتهما على هذا الموقف التخاذلي) .

وقال الرفيق رشيد ان عدم الدوام وفرض الإضراب قد جرى في معظم الكليات تحت وطأة الاعتداءات . وقال ان دعاة الإضراب من الفئات القومية يركزون في دعايتهم ضد الشيوعيين .

عمار- ثم عاد الرفيق عمار إلى الكلام فلخص الموقف واعطى استنتاجا حوله وحدد مهماتنا ، فقال : إن طبيعة الحركة والإضرابات القائمة رجعية ، لأنها منطلقة من شعارات معادية للشيوعيين والحركة الديمقراطية ومنطلقها انقسامي استفزازي وينبغي ان يلاحظ أيضاً توقيتها في الظروف الراهنة حيث المعلومات المتوفرة لدينا تؤكد وجود نشاط تآمري رجعي ، وان المستر ديفز مدير المخابرات الإمريكية في الشرق الأوسط الذي هو الآن في العراق من خططه كما فهمنا إثارة اصطدامات ونزاعات ضد الحكومة . ولهذه الأسباب فإن الحركة رجعية . طبعاً للحركة علاقة بانتخابات المعلمين ، ولكنها من هذه الناحية لا يمكن اعتبارها رجعية لأنها موجهة ضد تدخل السلطة بوجه عام . وهذا التدخل ذو طبيعة رجعية . أما موقف القوى السياسية منها ، فإن الرجعية تراها في صالحها وتبذل الجهد لإثارتها وتوسيعها وكذلك الأمر بالنسبة للجبهة القومية . أما موقف حزب البعث فيختلف ، إذ يحاول ان

يخفف من غلواء الحركة ضد الشيوعيين وتوجيهها ضد السلطة ومحاولة إدخال شعارات جيدة فيها بغية كسب الطلبة وتوسيع الإضراب . وقد أعطى البعث للمطالب في بياناته صيغة مقبولة . أما الحكومة وإن كانت قد أثارت مثل هذه الحوادث سابقاً ، وبنفس الاسلوب ، بيد انها ليست المدبرة للحركة الحالية وان مواقف بعض العناصر الحكومية مرتبكة ، ولهذا تقف موقفا يؤدي إلى مساعدة المضربين . والبعض الآخر يعمل لحساب الرجعية . إن الحكومة تريد إخماد الحركة على حساب ضربهم وضربنا . أما إذا استطاع القوميون مواصلة الهجوم ، ونحن لم ندافع ، فإن الحكومة سوف تستجيب لخططهم ضدنا وعلى حسابنا إذا لم نقم بدورنا في توجيه الأحداث والتأثير عليها . وإن اجتماع مدراء المدارس هو للتعبير عن موقف الحكومة . أما موقف الوسط فليس لدينا معلومات عنهم ، ولكن التقدير أنهم أقرب إلى موقف البعث من أية جهة أخرى . أما موقف الحزب الشيوعي ، فهو ضد هذا الإضراب ، وهذا موقف صحيح ، وهذا الموقف يساعد على عزل الرجعية . وبمقدار أقل يسيء إلى البعثيين وبعض قوى الوسط الذين يؤيدون أية حركة ضد قاسم . إن بيان اتحاد الطلبة العام ، يعكس ميلاً ذيلياً إلى جانب الحكومة ، وفيه التأكيد على مفاهيم هي نفس المفاهيم التي حاربت وتحارب البرجوازية بها حزبنا ونضالات الجماهير ، والبيان ليس فيه ، لا وجهة للنضال ولا تحديد موقف واضح . وان رغبة الحكومة هي المسيطرة على البيان وهو يضع قوانا على هامش الحركة . وان نفس موقف البيان قد انعكس عملياً في نشاطات رفاقنا ، مثلاً العودة إلى البيوت بانتظار انفراج الوضع!! وهذا موقف ذيلي تجاه القوميين لأنه عملياً يوسع الإضراب . أو مثلاً الاستناد على الحكومة ضد الإضراب وهذا موقف ذيلي تجاه الحكومة . اما الموقف الصحيح ، فهو ان نواصل الوقوف ضد الإضراب بسبب الطبيعة الرجعية للحركة ومنطلقاتها . ولكن الاقتصار على

الدعوة ضد الإضراب له جوانب سلبية ، لأن هناك شعارات جيدة في بيانات البعث وثمة قوى طلابية ترى في هذه الشعارات مطاليب حقة . ولذلك فإن الاقتصار على الدعوة ضد الإضراب فيه تفريط بقوى طلابية ، وأن السلطة وحدها تستفيد من موقفنا المجرد هذا لصالح دكتاتوريتها . كما إن الموقف المجرد لا يخدم علائقنا بالوطني الديمقراطي والبارتي لأن الحركة الإضرابية هذه فيها جوانب ضد دكتاتورية قاسم . أي ان موقفنا المجرد ضد الإضراب يثير تحفظات الوطني الديمقراطي والبارتي على سياستنا وسيرددون أكثر مفاهيمهم بأننا جندرمة قاسم . كما لا يساعد على تعزيز الوحدة الطلابية ليس الآن فحسب بل في المستقبل أيضاً ، وخصوصاً في مسألة التعاون مع البعث في المجال الطلابي وغيره . كما إن استمرار موقفنا فقط ضد الإضراب سيؤدي إلى تفاقم تأزم الوضع بين القوى الطلابية مما يسهل للرجعية عملها ونشاطها للتأثير على بعض القوى الطلابية ، ولتوسيع الاصطدامات والاستفزازات . ولذا فإن علينا الاستمرار في الدعوة ضد الإضراب ولكن ينبغي عدم الاكتفاء بذلك ، بل يجب القيام بإجراءات أخرى لتخفيف النتائج السلبية التي تترتب على هذه الدعوة إذا كانت مجردة . يمكن ان نبادر إلى دعوة ممثلي مختلف الأطراف الوطنية والطلابية إلى عقد اجتماع أشبه ما يكون بالمؤتمر ، وأن نعلن هذه الدعوة في بيان عام ، وفي نفس الوقت نوجه رسائل بذلك إلى مختلف الأطراف ، ونقترح ان يحضر إلى هذا المؤتمر ممثل واحد أو اثنان أو أكثر من كل جهة طلابية . ونعلن في البيان بعد الممهدات وبعد تفسير موقفنا ضد الإضراب الحالي والدفاع عن صحة هذا الموقف . ومن ثم التركيز على أهمية الوحدة الطلابية . ونطرح جدولاً للعمل نقترحه يتضمن بحث قضية الاستفزازات والمشاكل والحوادث التي حصلت وحل مشاكل الطلبة فيما بينهم -باعتبارها مشاكل غير أساسية- بمعزل عن الرجعية وعن تدخل

السلطة . والمؤتمر هذا هو الذي يدرس هذه المشاكل .

والواجب الثاني للمؤتمر هو تحديد المطاليب الطلابية العادلة والمشتركة ، ومن ثم يبحث سبل ووسائل النضال من أجل هذه الحاجة . ونطلب عقد هذا المؤتمر فوراً . ويمكن أن نوجه رسائلنا بهذا الخصوص إلى البعث ، الجبهة القومية ، الوطني الديمقراطي ، الوطني التقدمي ، البارتي ، المستقلين ، الديمقراطيين (اتحاد الطلبة) . وأن تكون الدعوة باسم الطلبة الشيوعيين باعتبارهم مبادرين إليها . ويمكن ان نحدد في الرسائل وقتاً لاستلام جواب الأطراف الأخرى ، فإذا لم يستجيبوا إلى دعوتنا ، ولم يحضر أحد ، أو حضر بعضهم وتخلف آخرون ، فإذا بقي الإضراب مستمراً ، يمكن ان نصدر بياناً جديداً بالموقف وإدانة الإضراب أكثر .

إن هذا التكتيك يخدم في تخفيف الجوانب السلبية لموقفنا المجرد ضد الإضراب . ومن الطبيعي اننا في البيان سندين بقوة سلوك الدكتاتورية ونؤكد بقوة وحرارة على مطالب الطلبة . احتمال الاستجابة إلى دعوتنا ضعيفة ، هناك احتمال بسيط . ومع ذلك فإن هذا التكتيك يخدم في جعل البعث يركز أكثر على الدكتاتورية ، ويبرر موقفنا أكثر أمام الوسط وأمام جماهير الطلاب ، ويقوي المبادأة السياسية للحزب ، وينفي عن الحزب طابع المدافع اللاشرطي عن السلطة .

ومن المهم ان يرافق صدور البيان دعاية وشرح وافٍ مع اتصالات مع كل القوى الأخرى . بهذا الشكل سنكون ضد الإضراب الرجعي الانقسامي بصورة مؤثرة أكثر . كما اننا سنساعد على تشديد الضغط على السلطة باتجاه الديمقراطية وسوف نتركها أمام ضغط القوميين والرجعيين وحدهم . وسنشدد أكثر ، ضغطنا على القوميين لتنكيس شعارات معاداة الشيوعية ولإضعاف عملهم الانقسامي وسنعطي طريقاً واضحاً وصحيحاً لجماهير الطلبة في نضالهم

من أجل الوحدة الطلابية ومن أجل مطاليبهم العادلة . وسنجر بصورة أفضل قوى الوسط ونقطع الطريق على ثرثرتهم ، وكل ذلك منسجم مع خطتنا العامة .

ثم تكلم الرفاق فأيدوا جميعاً التلخيص والاستنتاج والاقتراح الذي قدمه الرفيق عمار . فأكد الرفيق علي على خطورة الوضع السياسي الحالي بالارتباط بالنشاط التآمري المستفحل . وانتقد تخلف وتلكؤ منظماتنا في تحشيد وتعبئة الجماهير الطلابية . وقال : علينا ان نتعلم من أعدائنا كيف يعملون ويسيؤون بسرعة . وطالب بالإسراع بتنفيذ الخطة المقررة . وان أي تأخير يفقدنا المبادأة كما حصل . وانتقد تخلف منظمة بغداد وقال لو اننا كنا بحثنا الأمر قبل عدة أيام ، لكان موقفنا الآن أكثر رهاوة وأفضل . وطالب الرفيق علي بضرورة معالجة ضعف المعنويات وروح الانهزامية .

وقد علق الرفيق عمار على ذلك بأن الحوادث يمكن ان تتطور أسرع مما نتوقع وان جذور الأفكار الذيلية والاستسلامية عميقة مع الأسف . وأكد أهمية مواصلة شن كفاح فكري حازم وواضح ضد الأفكار الذيلية والإستسلامية .

ثم تكلم الرفيق رشيد ، فأكد على فضح الطبيعة الرجعية للإضرابات وتنشيط كفاحنا بين الطلبة وقيادتهم .

ثم تكلم الرفيق حسن فاوضح مرة أخرى ان تقديرات رفاقنا الطلاب كانت خاطئة في توقع عدم توسع الإضراب وان بغداد أعطت الموقف الصحيح . وقال لقد تشكلت لجنة حزبية خاصة لقيادة نشاطنا في هذه الحوادث وان النقص في توجيهات بغداد انها لم تعط بديلاً عن عدم الإضراب . وهذا البديل قد ورد في اقتراح الرفيق عمار . وأكد على أهمية السرعة في إصدار البيان . وتكلم الرفيق نعمان فقال ان الظروف السياسية تستدعي توحيد صفوف الطلبة ومطاليبهم وإجراء مباحثات عاجلة بين القوى

الوطنية من أجل حل مشاكل الاحتكاك التي تفرق صفوفهم وتضعف نضالهم ووحدتهم تجاه الأساليب القمعية للدكتاتورية العسكرية . وقال اننا ضد الإضراب لأنه يقسم الطلاب ولا يعزز وحدتهم ولأنه موجه ضد الطلبة الديمقراطيين ، وبالتالي يفيد الرجعية وعملاء الاستعمار والديكتاتورية .

وقال ان الوجهة التي عرضها الرفيق عمار صائبة ، وطالب ان تكون مطاليب المؤتمر الذي ندعو إليه :

١-إيقاف الطرد ونقل الطلبة .

٢-شجب اتجاه السلطة .

وقد توصل الرفاق الى أهمية وضرورة الدعوة إلى عقد إجتماعات في كل المدارس والمعاهد على غرار الدعوة إلى عقد المؤتمر . ويمكن ان يكون أحد مطاليب اجتماعات المدارس الدعوة إلى المؤتمر . وكذالك على أهمية القيام بنشاط استثنائي في هذه الفترة وتعاون خطوط المعلمين مع الطلبة تعاوناً نشيطاً . وقد تمت الموافقة على كل ذلك واوكل إلى الرفيق عمار بإعداد البيان المقرر . وكلف الرفيق حسن ورشيد ، بتنفيذ التوجيهات المستعجلة على ضوء (م .س .) .

ثم انفض الإجتماع .

# الملحق الخامس

## محضر اجتماع (سلم) في ١٩٦٢/١٢/٣١

(١) استعرضت سكرتارية اللجنة المركزية (سلم) تطورات حوادث الاستفزازات والإضرابات الطلابية التي أثارتها الفئات القومية في بعض المدارس والمعاهد ، وتأثير ونتائج بيان الحزب والنشاطات التي قام بها رفاقنا وفقاً لتوجيهات الإجتماع الطارئ للمكتب السياسي ، فقدم الرفيق حسن (هادي هاشم الأعظمي) تقريراً شفوياً عن ذلك . فاستعرض أولاً الموقف العام في المدارس والكليات يوم ٣٠ / ١٢ فقال : إن نسبة الدوام كانت ٧٠٪ تقريباً . وكان الوضع في المعاهد كما يلي : التجارة-دوام أقل من النصف ، معهد اللغات- تخلخل أكثرية في صالح الإضراب ، الحقوق- إضراب ، التربية- دوام ، الطبية-دوام أكثر من النصف ، طب الأسنان-الدوام بنسبة ٨٠٪ ، الآداب- إضراب ، علوم- دوام مشلول لعدم دوام الأساتذة ، الهندسة- دوام أكثر من النصف مشلول ، الصيدلة- الصف الرابع إضراب والبقية في عطلة تحضير للامتحان ، معهد المساحة- دوام ، معهد الإدارة- دوام وبعد حادثة شجار أوقف العميد الدراسة ، الهندسة الصناعية- أوقف العميد الدوام على أثر شجار ، معهد إعداد المعلمين- دوام أقل من النصف ، كلية الزراعة- دوام . وقد حدث هجوم خارجي عليهم بالسكاكين والخناجر

والبوكسات ، جُرح على أثرها خمسة من الديمقراطيين نُقلوا إلى المستشفى .

أما الوضع في المدارس الثانوية فكان كما يلي : ثانوية الصناعة الرسمية أُغلقت على أساس إعادة تسجيل الطلاب مجدداً بسبب حوادث قديمة ، في مدارس الرصافة- الدوام منتظم في جميع المدارس تقريباً ، وقد تغيب عن الدوام بعض مدرسي الإعدادية المركزية ، الثانوية الشرقية- دوام والمعنويات جيدة وجرت هتافات للوحدة الطلابية . ١٥ طالباً فقط كانوا يدعون للإضراب وقد حاولت بعض العناصر من خارج المدرسة الاعتداء على الطلبة فاعتقلوا . موقف الإدارة حسن ، بقية مدارس الكرادة – دوام اعتيادي ، دار المعلمات الابتدائية- إضراب ، مدارس الكرخ- دوام ماعدا مدرستين ، وفي العطيفية لم يداوم سوى ١٠٠ طالب ، والمعاهد الصحية- دوام .

وأوضح الرفيق حسن ، ان الوضع في المعاهد والمدارس رافقته حوادث إعتداءات وإستفزازت وهوسات في باب الصفوف في بعض المدارس ، شجار في الصناعة ، وإعداد المعلمين والهندسة الصناعية ، أُستُعمل في بعضها الخناجر والسكاكين ، وشوهد مسدس ، ٦ مجروحين في الهندسة الصناعية ، في الطبية مناوشات فردية ، الأساتذة القوميون لا يداومون أو لا يدخلون الصفوف حتى إذا داوموا . وحدث شجار في الجامعة دعا البعثيون إلى حله وهذه أول ظاهرة تفاهم ، العناصر الوسطية تتحاشى الاصطدام .

موقف الشرطة والانضباط الحيلولة دون استمرار الإضراب والدعوة للدوام . تدخلت الشرطة في بعض المدارس (الصيدلة) واعتدوا على الطلاب القوميين وكان موقف رفاقنا جيداً ضد تدخل الشرطة واعتداءاتها . البعثيون في بعض المدارس بدأوا يتنصلون من شعار فصل الشيوعيين . معنويات رفاقنا يوم أمس أحسن . ذهنية الاستناد إلى السلطة الذيلية أمس كانت أضعف ، والاستناد على الطلبة أكثر بروزاً ، جماعة الوطني الديمقراطي يداومون حيثما

يوجد دوام .

ثم تطرق الرفيق حسن إلى الموقف في المدارس والمعاهد اليوم ٣١ / ١٢ ، وبين :

التربية- دوام ٨٠٪ ، معهد المساحة- دوام وشجار ، تجارة صباحي- نسبة المضربين أكثر ، العلوم- الدوام متخلخل أكثر ، التحرير- الدوام أحسن ، الفنون- دوام ، الآداب- إضراب مع منع الديمقراطيين من الدخول إلى الصفوف بالقوة والإعتداءات ، والثانويات- أكثر من ٩٥٪ دوام إعتيادي مع عدم توفر معلومات عن الأعظمية . الأساتذة القوميون لا يداومون عموماً ، موقف العمادات متخاذل ومرتبك . انعقد اليوم مجلس الجامعة ، لم تصلنا معلومات موثوقة ، بل أنباء متضاربة منها احتمال إعلان عطلة نصف السنة للامتحان .

وأوضح الرفيق حسن ، ان بيان الحزب (الصادر ٢٩ / ١٢ ) وُزع بشكل واسع في المعاهد والمدارس ، وكان له صدى استحسان وارتياح واسع في أوساط الجماهير الطلابية . كما ارسلت إلى الطلبة البعثيين على اختلاف جماعاتهم وإلى الطلبة البارتيين والطلبة من الحزب الوطني الديمقراطي وغيرهم ، صور من الرسالة التي قرر (م .س .) في اجتماعه الطارئ إرسالها . ويستمر تسليم هذه الرسائل إلى الجبهات الطلابية الأخرى . وأوضح الرفيق حسن ان بعض طلاب البعث قالوا بأن رأيهم الأولي هو عدم الجلوس مع الشيوعيين على طاولة واحدة ، وقال آخرون ان آراءهم الشخصية هي من الممكن إيجاد تفاهم مشترك في حالة حل اتحاد الطلبة العراقي العام ، الديمقراطي ، والاتحاد الوطني للطلبة (البعثي) والعمل لتكوين اتحاد طلابي جديد ، وإن الطلبة البارتيين ومن الوطني الديمقراطي استحسنوا فكرة عقد مؤتمر طلابي عموماً دون ان يحددوا موقفاً رسمياً . ولم نعرف بعد مواقف

الطلبة المناصرين للوطني التقدمي والجبهات الأخرى . كما لم تتوفر بعد المعلومات عن رد فعل البيان ونشاطنا بالنسبة لإدارات المدارس والمعاهد والحكومة ، حيث ان البيان والرسائل تم توزيعها اعتباراً من صباح اليوم .

وندرج أدناه الرسالة التي وجهها الحزب باسم الطلبة الشيوعيين إلى الجبهات الطلابية المختلفة :

إلى الإخوان . . .

تحية أخوية حارة .

منذ ما يزيد على الاسبوعين ، تكررت حوادث مؤسفة في بعض مدارس بغداد الثانوية جراء الاعتداء الوحشي على طلاب الثانوية الشرقية ، والذي شارك بتدبيره عناصر استفزازية غير طلابية ، مما أدى إلى إصابة الطلاب بجراح بالغة . ومن المؤسف حقاً ان بعض الفئات القومية تبنت عمل وشعارات هذه الفئات الاستفزازية ، مما أدى إلى تعقيدات وتأزم الوضع في عدد من المدارس وخاصة بعد ان شدد الإخوان القوميون الدعوة للإضراب ومحاولة فرضه على مدارس وكليات أخرى . لقد رفعت بعض الفئات القومية الداعية للإضراب بعض الشعارات الصحيحة ، ولكن ما افقد هذه الشعارات محتواها الصائب هو ربطها بشعار "مكافحة الشيوعية" الاستعماري الرجعي المعروف وبشعارات انقسامية ضد وحدة الطلبة ومصالحهم ، والواقع ان رفع جهات طلابية شعار "مكافحة الشيوعية والديمقراطية" الذي أصبح راية الزمر الاستعمارية والرجعية ، ولشعارات إنقسامية أخرى ، لا يمكننا البتة ، نحن الشيوعيين ، من ان نؤيد مثل هذا الإضراب الذي يشدد الانقسام في صفوف الطلبة ، في الوقت الذي تحتاج الحركة الطلابية إلى توحيد صفوف الطلبة من أجل تحقيق مطاليبهم العادلة ، والوقوف بحزم ضد مؤامرات الاستعمار

والرجعية . وبالفعل خلال هذه الفترة نشطت القوى الرجعية لإذكاء نار الفرقة بين القوى الوطنية . كما استفادت الدكتاتورية لإرهاب الطلاب وغمط حقوقهم المشروعة . لذا وقفنا ولا نزال نقف ، بقوة ضد مثل هذا الإضراب الذي لا يتفق ومصالح الطلبة ووحدتهم .

إن حزبنا الشيوعي ، ينطلق دائماً من وحدة نضال جماهير الشعب ووحدة القوى الوطنية ، ضد الإستعمار والرجعية ، وضد السياسة الدكتاتورية في سبيل إرساء الإستقلال على أساس ديمقراطية وطيدة . وفي هذه المسألة أيضاً ينطلق حزبنا من هذا الأساس الصلد الثابت . فقد دعا حزبنا في بيانه الصادر في ٢٩ / ١٢ ، إلى وحدة جماهير الطلبة لحل مشاكلها الآنية بمعزل عن السلطات الحكومية ، وتوحيد صفوفها في الكفاح لتحقيق مطالبها العادلة . وقد أدان حزبنا في بيانه الأعمال الانقسامية ، كما أكد في الوقت نفسه على ضرورة توحيد صفوف الطلبة الوطنيين على اختلاف اتجاهاتهم وميولهم والتوصل إلى اتفاقات محددة وعملية لصالح إنهاء الوضع المرتبك في أوساط الطلبة ، ولتحقيق الأهداف المشتركة التي تتفق عليها جماهير الطلبة .

وتأكيداً لما جاء في بيان حزبنا ، سيعمل رفاقنا الطلاب من أجل الالتقاء والتداول مع ممثلي طلاب مختلف القوى الوطنية في المتوسطات والثانويات والكليات لحل المشاكل الموجودة وتحديد المطالب المشتركة المعززة لوحدة الطلبة وللاتفاق على سبيل النضال من أجل حلها .

إننا نوجه إليكم أيها الزملاء الأعزاء ، مذكرتنا هذه ، انطلاقاً من شعورنا بالمسؤولية اتجاه مجموع الطلبة والحركة الطلابية ووحدتها ، ندعوكم والقوى الوطنية الأخرى لعقد مؤتمر فوري لطلاب بغداد للبحث في :

أولاً- حل المشاكل القائمة حالياً بين الطلبة في بعض المدارس .

ثانياً- تحديد المطاليب الطلابية المشتركة .

ثالثاً- الاتفاق على سبيل النضال المشترك لتحقيق هذه المطاليب ، بما في ذلك ضرورة أو عدم ضرورة إعلان إضراب طلابي عام .

وللأهمية البالغة لعقد مثل هذا المؤتمر ، بأسرع ما يمكن ، نرجو ان يصلنا جوابكم خلال يومين وبنفس الطريقة التي وصلتكم بها مذكرتنا هذه والتي سنرسلها بطرق عدة لضمان وصولها إليكم بسرعة . كما نرجو ان تحددوا نقاط البحث الإضافية التي تقترحونها ، ومكان وزمان انعقاد المؤتمر . كما نرجو ان توضحوا اقتراحاتكم بخصوص عدد ممثلي الأطراف السياسية والمستقلة ، وأية نقطة ترونها ضرورية .

إننا لعلى ثقة -أيها الإخوان- من أنكم ستشعرون بأهمية عقد مثل هذا المؤتمر الذي سيساعد ولاشك على توطيد وحدة الحركة الطلابية ، والانطلاق نحو تحقيق انتصارات مهمة جديدة لمجموع الحركة الطلابية ، وأنكم ستلعبون دوركم الكامل والمهم في إنجاح هذا اللقاء الأخوي ، ونحن بانتظار ردكم السريع .

تقبلوا أحر تحياتنا الأخوية .

٣٠ / ١٢ / ١٩٦٢/ .		ممثل الطلاب الشيوعيين .

وأشار الرفيق حسن إلى موقف الطلبة البارتيين ، فقال إنهم في البداية كانوا لا يؤيدون الإضراب ، وإن القوميين الأكراد في القسم الكردي من كلية الآداب وضعوا شروطاً للمساهمة في الإضراب ، وهذه الشروط هي :

١- عدم الاعتداء على المدارس في كردستان ، ٢- إطلاق سراح الطالبات الموقوفات في السليمانية ،

٣- إرجاع الطلبة المفصولين من الأكراد . وقد وافقت الفئات القومية العربية على هذه الشروط على ان تستبدل كلمة كردستان بالألوية الكردية . ثم قال الرفيق حسن ، ان موقف البارتيين جرى عليه تغيير هذا اليوم ، فقد

أعلنوا أنهم يؤيدون الإضراب باعتبار ان كل عمل ضد قاسم هو عمل جيد .

وبين الرفيق حسن ان المعلومات والنشاط اليوم افضل ، وان الجماهير الطلابية مرتاحة من موقفنا ، وان المعلومات المتوفرة غير وافية عن تأثير البيان ونتائج النشاط ، لأن البيان تم توزيعه اليوم .

ثم جرى نقاش حول الوضع ، فساهم فيه رفاق (سلم) جميعاً ، فأكدوا على خطورة الوضع بالارتباط بالنشاط التآمري المستفحل ، وطلبوا من الرفيق حسن توفير تقارير عاجلة عن تأثير بياننا وموقف مختلف القوى من الرسالة الموجهة إليهم وقررت (سلم) عقد إجتماع طارئ في ٢/١ / ١٩٦٣ لمتابعة تطورات الوضع واتخاذ ما يلزم .

٢-وأشير في جلسة (سلم) الى إفتتاحية صوت الأحرار في ٢٠ / ١٢ ، حول "وحدة الصف" والمقال يعكس تحسس السلطات الحكومية بضغط الحزب ونضاله المتنامي في فضح الديكتاتورية ، ويعكس عجز الدكتاتورية وفقدانها المبادأة من جهة ، وشعورها بالخطر الرجعي من جهة ثانية . كما جاءت أفكار مماثلة في مقالات "الجمهورية والمستقبل" في الآونة الأخيرة ، وفي مقال صوت الأحرار تعريض بالحزب غير صريح عند الكلام عن التنازلات والتعايش السلمي والدعوة لنقل تطبيق مبادئ التعايش السلمي إلى العلاقات بين القوى الوطنية ، مما يجعل لهذه الأفكار خطورة انعاكساتها أحياناً في صفوف الحزب ، كما ورد في أحد التقارير الحزبية . لذلك تؤكد (سلم) على أهمية التثقيف بمسألة مفهوم التعايش السلمي في العلاقات الدولية وتوضيح ذلك جيداً مع علاقتها بالصراع الطبقي . وتوفير بحث حول هذا الموضوع للوقوف بوجه الأفكار الخاطئة التي قد تنمو إذا لم تكافح . ومن جهة أخرى ، فإن ضغط الحزب ونضاله لفضح وتعرية الدكتاتورية ينبغي ان يستمر بقوة للتوصل إلى نتائج إيجابية وعزل الرجعية وعملاء الاستعمار .

٣-بحثت (سلم) ما جاء في رسالة أحد الرفاق والمؤرخة ٢٤/ ١٢ ، من ان الرفيق المذكور علم "من أحد الأصدقاء" الذي يثق به "ثقة تامة" نبأ مفاده ان لقاءً تم في الاسبوع الماضي بين مبعوث من الولايات المتحدة والملا ، وبعد مداولات بينهما توصلا إلى :

١- إعلان الحكومة الكردية والانفصال ، وان الحكومة الامريكية تتعهد من جانبها الاعتراف بهذه الحكومة فوراً وتبادر إلى تقديم العون العسكري والمادي وتمارس الضغط على الحكومات السائرة في ركابها للاعتراف الفوري بحكومة كردستان العراق وفق الحدود المتفق عليها ، والمبتدئة من حدود جبل حمرين جنوباً إلى الحدود التركية العراقية الإيرانية شرقاً وشمالاً ، والمحاولة لإثارة الموضوع في هيئة الأمم المتحدة لقبولها عضواً فيها .

٢- يتعهد الملا وقيادة الحركة للامريكان بإعادة النظر في امتيازات شركات النفط لإعطاء حصة للإمريكان من النفط تعادل ٣٠٪ . كما تتعهد حركة القوميين الأكراد في حالة تشكيل الدولة الكردية الامتناع عن بيع النفط ومنتجاته وعدم التعامل مع أي دولة أجنبية في الأمور الستراتيجية والعسكرية إلا بعد استشارة الحكومة الإمريكية .

٣- وبناءً على هذه الاتفاقية تم في الأيام الأخيرة ، وكنقطة انطلاق لتنفيذها ، تخلية كافة مراكز حرس الحدود التابعة لإيران وتركيا لاستعمالها من قبل القوميين الأكراد كمستشفيات ومذاخر ومخازن تموين باعتبارها أماكن آمنة من القصف الجوي . وقد طرحت هذه الاتفاقية على كافة لجان حزب البارتي والقوميين الأكراد في كافة أنحاء الجمهورية ، وكانت الموافقة في لجنة بغداد إجماعية .

وقد قررت (سلم) أولاً-عدم إبداء أي رأي في ما جاء في هذه الرسالة . ثانياً-حصر ما جاء فيها بكتمان شديد داخل ل .م . ثالثاً- التحقيق المذكور ، عن الرفيق نفسه ، ومع الرفيق من الصديق "ألموثوق" وكل التفاصيل والدقائق ، وإجراء تحقيق عن المسألة ، مع إبقاء المعلومات الواردة في الرسالة طي السرية التامة .

٤-وبحثت (سلم) تقرير الرفيقين مجيد وصائب عن الرفيق سليم عضو مكتب (لمفا) . وقد قررت (سلم) سحب الرفيق سليم من الفرات ، لحاجة الحزب إلى توظيفه في مجال حزبي آخر . وتوصي (لتم) و(الفرات) باتخاذ التدابير السريعة لتنفيذ هذا القرار .

٥-وبحثت (سلم) رسالة الرفيق سالم ، عضو م/الفلاحي ، حول حاجته مخصصات وحاجة عائلته إلى مساعدة مالية ، بعد انقطاع موارده الشخصية . وقد قررت (سلم) تكليف المكتب الفلاحي بتحديد مخصصات للرفيق سالم . أما مسألة مساعدة عائلته ، فقررت (سلم) إحالة اقتراح الرفيق سالم إلى م .ل . الجنوبية لدراسة مساعدة العائلة بحدود ٢٠ ديناراً الذي اقترحه الرفيق سالم .

٦-وافقت (سلم) على اقتراح (لتم-ل . الوسطى-ل . الأطراف) بعدم تسليم الرفيق خالد عضو الأطراف ، لأنه محترف ، داراً حزبية ، لمدة طويلة . أما مسألة الحرج الذي سينشأ لكفلائه ، فإن (سلم) ترى بأن ذلك ممكن تذليله بإرسال وفد إلى الكفلاء لتثقيفهم وإقناعهم والتفاهم مع الرفيق نفسه .

٧-وكتبت (سلم) اقتراح م .ل .م . الموصل بمساعدة الرفيق رعد عضو ل .م .م بمبلغ ٨٠ ديناراً لزواجه . وان (سلم) توافق على ذلك إذا كان الرفيق رعد محترفاً ، وإذا كان زواجه في صالح الحزب مباشرة . فإن تقرير م .ن .م . لم يوضح هل الرفيق محترف أم لا .

٨-وبحثت (سلم) اقتراح ل .م .ج . وتأييد (ل م) ، بمنح شرف العضوية إلى المرشح (عاصف) الذي كان قد قدم (البراءة) قبل الثورة . كان مرشحاً للحزب قبل الثورة ، اعتقِل وسُجن سنة ١٩٥٦ لمدة سنة ، اثناء السجن قدم البراءة ولكنه لم يطلق سراحه ، واثناء بقائه في السجن والإبعاد بعد ذلك كان سلوكه حسناً ، وقد جدد ترشيحه في آب ١٩٥٨ ، وبقي مرشحاً لحد الآن ، وهو عامل وقد فصل من عمله لنشاطه النقابي ، وقد أدى واجباته الحزبية خلال هذه الفترة واسترجع سمعته بين الجماهير وحكم عليه العرفي . وبناءً على كل ذلك ، قررت (سلم) منح الرفيق عاصف شرف العضوية .

٩-واطلعت (سلم) على فقرات من محضر (ل .ق .د .و .) . وترى (سلم) ان المحضر غير وافٍ وغير منتظم ولا يعكس خلاصة المسائل المبحوثة . لذا توصي (سلم) ، (ل .ق .د .و) بضرورة تحسين محاضرها . كما ترى (سلم) ضرورة تنفيذ قرار دعم الموقعين على المذكرات الجماهيرية للمشاكل المعاشية بخمسة اضعافها خلال الفصل السابق . إن المثل الرائع في النجف حيث قدم (١١٥٨٠) مواطناً مذكرة حول بعض المشاكل المعاشية والإقتصادية ، إن دل على شيء ، فهو يدل أولاً على استعداد الجماهير العالي للنضال ، وعلى ضرورة التركيز في منظماتنا لكسر الانعزالية في عملنا . إن هذا الرقم الذي تعطيه النجف يعطينا معدل توقيع واحد من كل عائلة بالنسبة لمجموع سكانها . ولا يمكن إحصاء الأمثلة الكثيرة للتواقيع التي تؤكد على الانعزالية لدينا وليس السلبية لدى العمال أوالجماهير الأخرى . وعدا ذلك فإن الكراس يعطي الاهتمام الصحيح لواقع الطبقة العاملة . إنه لا يبحث الوحدة انطلاقاً من الجماهير ، بل يتحدث عنها في نطاق محدود وهو الحركة النقابية . إنه ينطلق من مفهوم الوحدة من قوانا نحن . فنحن نستطيع ان

نتفق أو ان نعمل او ان نتوحد . . الخ . إن هذا المنطلق خاطىء لمسألة الوحدة . إن الوحدة تنطلق من الجماهير العمالية التي لا توجد بينها تناقضات طبقية ، بل على العكس توحدها ، موضوعياً ، وحدة المصالح ووحدة المطاليب ، ووحدة النضال لتحقيقها . إن منطلق الوحدة العمالية يأتي من مفهوم كسر الحدود المصطنعة التي تقيمها الجهات الرجعية أو البرجوازية أو الإنتهازية بين العمال انفسهم ، وهذا المنطلق له ضمانه المادي . أما ان ننطلق في مسألة الوحدة العمالية من ذاتنا ، من قولنا ، وبالتالي مع من نتفق ، ومع من لا نتفق ، فهو منطلق انعزالي أيضاً .

والكراس تسوده في كثير من صياغاته روح حيادية ضعيفة تضعف من أهميته التوجيهية ، فضلاً عن انه لم يضع في بعض توجيهاته مهمة تعزيز ثقة العمال بنضالهم ووحدتهم ومقدرتهم على تحقيق مطاليبهم . وسبق ان استعرضنا جزءاً من هذه الصياغات .

والكراس أيضاً فيه خلط كثير بين السلطة والبرجوازية ومختلف فئاتها من حيث سياستها ومواقفها ، حيث لا يجوز مثل هذا الخلط . من المعلوم بداهة ان هنالك مسائل مشتركة يمكن الحديث عنها باعتبارها تعبر عن وجهة نظر البرجوازية ، أو سلطتها ، أو فئاتها على السواء ، إلا إنه من المعلوم أيضاً ان هنالك تناقضات بين فئات البرجوازية ، بين بعض فئاتها وبين السلطة ، وحول مسائل معينة ، فعندما نتحدث عن هذه المسائل المعينة لا يجوز لنا الخلط ، بل ينبغي التحديد ، وإلا فستترتب أخطاء أيضاً على تكتيكنا في الموقف من السلطة أو من هذه الفئة أو تلك من فئات البرجوازية .

وهنا أيضاً لا نفرق جيداً في الكراس بين الفئات القومية . والكراس لا يميز بصورة جيدة الجوانب الإيجابية لدى البعض منها ، كشعار استقلال الحركة النقابية الذي يرفعه البعض ، وكيفية الاستفادة من ذلك لصالح وحدة الحركة

النقابية ، ووحدة الطبقة العاملة . وعدا ذلك أيضاً يشجب الكراس بخطأ إصدار جريدة عمالية أو نقابية سرية ، كما يحدد نسبة زيادة الأجور بصورة خاطئة ، وأخطاء كثيرة في الصياغات .

واستناداً إلى كل ذلك أرى ان نشر الكراس بهذا الشكل لا يخدم عمل الحزب بين الطبقة العاملة أو الدور القيادي للطبقة العاملة في الحركة الديمقراطية والوطنية ، بل من شأنه أن يدعم ويعمق البلبلة وان يوجه منظماتنا وجهة خاطئة . لذا أرى ضرورة اتخاذ إقرار بإيقاف طبعه ونشره . وتكليف اللجنة المختصة التي صاغت الكراس (الرفاق جبار ، ثامر ، رشيد) ، بإعادة النظر فيه بصورة جذرية واستناداً إلى هذه الملاحظات . وربما كان من الأنسب أيضاً تركيزه بشكل يساعد على بلورة التجربة وعلى التوجيه . ومن الصحيح الاستفادة من بعض الأوليات التي يقدمها عن وضع الطبقة العاملة لكتابة بعض المقالات لجريدتنا المركزية أو للجريدة العمالية المزمع إصدارها . كما أقترح إتخاذ قرار بإصدار كراس صغير مؤلف أو مترجم ، يتناول المزايا الأساسية للطبقة العاملة ، لتثقيف منظمات الحزب وهيئاته بها للمساعدة على اجتثاث الأفكار الغريبة التي تُضعف الثقة بهذه المزايا الأساسية للطبقة العاملة وجهاديتها وسيساهم هذا العمل أيضاً في الكفاح ضد الانعزالية .

مع التحيات الشيوعية .

عمار ١٩ /٨

٢-قررت سلم ضم الرفاق طلعت وجمال إلى (لتنم) وقررت مبدئياً ضم الرفيق (موسى) من (م .م .) إلى (لتنم) أيضاً ، بعد إحلال الرفيق لامع ، وذلك لرفع الاهتمام بالحركة النقابية والنشاط الحزبي بين العمال .

٣-قرأت رسالة الرفيق عمار التي ورد فيها : (ان ل . م . بغداد قد

قررت ونفذت منذ بضعة أشهر إقامة خلايا القاعدة على أساس إمكانية ضم ما لا يزيد على تسعة رفاق إليها . وقد جرى ذلك بموافقة من لتم أو توجيه منها) . وورد كذلك (إن قرار ل .م . بغداد مخالف للنظام الداخلي المعدل من قبل اجتماع كامل للجنة المركزية وبهذا يعتبر خرقاً كبيراً يمكن ان تترتب عليه أضرار بالغة فيما يتعلق بالصيانة التي هي المبرر الأساسي الذي استند عليه الإجتماع الكامل لتعديل النظام) .

ثم طالب بالتحقيق ومحاسبة (ل .م . بغداد ولتم) على مخالفتهما الحزب لمدة ثلاثة أشهر لئلا يكرر الخطأ في المستقبل . وكما جاء في رسالته ، فإن العقوبة وشدتها ليست هي الضمان بعدم تكرار الأخطاء ، بل ان مدى عمق روح النقد الذاتي عند الرفيق هي الضمانة لعدم التكرار .

كما توصي (سلم) ، بضرورة محاسبة الرفيق (ن) من (أ) و(ب) من (ك) على مواقفهما الذاتية المتذبذبة في الانتخابات ، وأخيراً توافق (سلم) على تقديرات (ل .م .ز) بان الرفيق بريد "ليس جباناً ، وله جهادية وصلابة الشيوعي ، وان رسالته فيها الشيء الكثير من جرأة الشيوعي ، وإنه رفيق جيد .

# ملحق رقم ٦

## محضر اجتماع (سلم) في ١٩٦٣/٢/

## (إضراب الطلاب)

استعرضت (سلم) تطورات حوادث الاستفزازت والإضراب في بعض المدارس والكليات في يومي ١و١٩٦٣/٢ . وقُرِأت في (سلم) التقارير الواردة من منظماتنا ورفاقنا . وخلاصة هذه التطورات هي : إن الدوام في الثانويات والمتوسطات قد عاد تقريباً إلى مجراه الطبيعي بنسبة ٩٨٪ من المدارس ، ما عدا الأعظمية وثانوية الكرخ ومتوسطة الجعيفر حيث الإضراب يستمر . أما في المعاهد والكليات فإن الدوام فيها أحسن ولكنه لايزال متخلخلاً ، وفي بعض المعاهد الإضراب مستمر . إن موقف مختلف القوى يمكن تلخيصها كالآتي :

-**البعثيون وانصارهم:** الاعتداءات والاستفزازات أخف بكثير رغم حدوث بعض الحوادث ، وهم يتنصلون من الحوادث التي وقعت ومن تبعة الاستفزازات والاعتداءات التي تعرض لها الطلبة الشيوعيون والديمقراطيون . ولم يجاوب البعثيون على بيان حزبنا ورسائل ممثلي الطلبة الشيوعيين بشكل تحريري أو شفوي أو رسمي ، وإنما أصدروا بيانين كرد علينا ، وقد دعوا في كلا البيانين إلى مواصلة الإضراب ، وهاجموا السلطة وتدخلها وتجنبوا ذكر

الشيوعيين ولكنهم هاجموا في أحد البيانين اتحاد الطلبة العراقي العام واتهموه بالعمل على كسر الإضراب ، وإن موقف الاتحاد " موقف انفرادي" عن إجماع الطلبة على الإضراب العام . وخلال المناقشات مع عناصرهم عبروا عن مواقف وآراء متضاربة متبلبلة ، فقال قسم منهم أنهم يستحيل عليهم ان يجلسوا مع الشيوعيين على طاولة واحدة للمداولات والمفاوضات . وقال آخرون دع الشيوعيين يؤيدون وينضمون إلى الإضراب بادئ ذي بدء ومن ثم نجتمع معهم . وأبدى آخرون ان أفضل حل هو حل الاتحادين الطلابيين الاتحاد الوطني (البعثي) والاتحاد العام (الديمقراطي) ، وإجراء انتخابات جديدة على ان يتم ذلك بعد الإضراب وشريطة انضمام الشيوعيين للإضراب . وأكد البعثيون في عدد من المدارس والمعاهد ان شعارات الإضراب غير موجهة ضد الشيوعيين . وبخصوص اقتراح حزبنا بعقد مؤتمر طلابي لممثلي مختلف الإتجاهات السياسية والطلابية في المدارس والمعاهد فإن قسماً من البعثيين ، رحبوا بها بصفة شخصية ، وهناك عدد من التصريحات الصادرة من بعض البعثيين يستنكرون فيها وصمهم في بيان حزبنا بالتعاون مع الرجعية .

وفي كلية التربية اعترف بعض البعثيين بخطأ أعمالهم الاعتدائية وتعهدوا بعدم تكرارها . وقد ردد بعض البعثيين في المعاهد هتاف "إضرابنا سلمي" . وصرح بعثيون آخرون بأن هدف الشيوعيين من رفع شعار الدعوة إلى المؤتمر الطلابي هو كسر الإضراب . وقال آخرون إن فكرة المؤتمر صحيحة ولكن الظروف السياسية غير ملائمة لذا فهي غير عملية . وصرح بعض البعثيين بأن البعث لا علاقة له بالإضراب ، فليس هو الداعي ، وإنما الدعوة صادرة من "ألإتحاد الوطني للطلبة" ولذلك ينبغي المفاوضة مع "الاتحاد الوطني" وليس مع حزب البعث . وأبدى بعثيون آخرون بأنهم مستعدون لسحب اسم "الاتحاد الوطني" من دعوة الإضراب ليصبح الإضراب باسم الطلاب كافة إذا تعهد

الشيوعيون بالانضمام إلى الإضراب . وأعلن بعض البعثيين ان أوان الاتفاق قد فات .

-بقية الجماعات القومية : كانوا أقل حماساً للإضراب ، ومعنوياتهم أكثر انخفاضاً . وقد داوم أقسام منهم في بعض المدارس والمعاهد . وقد وجه بعض القوميين انتقادات للبعثيين على استخدام أساليب الاستفزاز والقوة والإعتداء وأبدى آخرون رأياً مفاده ان الاتفاق على الإضراب يمكن ان يكون نواة للاتفاق العام بين القوى الطلابية . ووعد جماعة من البعث إعلان الإضراب الانفرادي على عاتق البعثيين . ومع ذلك فإن أكثرية الطلاب الواقعين تحت تأثير الفئات القومية يواصلون الإضراب .

-القوميون الأكراد من البارتي وأنصاره : أصدروا بياناً باسم "اتحاد طلبة كرستان" أعلنوا فيه انضمامهم إلى الإضراب ، وعقدوا بعض الاجتماعات مع القوميين العرب ، ورغم تأكيداتهم في بياناتهم وتصريحاتهم على الإرهاب الذي يتعرض له الطلبة في كردستان وقصف المدارس وتحويلها إلى ثكنات . . . الخ ، فإن الإضراب لم يرفع ولا شعاراً واحداً يمس الطلبة الأكراد . وقد صرح بعض البارتيين بأن الشيوعيين هم ضد الديكتاتورية بالكلام فقط ولكنهم لا يقومون بأي عمل إيجابي ضدها . وهم وانصارهم يواصلون الإضراب جنباً إلى جنب مع الفئات القومية العربية ويوجد كذلك بعض التردد في أوساط البارتيين ، فقد صرح بعضهم ان الأضراب فردي . وقد ارسلوا جوابهم على رسالة ممثل الطلبة الشيوعيين ، هذا نصه :

" ايها الزملاء ، تحية أخوية طيبة ، تسلمنا رسالتكم المؤرخة ١٩٦٢/ ١٢/٣٠ ونشكركم . اننا نأسف للحوادث التي حدثت في بعض المدارس والتي أدت إلى اعتقال وفصل عدد من الطلاب . إن شعارنا كان دوماً ان تحل المشاكل الطلابية بين القوى الطلابية الوطنية عن طريق المفاوضات والتفاهم

بعيدا من تدخل السلطة . أما الاستفزازات واستعمال القوة فلم تكن أبداً من وسائل نضالنا الثوري لحل المشاكل مع القوى الوطنية . ان حزبنا الديمقراطي الكردستاني طالب مراراً وتكراراً بتشكيل جبهة وطنية تضم كافة القوى الوطنية لمجابهة اخطار الاستعمار ومحاربة الديكتاتورية . لقد اعلن الإضراب من قبل جهات طلابية معينة يمكنكم الاتصال بهم وبحث المواضيع التي اقترحتم بحثها في رسالتكم . وبالنسبة لطلبة كردستان ، فيمكنكم الاتصال باتحاد طلبة كردستان-عراق لبحث المواضيع معهم .

هذا وتقبلوا تحياتنا الأخوية الطيبة .

طلبة الحزب الديمقراطي الكردستاني .

١٩٦٣/١/١

**المعلمون والإدارات الحكومية:** إن أكثرية المدرسين والأساتذة القوميين والرجعيين لا يداومون أصلاً ، وإذا داوموا لا يدخلون الصفوف ، ويمارس قسم منهم التحريض والضغط على الطلبة . وفي المدارس والمعاهد التي تشغلها العناصر القومية والرجعية أو الحكومية ، فإنها تقدم كل المساعدات لتعزيز النشاط الإضرابي والاستفزازي ، فتعطل التدريس لأبسط سبب ، ولا تقوم بأي عمل لحمل الأساتذة على الدوام ، وتقف مكتوفة الأيدي تجاه الاعتداءات ، وغلق أبواب الصفوف بالأقفال ، وتدخل قوات الأمن والانضباط ، . وهكذا فإن هذه الإدارات تساهم في الحوادث بإتجاه تعزيز النشاط الإستفزازي ولها دور كبير جداً في منع أكثرية الطلاب الراغبين في الدوام .

ومن المؤسف ، ان نشاط القوى الديمقراطية في أوساط المعلمين في المدارس والمعاهد دون المستوى المطلوب بكثير ، فليس للمعلمين الديمقراطيين

دور يذكر في تعزيز خط القوى الديمقراطية في حوادث المعاهد الحالية ، بل ان هناك مواقف سيئة وقفها بعض المدرسين الديمقراطيين ضد الطلبة الديمقراطيين . وان الآراء الذيلية والاستسلامية ومواقف التفرج والترقب السلبي تسيطر على هؤلاء إلى حد ملموس .

- قوى الوسط الطلابي : إن أكثرية الطلبة المستقلين يؤازرون خط القوى الديمقراطية ويداومون أو يرغبون في الدوام ويحبذون مقترحاتنا ، بيد ان عوامل عديدة وعلى رأسها مواقف العمادات والإدارات ووزارة المعارف تؤثر تأثيراً سلبياً على مساهمتهم النشيطة في دعم الاتجاه الصحيح . أما الطلبة من الوطني الديمقراطي ، والوطني التقدمي ، فقد داوموا حيث الأكثرية مع الدوام ، وأضربوا حيث الأكثرية مع الإضراب . ويؤيد الطلبة المستقلون أهمية عقد المؤتمر الطلابي الذي اقترحه حزبنا . وصرح بعض أعضاء الوطني التقدمي ، ان خطوة الشيوعيين بالدعوة إلى عقد مؤتمر طلابي خطوة إيجابية لحل مشاكل الطلاب . وقال آخرون ان لدى الطلبة الشيوعيين إمكانيات أوسع لكسر الإضراب ولكنهم لا يستخدمونها وقد طالبوا الشيوعيين بالضغط على السلطة من أجل استخدام القوة ضد الإضراب . ويقف أعضاء أحزاب الوسط في بعض المعاهد موقفاً سلبياً لا إبالياً . وتعليقاً على اقتراحنا بدعوة مؤتمر طلابي يضم مختلف الأطراف ، صرح بعض أعضاء الوطني التقدمي بأن حزبهم مجمد ، ولذلك فإنهم لا يستطيعون الحضور بصفة حزبية ، ولكنهم إذا عقد مؤتمر سيحضرون بصفة شخصية . وأعلن بعض طلبة الوطني الديمقراطي ان الإضراب عمل انفرادي ، ووعدوا بأن يجيبوا على إقتراحاتنا بدعوة مؤتمر طلابي على صفحات جريدة "المواطن" . وهم أي جماعة الوطني الديمقراطي يتجاوبون مع الدعوة للمؤتمر والتفاوض بين الطلبة . كما ان بعض الطلبة المؤيدين للسلطة يؤيدون الدعوة للمؤتمر .

- نشاط رفاقنا والقوى الديمقراطية : مارس رفاقنا والطلبة الديمقراطيون نشاطاً متزايداً خلال اليومين الماضيين . فقد عقدت عشرات الحلقات الطلابية والندوات والاجتماعات ، وقد ضم بعض هذه الإجتماعات ٥٠- ١٠٠ طالب . وجرت نقاشات واسعة بين الطلبة حول الموقف وقُرأ بيان الحزب ، وألقيت الأحاديث والخطب . وقد أكد رفاقنا في بعض المدارس والمعاهد أهمية الوحدة الطلابية ، وقالوا إذا وحدنا الحركة الطلابية فإن بالإمكان عقد المؤتمر حتى أمام باب وزارة الدفاع . وقد وقف رفاقنا والطلبة الديمقراطيون ضد تدخل الانضباط العسكري في كلية التربية . وقام رفاقنا بعمل تحريكي واسع للعودة للدوام ، ودخلوا الصفوف متحدين- في بعض المدارس- أساليب الاستفزاز والاعتداء . ورغم وجود الأساتذة فيها أحياناً ، وقد لف رفاقنا جمهرة واسعة من الطلبة حولهم ودفعوا أعداداً أكبر من اللاحزبيين والأصدقاء والعناصر المستقلة . وان المعنويات عالية وأحسن بكثير من الأيام الأولى . وكانت مواقف الرفاق في الإصطدامات جيدة عموماً . ويفيد رفاقنا أنهم وزعوا بيان الحزب بنطاق واسع وكان البيان له صدى جيد . وتقول تقارير الرفاق ، ان آراء بيان الحزب في كسب المزيد من التأييد والتأثير في الجماهير الطلابية وفي القوى المعارضة أيضاً ، وإن دائرة مناقشتها وشرحها تتسع بإستمرار ، في حين تزداد البلبلة في صفوف الفئات القومية . وإن الكفاح ضد الأفكار الذيلية مستمر . ومع الكفاح ضد هذه الأفكار يتحسن النشاط . فموقف رفاقنا في الآداب لا يزال تعوزه الكفاحية العالية . وكذلك موقف رفاقنا في البيطرة ضعيف وسلبي ، وفي الطبية في الصف الأول ، وان هناك عدم استيعاب لاقتراح الحزب وسوء تفسير لدعوتنا بعقد المؤتمر ، كما لو كان المؤتمر الذي نقترحه بديلاً عن الإضراب ، ويستهدف "كسر الإضراب" ليس إلا . كما إن ضغط رفاقنا على الإدارات والمعلمين ضعيف ، وكذلك ضغطهم

على وزارة المعارف . وهناك أمثلة حسنة كثيرة أيضاً ، منها مثلاً ان رفيقاتنا في إحدى مدارس الكرخ استطعن "إقناع القوى الموازرة للقوميين بضرورة نبذ هذا الإضراب ، وفعلاً باشرن بالدوام" . وقررت ممثلات الطالبات في التنظيم المحلي في الكرادة تعليق لافتات تحمل الشعارات التالية "وحدة الطلبة هي السبيل السليم لتحقيق مطاليبهم الملحة العادلة وعقد مؤتمر فوري لطلاب بغداد يمثل كافة الاتجاهات الطلابية ضرورة ملحة آنية وعزل الرجعية عن صفوف الطلبة يحقق انتصار إرادتهم وشعار مكافحة الشيوعية يجزىء نضال الطلبة ويخدم الاستعمار والرجعية" . ولكن هذه الشعارات الحسنة أيضاً تخللها شعار يعكس عدم فهم الغاية من دعوتنا للمؤتمر ، وهو شعار "ندعو إلى عقد مؤتمر فوري لطلاب بغداد بدلاً من الإضراب" !

هذا وقد تلقى ممثلو الطلبة الشيوعيين جواب اتحاد الطلبة العام على رسالتهم ، وقد تضمن الجواب تقدير المبادرة وإبداء الاستعداد التام " لعقد مثل هذا اللقاء الذي نرى فيه سبيلاً صحيحاً لتوحيد الحركة الطلابية" .

وبعد استعراض تطورات الموقف ، أكد رفاق (سلم) ان ثمة نقصا كبيرا في عملنا ، وهو ان رفاقنا لم يفهموا جيداً الغاية للدعوة للمؤتمر الطلابي ولا القصد من هذا المؤتمر ، ففسر بعضهم ذلك بمؤتمر عام وآخرون كبديل للإضراب ، كما أكدت (سلم) على عدم كفاية الضغط على الإدارات .

ونبهت (سلم) إلى ضعف استيعاب اللجنة الخاصة لمهامها القيادية ، وأوصت بضرورة شرح خطتنا للطلبة وتصحيح التفسيرات الخاطئة .

-وبحث (سلم) استمرار النشاط التآمري ، وقررت إصدار بيان لرفع يقظة الجماهير الشعبية والحكومة وكلف بذلك الرفيق عمار .

نرفق بالمحضر ، الرسالة الثانية التي وجهها رفاقنا إلى ممثلي القوى الأخرى بين الطلاب ، لتصحيح موقفنا وممارسة ضغط اكبر عليهم من أجل

الوحدة الطلابية .

أيها الاخوان

تحية نضالية ،

إلحاقاً برسالتنا لكم المؤرخة في ٣٠ كانون الأول ١٩٦٢ ، والتي دعونا فيها مختلف الأطراف الطلابية إلى عقد مؤتمر عاجل للطلاب يحضره مندوب أو أكثر من كل الأطراف الطلابية ، نعلمكم بأن الاخوان الوطنيين الديمقراطيين قد اعلنوا رأيهم وثمنوا عقد مثل هذا الإجتماع . كما إننا استلمنا جواب الاخوان الطلبة في الحزب الديمقراطي الكردستاني ، والذي يطلب منا مخاطبة اتحاد طلبة كردستان العراق . وكان من الأفضل لو وصلنا رأيهم مذيلاً بأي توقيع شاءوا . ولم يصلنا جواب من أي طرف طلابي آخر مع الأسف سوى بعض الأجوبة الشفهية ذات الطابع الأولي أو الشخصي .

لقد طرأ بعض التحسن في الجو الطلابي ، إذ تخففت نسبياً حدة الأزمة بين جماهير الطلاب ، وبدل النزاعات أخذت تحل تدريجياً المناقشات الهادئة . وارتفع الشعور العام لأهمية الوحدة الطلابية . وتقلصت تدريجياً أيضاً شعارات معاداة الشيوعية والديمقراطية تلك الشعارات ذات الطابع الاستعماري الرجعي والتي تجزئ نضال الطلبة . وارتفعت أكثر مما سبق يقظة الطلبة تجاه الدسائس الرجعية الوافدة والغريبة في صفوفهم . كما أخذ يتضح أكثر من السابق تفهم متبادل بين الطلبة لضرورات النضال المشترك ضد تدخل الدكتاتورية في شؤون الطلبة ، ومن أجل تأمين مطاليب الطلبة وحقوقهم الديمقراطية .

هذه هي بعض النتائج الإيجابية التي حصلت خلال اليومين أو الثلاثة الأخيرة . وفي ظروف استمرار الإضراب بالنسبة لقسم من الطلبة فإنه يؤسفنا

ان نشير إلى ان الظروف الانقسامية بين جماهير الطلبة لازالت قائمة . كما إن الشعارات والمفاهيم ذات الطابع الرجعي الانقسامي ضد القوى الديمقراطية لا زالت تتردد في بعض النشرات وبوجه خاص في الدعاية الشفهية التي يقوم بها الإخوان القوميون . فضلاً عن ان الأجهزة الحكومية قد وسعت تدخلها ضد الطلبة وضد إدارات الكليات والمعاهد والمدارس .

ويؤسفنا ان نرى أيضاً بأن إخواننا المضربين يسودهم التردد دون ان يشخصوا بصورة صحيحة الطريق الذي ينبغي انتهاجه لتحليل العمل الذي بدأوه بصورة خاطئة وإيصاله إلى نتيجة تخدم مصلحتهم ومصلحة الطلبة عموماً .

وباعتقادنا ان هذه النتائج والمظاهر السلبية المتبقية في الوضع الطلابي كان من الممكن تلافيها لو ان بعض الأطراف الطلابية المعنية قد حددت هي الأخرى موقفها إلى جانب عقد مؤتمر (اجتماع) لطلاب بغداد لدراسة مشاكل الطلبة وتحديد مطاليبهم المشتركة ، وسبل النضال لتحقيقها بما في ذلك مناقشة ضرورة أو عدم ضرورة الإضراب العام . ومثل هذا الموقف هو الذي ينسجم كلياً مع الشعور بالمسؤولية الطلابية والوطنية . ومن المناقشات الشفهية للإخوان القوميين لاحظنا بعض سوء الفهم لدعوتنا . لقد ذكر بعض الإخوان بأننا نعتبر المؤتمر الطلابي بديلاً للإضراب أو تأجيلاً له . كما اعتبره آخرون مؤتمراً عاماً ينعقد على أثر انتخابات تجري في جميع الكليات والمعاهد والمدارس ، واستنتاجات مشابهة أخرى . إن دعوتنا أيها الإخوان صريحة ، فالمؤتمر هو بمثابة اجتماع يعقد عاجلاً كما جاء في رسالتنا السابقة لكم ويحضره مندوب أو أكثر من كل من الأطراف الطلابية . وكما هو مألوف في هذه المؤتمرات فإنها تتخذ قراراتها بالإجماع بعد تداول أخوي إنشائي ، وهو ليس بديلاً ولا تأجيلاً للإضراب ، بل إنه سيبحث من بين ما يبحث مسألة

الإضراب ، والاتفاق عليه أو الاتفاق على إنهائه .

كما اشترط قسم من الإخوان تأييدنا للإضراب مقابل تأييدهم لعقد المؤتمر . إننا نعتقد بأن أي شرط مسبق لمثل هذه المؤتمرات لا يعبر سوى عن عدم القناعة أو الرغبة في عقدها . فنحن لم نشترط على أحد ان ينهي إضرابه مثلاً قبل حضوره لهذا الاجتماع .

وقال آخرون بأنه لا يصح الالتقاء والتعاون في مجال الطلبة ما لم يسبق التقاء وتعاون على النطاق العام للحركة الوطنية . ولكن هؤلاء الإخوان لم يطرحوا لنا مشروعاً لمثل هذا اللقاء العام ليكون بالمستطاع مناقشة هذا المشروع على صعيد القيادة . وعلى العكس فإن بيانات حزبنا وسائر منشوراته لم تكف يوماً عن دعوة كل القوى الوطنية للالتقاء وللتعاون وفق الشعارات العامة الصحيحة والتي يقف في مركزها شعار صيانة الاستقلال الوطني وتعزيزه بإرسائه على أسس ديمقراطية . ويسرنا ويسر قيادتنا لو ان القوى الديمقراطية والوطنية الأخرى قد وافقت على الالتقاء والتعاون التامين وتحقيق هذه الشعارات التي تهم جميع أطراف الحركة الديمقراطية والوطنية .

إن الوضع الطلابي لازال يشعر الجميع بالمسؤولية للقيام بعمل فوري لضمان الوحدة الطلابية في نضال من أجل المطاليب الوطنية والديمقراطية الصحيحة التي يمكننا الإشارة إلى أهمها في :

- إرجاع جميع الطلبة المفصولين والمنقولين بسبب نشاطهم الطلابي .
- كف تدخل أجهزة الأمن والاستخبارات والشرطة والجيش في شؤون الطلبة وإدارات الكليات والمعاهد والمدارس وضمان حرية الجامعة والمؤسسات الدراسية .
- إطلاق سراح الطلبة الموقوفين والسجناء المبعدين بسبب نشاطهم الطلابي والوطني .

- تأمين حرية وحق الطلبة في انتخابات اتحاداتهم في الكليات والمعاهد والمدارس الثانوية والمتوسطة وحريتهم وحقهم في عقد مؤتمراتهم السنوية العامة ونشاط اتحادهم العام ، وتأمين حرية الطلبة في النشاط الإجتماعي العام .

ولا ندري لِمَ يتصور بعض الإخوان بأننا ضد الإضراب مبدئياً . لقد وصفنا الإضراب الراهن بالرجعية والانقسامية لأسباب ذكرناها في رسالتنا وفي بيان حزبنا . ذلك لأن الإضراب انطلق من منطلق يتسم بالرجعية والإنقسامية ، لأنه ابتدأ باستفزاز ضد الطلبة من قبل آخرين ، ولأنه حمل شعارات مكافحة الشيوعية والقوى الديمقراطية ، وهي شعارات استعمارية رجعية متهرئة من جهة ، وهي تجزئ النضال الطلابي وتقسمه من جهة أخرى . أما إذا انطلق النضال الطلابي من منطلق الوحدة وشعارات صحيحة تعبر عن إرادة الطلبة ، فإنه عندئذ لن تكون له أية صفة رجعية أو انقسامية ، بل سيكون نضالاً طلابياً وطنياً وديمقراطياً ضد الرجعية وضد الدكتاتورية .

ومثل هذه النضالات لا يساهم فيها حزبنا فحسب ، بل هو يبادر إليها ويوسعها بنشاط كما هو دأبه . أما بشأن موضوع المدرسة الثانوية الشرقية ، فرغم انه اصبح موضوعاً ثانوياً إلا إن من الواضح كلياً بان الطلبة الديمقراطيين كانوا عرضة لاستفزاز مدبر حاولت بعض الجهات الغريبة عن الطلبة استغلاله لغير مصلحة الطلبة أو المصلحة الوطنية .

نجدد دعوتنا الملحة من أجل عقد المؤتمر الطلابي ، مستندين كذلك إلى موافقة إخواننا الطلبة الوطنيين الديمقراطيين . ونكرر اقتراحنا في ان يبحث المؤتمر :

أولاً- حل المشاكل القائمة حالياً بين الطلبة في بعض المدارس .

ثانياً- تحديد المطاليب الطلابية المشتركة .

ثالثاً-الاتفاق على سبيل النضال المشترك لتحقيق هذه المطاليب بما في ذلك بحث ضرورة أو عدم ضرورة إعلان إضراب طلابي عام .

وسنرسل رسالتنا هذه إليكم بسبل متعددة لضمان إيصالها لكم بأسرع وقت .

مع تحياتنا الأخوية

بغداد في ٤/١/١٩٦٣

ممثل الطلبة الشيوعيين

## الخاتمة

القارئ العزيز

يعز علي القول ان المرض لم يمهله لاكمال مذكراته . فرغم الالحاح الشديد من بعض الرفاق والاصدقاء أن يبدأ مبكراً بالكتابة الا انه وللاسباب التي ذكرها في "التمهيد" تأخر في الكتابة حتى داهمه "المرض الغادر" كما نعته ابو سعد نفسه .

يرغب الكثير من الاصدقاء والرفاق بل وتمنوا علي بالكتابة اضافة او استكمالا لما لم يتمكن ابو سعد من كتابته لتدهور صحته السريع . وبما انني لازمته اربعين عاماً من مسيرة حياته النضالية فقد كانت تدور بيننا الكثير من الحوارات والنقاشات والمشاورات ، مما منحني امكانية التعرف على اسلوب تفكيره وكيفية تشخيصه للخطأ والتدقيق بعمق قبل اتخاذ القرار .

لكني . . . .كلما حاولت الاقدام على تلبية تلك الرغبة في الكتابة اجدني ممتنعة ، قناعة مني بأن المذكرات "ملك صاحبها" وهو المسؤول عن مضمونها . فلا اعداد ولا اضافة ، لتبقى كلمة صاحبها كما قالها هو .

حاولت جمع اعماله من كتب وندوات ومقالات في صحف ، وفعاليات اخرى ، وهي كثيرة ، فلم يسعفني الحظ لكثرتها وتواجدها في ساحات عديدة ارتباطاً بطبيعة حياته وما زخرت به من تنقلات وهروب وتشرد في كثير من ارض الله الواسعة .

له في الكتابة : كتاب في الاستراتيجية والتكتيك الثوريين باسم "سعد صالح" وكتاب "الحركه العماليه العالمية" الذي ترجمه عن الروسية . وقدم الكتابين الى الجبهه الشعبية لتحرير فلسطين . ويستطيع من يريد الاطلاع عليهما ان يحاول عن طريق الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عله يجدهما . له في الديمقراطية كتابات كثيرة ، وندوات عديدة انسجاما مع اهتمامه وتمسكه الشديد بها .

كان من اوائل المبادرين والعاملين لقيام حركة ديمقراطية واسعة تضم سائر المنظمات والاحزاب والجماعات الديمقراطية من منطلق ان لا سبيل للخلاص من الدكتاتورية الغاشمة الا بتجميع هذه القوى والعمل من اجل نظام بديل للنظام الدكتاتوري الحالي . وكان له دور متميز في انبثاق حركة تنسيق قوى التيار الديمقراطي ، وعلى مدى ما يقارب العشرين سنه عمل بنشاط وقناعة بضرورة قيام هذا التيار .

حياة ابو سعد حافلة بالنضالات والمواقف ، متجرداً من الذات متفانيا في العمل لصالح شعبه ووطنه ، فمن العبث محاولة إحصائها في سطور .

## نبذة تاريخية عن التجمع الديمقراطي العراقي

ظهرت فكرة توحيد الجماعات الديمقراطية العراقية في وقت مبكر على ظهور التجمع الديمقراطي العراقي . فلقد وجدت في اواخر السبعينات ثلاثة منظمات ديمقراطية هي : حزب العمل العراقي واتحاد الديمقراطيين العراقيين وحركة الطليعة الديمقراطية .

ومن خلال الاتصالات فيما بينها والحوارات واللقاءات بدأت هذه المنظمات تقتنع اكثر فأكثر بأن ثمة ما يقرب بعضها من البعض الاخر وان اهدافاً متماثلة وقواسم مشتركة تجمعها . فسلكت طريق التعاون فيما بينها والقيام بفعاليات مشتركة ، اقنعتها في اخر المطاف بضرورة الاندماج في منظمة ديمقراطية موحدة قادرة على أن تلعب دوراً اكثر نفعاً في اطار الحركة السياسية العزاقية المعارضة لنظام البعث الحاكم وذلك جنباً الى جنب مع سائر قوى وأحزاب المعارضة العراقية الاخرى .

وازاء نهج الحكم القمعي الدموي في بغداد وممارسته كل أشكال البطش ضد المعارضة وضد أبناء الشعب العراقي ، وانحسار أية امكانية مهما كانت متواضعة للعمل السياسي السلمي وللمعارضة المشروعة ونتيجة لشن النظام حربه على ايران في أيلول عام ١٩٨٠ وتكريسه أساليب الحكم العسكرية البوليسية تبنت الفصائل الثلاثة شأنها شأن قوى واحزاب معارضة اخرى أسلوب الكفاح المسلح كوسيلة للاطاحة بالنظام الدكتاتوري الفاشي والعمل

من اجل وقف الحرب مع ايران .

في اذار (مارس ) عام ١٩٨٣ تبلورت قناعة بنضج الشروط لقيام خطوة توحيدية هامة بين الفصائل الثلاثة : حزب العمل واتحاد الديمقراطيين العراقيين وحركة الطليعة الديمقراطية . فاجتمعت قيادات الفصائل الثلاثة مع عدد من الشخصيات الديمقراطية المستقلة وأصدروا في ١٠ اذار عام ١٩٨٣ "نداء" الى سائر الديمقراطيين والتقدميين يدعونهم للعمل من أجل وحدة جميع قوى التيار الديمقراطي في منظمة موحدة .

وطرح النداء مهمة الاطاحة بالنظام الدكتاتوري كمهمة رئيسية فضلاً عن طرحه لمهمات نضالية كميثاق للعمل جوهره اقامة نظام تعددي وديمقراطي على أنقاض الدكتاتورية يضمن الحريات العامة والفردية للمواطنين ويأخذ بالنظام البرلماني الدستوري ويحترم حقوق الانسان .

وعلى الصعيد الخارجي يقيم النظام الديمقراطي البرلماني القادم أفضل العلاقات مع الدول الشقيقة والمجاورة على اساس المنافع المشتركة والاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية . ويأخذ النظام على عاتقه ايقاف الحرب العراقية الايرانية واقامة علاقات حسن الجوار مع ايران لضمان السلم والامن بينهما وفي عموم المنطقة .

وتشكلت من ممثلي الفصائل الثلاثة ومن بعض المستقلين هيئة تحضيرية مهمتها اصدار جريدة تنطق بلسان هذا التجمع من القوى وتعمل على اعداد الوثائق البرنامجية والتنظيمية التي يجب أن تطرح قبل مناقشتها على المؤتمر التأسيسي الذي له وحده الحق في اقرارها وانتخاب الهيئات القيادية .

فصدرت صحيفة "الغد الديمقراطي" في نيسان عام ١٩٨٣ . وبعد مناقشات مستفيضة للوثيقة البرنامجية واللائحة الداخلية اللتين اعدتهما الهيئة التحضيرية ، جرت على صفحات "الغد الديمقراطي" بمساهمة من منتسبي

الفصائل الثلاثة ومن خارجها ،

انعقد المؤتمر التأسيسي للتجمع الديمقراطي العراقي في الفترة من ٥ - ٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٥ في برلين الغربية تحت شعار "وحدة قوى التيار الديمقراطي طريقنا للمساهمة في اسقاط النظام الفاشي وانهاء الحرب وتحقيق السلام العادل واقامة النظام الديمقراطي في العراق والحكم الذاتي الحقيقي في كردستان" .

وبعد مناقشة مجمل نشاط الهيئة التحضيرية اعتبر المؤتمر ان مهمتها قد انتهت بانعقاده ووافق على طلبها بحل نفسها واندماجها في المؤتمر .

وأقر المؤتمر بعد مناقشات مستفيضة الوثائق الاساسية ( الوثيقة البرنامجية ، اللائحة الداخلية ، التقرير السياسي ، التقرير التنظيمي ، التقرير المالي ، وافتتاحية العدد ١٩ من جريدة "الغد الديمقراطي") المطروحة عليه بعد اجراء التعديلات عليها .

كما اتخذ المؤتمر عدداً وفيراً من القرارات الهامة بينها قرار حول انضمام التجمع الديمقراطي العراقي الى الجبهة الوطنية الديمقراطية (جود) وسياسة التجمع في ميدان التحالفات السياسية على النطاقين العراقي والعربي وقرار حول الثقافة الوطنية واخر حول عمل الهيئة التحضيرية المركزية للتجمع في الفترة المنصرمة - أي منذ نشوء التجمع وحتى انعقاد المؤتمر التأسيسي .

وفي الجلسة الختامية انتخب المؤتمرون اللجنة المركزية للتجمع الديمقراطي في العراق ، التي اجتمعت وانتخبت الاستاذ صالح دكله سكرتيراً لها ومكتباً سياسياً من خمسة أعضاء .

وفي تشرين الثاني ( نوفمبر ) عام ١٩٨٥ وبعد مداولات أجرتها قيادة التجمع الديمقراطي العراقي وقيادتا الحزب الاشتراكي - العراق وحزب الشعب الديمقراطي الكردستاني مع احزاب الجبهة الوطنية الديمقراطية (جود) من اجل

توسيع وتعزيز العمل الجبهوي ، انضم التجمع مع كل من الاشتراكي والشعب الديمقراطي الكردستاني الى الجبهة الوطنية الديمقراطية (جود) وبذلك أصبحت تضم سبعة احزاب هي :الحزب الديمقراطي الكردستاني (حدك) والحزب الاشتراكي الكردستاني والحزب الشيوعي العراقي والحزب الاشتراكي الكردي (باسوك) اضافة الى الاحزاب الثلاثة المذكورة .

شارك التجمع الديمقراطي العراقي بنشاط في اللقاءات والحوارات التي جرت في بداية عام ١٩٨٩ بين اطراف الحركة الوطنية والاسلامية العراقية من اجل التوصل الى اتفاق على عمل مشترك للاطاحة بالدكتاتورية . كما شارك في استئناف تلك المحادثات مباشرة بعد اجتياح النظام العراقي لدولة الكويت . وكان التجمع واحداً من الاحزاب والتنظيمات السبعة عشر التي اصدرت في ٢٧ كانون الاول ( ديسمبر ) ١٩٩٠ "بيان قوى المعارضة العراقية" ، وشكلت ائتلاف "العمل المشترك" وساهمت في الفعاليات التي قامت بها قوى المعارضة العراقية .

وفي مؤتمر المعارضة العراقية المنعقد في بيروت في اذار ( مارس ) ١٩٩١ ، شارك التجمع الديمقراطي العراقي بثمانية مندوبين والقى سكرتير اللجنة المركزية للتجمع صالح دكله كلمة التجمع في المؤتمر .

وفي المشاورات الرامية لعقد المؤتمر الثاني للمعارضة العراقية ساهم التجمع في تذليل العقبات التي اعترضت عقد المؤتمر . ودخل التجمع لدى تشكيل اللجنة التحضيرية من اربعة عشر حزباً وتنظيماً عراقياً في قوام اللجنة قبل توسيعها لتصبح ٢٥ حزباً وجماعة سياسة معارضة .

وبسبب المستجدات والتطورات السياسية التي حدثت في البلاد لا سيما وقف الحرب العراقية الايرانية ومواصلة النظام العراقي سياسته العدوانية في تهديد الامن والاستقرار في المنطقة التي أدت فيما بعد الى الاجتياح الغاشم

لدولة الكويت .

عقد اجتماع اللجنة المركزية للتجمع في الفترة من ١٠ ـ ١٤ تموز (يوليو) عام ١٩٩٠ على اثر المتغيرات في الساحتين العربية والدولية وبصورة خاصة تلك المتغيرات التي حصلت في بلدان أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي ، من أجل دراسة هذه التطورات استيعاباً لها وتوظيفاً لعناصرها الايجابية لمصلحة الشعب العراقي وشعوب المنطقة في تحقيق نظم ديمقراطية يكون فيها الانسان القيمة الاكثر سمواً ، ومن أجل تفادي ، قدر الامكان ، عناصرها السلبية .

وبعد ان ناقش الاجتماع الوثيقة البرنامجية واللائحة الداخلية للتجمع في ضوء هذه المستجدات وأجرى عليها التعديلات المناسبة ، قرر طرح الوثيقتين للمناقشة العامة بهدف دراستهما واغنائهما تمهيداً لاقرارهما بشكلهما النهائي في المؤتمر الثاني للتجمع الذي عقد في الفترة من ١٩ ـ ٢٠ تشرين الثاني ١٩٩٤ .





بيروت ١٩٧٩



محاضرة في مدرسة الكادر للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عام ١٩٨٩



أبو سعد ـ يسار . سعد ـ أم سعد



اجتماع العائلة في بيروت ١٩٧٩

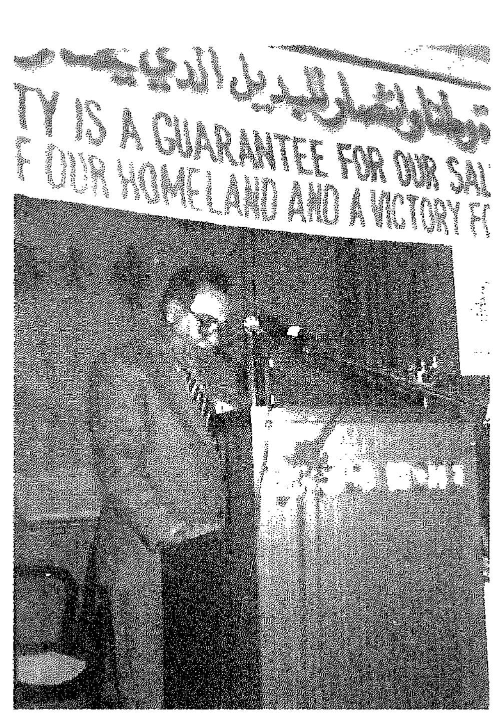
المؤتمر (٢١) للحزب الشيوعي السوفياتي ويظهر في اليمين كل من الراحل صالح دكله عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي والشهيد سلام عادل سكرتير اللجنة المركزية للحزب - الشهيد جمال الحيدري عضو المكتب السياسي للحزب



في حفل توسيع جود بانضمام التجمع الديمقراطي العراقي وأحزاب أخرى إليها

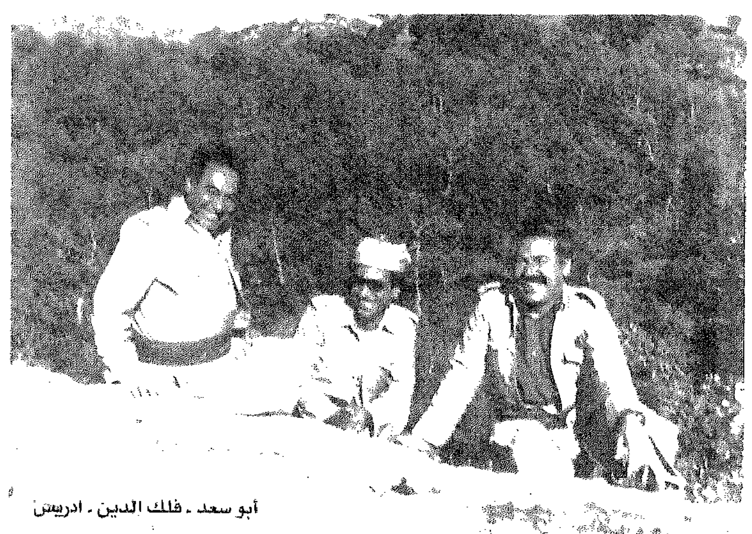


مشاركة أبو سعد في فعالية الاعتصام المستمر ١٩٩٧/١٢/٢٧




في مؤتمر بيروت

آذار ١٩٩١



أبو سعد ـ فلك الدين ـ ادريس



أبو سعد وأم سعد في المستشفى في ١٩٩٨/٦/٢٩ - قبل رحيله بشهر واحد



مراسيم تشييع جثمان الفقيد أبو سعد في مقبرة الهاي كيد ١٩٩٨/٧/٣١





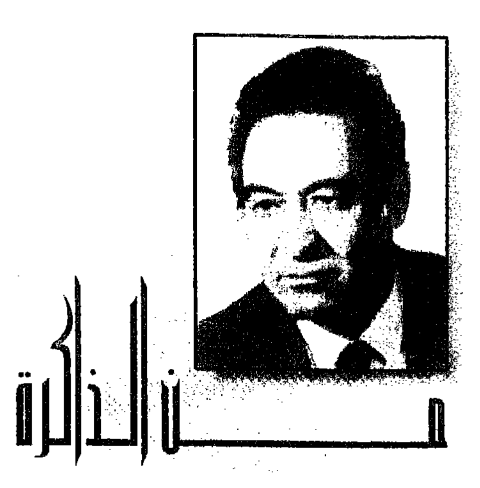
# الفهرس


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)










"من الذاكرة" ، هي سيرة حياة فقيد الحركة الوطنية العراقية المرحوم صالح مهدي دكلة ، بدأ كتابتها في ٢٤ آذار ١٩٩٨ وهو يصارع المرض ، حتى وافته المنية في ٢٨ تموز ١٩٩٨ .

لقد كان المنعطف الاول في حياة صالح دكلة هو خيار طريق الكفاح ضد الظلم الاجتماعي والسياسي الذي أحسه في محيطه في العمارة منذ صباه. ولعبت خلفيته العائلية دوراً كبيراً ليس في تكوين شخصيته فحسب بل وفي اختياره الطريق الذي سيسلكه في الحياة.

اما المنعطف الثاني في حياته ، فقد كان الانتماء الى الحزب الشيوعي العراقي عام ١٩٥٠ في اعقاب اعدام قادة الحزب الخالدين فهد وحازم وصارم عام ١٩٤٩، فما الذي جذبه الى هذا الحزب الوطني الغيور ؟

"من الذاكرة" هي سيرة حياة مناضل وطني شيوعي من العراق ، تعتز به الحركة الوطنية العراقية. فقد كرس حياته للنضال السياسي من اجل إعلاء شأن وطنه العراق ومن اجل نصرة وسعادة شعبه. وقدم تجربته تلك في احرج ايام مرضه ليخدم بذلك الاجيال القادمة من الوطنيين والديمقراطيين العراقيين.

**نزيهة الدليمي**